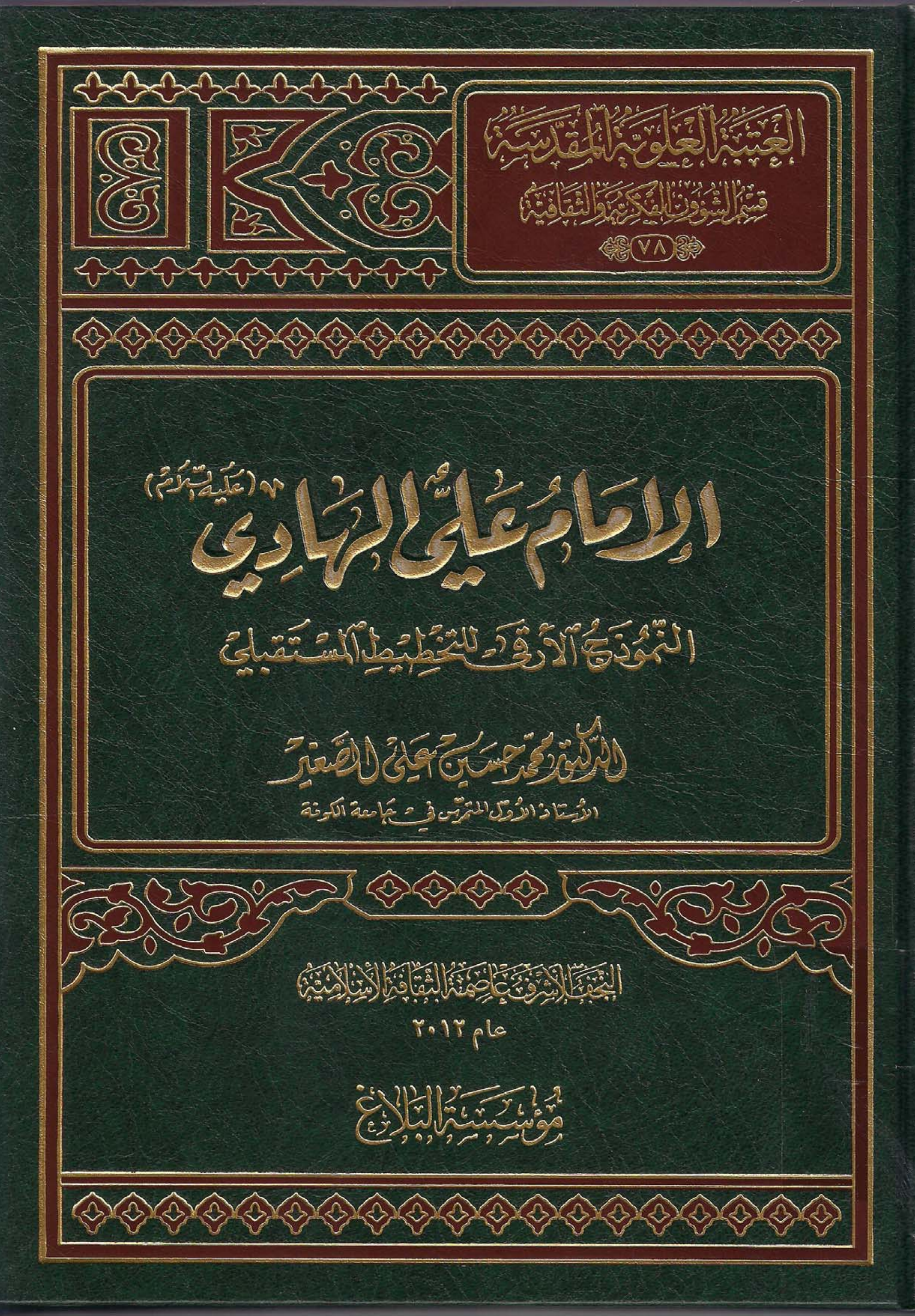
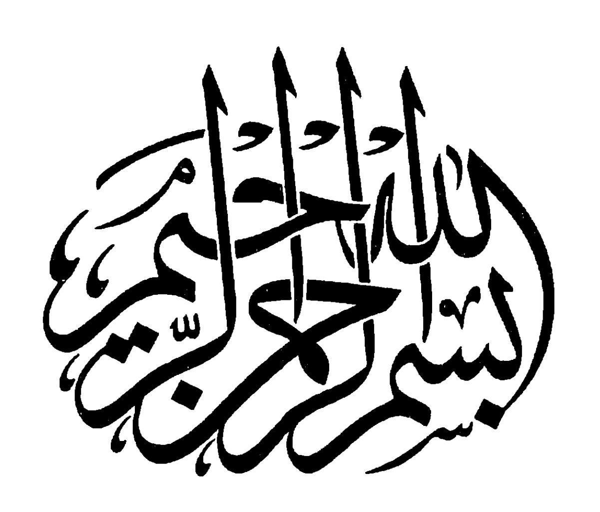

العتبة العلوية المقدسة
قسم الشؤون الفكرية والثقافية
٧٨
الإمام علي الهادي (عليه السلام)
النموذج الأرقى للتخطيط المستقبلي
الدكتور محمد حسين علي الصغير
الأستاذ الأول المتمرس في جامعة الكوفة
النجف الأشرف عاصمة الثقافة الإسلامية
عام ٢٠١٢
مؤسسة البلاغ


شبكة الفكر
alfeker.net

الإمام علي الهادي (عليه السلام)

النموذج الأرقى للتخطيط المستقبلي



العتبة العلوية المقدسة
قسم الشؤون الفكرية والثقافية
(٧٨)

الإمام علي الهادي (عليه السلام)

النموذج الأرقى للتخطيط المستقبلي

الدكتور محمد حسين علي الصغير
الأستاذ الأول المتمرس في جامعة الكوفة

النجف الأشرف عاصمة الثقافة الإسلامية
عام ٢٠١٢

مؤسسة البلاغ



www.imamali-a.net
info@imamali-a.net

الإمام علي الهادي (عليه السلام)

النموذج الأرقى للتخطيط المستقبلي

المؤلف: الدكتور محمد حسين علي الصغير

الناشر: العتبة العلوية المقدسة - قسم الشؤون الفكرية والثقافية

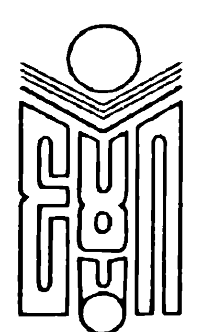
الإخراج الفني: محسن اليوسفي

الطبعة الأولى

تاريخ الطبع: ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م

التنفيذ الطباعي

مؤسسة البلاغ
للطباعة والنشر والتوزيع



لبنان - بيروت - بئر العبد - قرب مركز التعاون الاسلامي - بناية حطيط
ص.ب: ١١-٧٩٥٢ بيروت ١١٠٧-٢٢٥٠ - هاتف: (٠٢/٥١٤٩٠٥) - تلفاكس: ٠١/٥٥٣١١٩ لبنان
الموقع الإلكتروني: www.albalagh-est.com
E-mail: Albalagh-est@hotmail.com

المقدمة

حفلت بدايات النصف الأول من القرن الثالث الهجري بالتماع قيادة الإمام علي بن محمد الهادي(عليه السلام)، وهو ينهد بمنصب الولاية الإلهية في إمامته في سنٍ مبكِّرة لا تتعدى الثامنة من العمر. ولم يُفاجأ المسلمون بإمامته بسنٍ الصبا، فقد سبق لهم الاستضاءة بإمامة أبيه محمد الجواد(عليه السلام) وهو يتولى منصبه الشرعي بمثل هذا العمر أو دونه، فالتجربة -إذن- سابقة في عطائها، ولاحقة بأمثالها، وازداد أهل اليقين إيماناً وثباتاً، وظلت الدهشة تمتلك الخط المناوئ لأهل البيت تعجباً واستغراباً، ولكنهم أذعنوا مرغمين للأمر الواقع، فها هو الإمام علي بن محمد الهادي يتصدر قيادة الأمة في الإفتاء والإفاضة والتدريس في مدينة جدِّه رسول الله(صلى الله عليه وآله)، وها هي الخلافة العباسية تضيق ذرعاً بالتفاف الجماهير حول الإمام، فيتملكها الذعر حيناً من تمكنه من القلوب، ويلازمها القلق القاتل من تصاعد شعبيته في الآفاق، فتعمد إلى استدعائه في عهد المتوكل إلى سامراء، فيقيم فيها تحت طائلة الرقابة المتشددة والرصد التام، ويتكيّف الإمام للمناخ الجديد بأصالة ومرونة، ويتعامل معه بالحكمة وحسن التأتي للأمور، ويقابل الأحداث بصلابة الرجال الأشدّاء، ويقف أمام مسؤوليته القيادية وجهاً لوجه، فيخترق الحواجز برصانة التخطيط، ويذلل العقبات بقوة التأثير.

وقد استطاع الإمام بدقة التنظيم أن يبقي على شبكة الاتصالات قائمة بينه وبين الأمة بحذر وسرِّيةٍ وكتمان، فبث وكلاءه وأولياءه وتلامذته في الأقاليم يبلّغون الرسالة، ويؤدون الأمانة، ويتسلّمون الحقوق لصرفها في مظانها، أو إرسالها إلى الإمام بطريق ما، وينشرون فتاوى التشريع.

وفي ظل هذا البرنامج الخفي في أغلب تحركاته، شرّع«نظام الوكلاء» وأصّله في ضوء بدايات سابقة لآبائه(ﷺ)، وكان هذا التأصيل في إطاره العام إحكاماً لأمر الإمامة، وتخطيطاً مستقبلياً لقيادة حفيده الإمام المهدي المنتظر(عج).

وقد سلك الإمام لهذه المهمة الكبرى سبلاً دقيقة فوفقة نهد الكتاب بإلقاء المزيد من الأضواء على ظواهرها.

وكلما اقتربت المدة من ظهور صاحب الأمر وغيبته الصغرى، كان عمل الإمام دائباً في الإعداد لتلك المرحلة الحرجة من حياة الإمامة، وتمرين أتباعه وأوليائه على تلقي التعليمات من الوكلاء والأصفياء والثقات تمهيداً لدربتهم على ذلك لدى غيبة الإمام المنتظر. وقد نجح الإمام علي الهادي نجاحاً باهراً في أداء هذه المهمة الصعبة حتى عدّه البحث بجدارة فائقة «النموذج الأرقى للتخطيط المستقبلي» وقد كان كذلك.

وهذا الكتاب -بكل تواضع- يكرِّس جهداً متميزاً لإثبات هذه الحقيقة الكبرى، ويسلط الضوء على مسيرة الإمام المشرفة بأبعادها المتعددة، ويولي للجانب العلمي المقدس الذي أقامه الإمام شامخاً نصيبه الأوفى من البحث في مجالات شتى وشؤون متميزة، ويتابع البحث بالنقد المنهجي تأريخ المراحل التي قطع شوطها الإمام في ظل البلاط العباسي محاصراً ومراقباً، ويحلل الأحداث الهائلة التي صاحبت مسيرته القيادية الرائدة في كثير من

ضغوطها وإفرازاتها في الصراع، ويحاكم البحث التأريخ الرسمي وهو يتجاهل هذا القائد الفذ والزعيم الملهم والإمام المفترض الطاعة.

ويعرض البحث لمشاهد حيّة من السياسة العباسية الطائشة بكل مخلفاتها السلبية في البذخ والعبث والإسراف والجور والطغيان، وخنق الحريات، ومصادرة إرادة الشعوب.

وكانت طبيعة هذا الموضوع في تشعباته المنهجية أن انتظم في ثمانية فصول هي كالآتي:

الفصل الأول: وعنوانه «الإمام مناراً... في الأفق البعيد».

الفصل الثاني: وعنوانه «الإمام عليٌّ الهادي في عصر الطواغيت».

الفصل الثالث: وعنوانه «الإمام عليٌّ الهادي في مملكة المتوكل».

الفصل الرابع: وعنوانه «نظام الوكلاء في مجابهة التحديات».

الفصل الخامس: وعنوانه «حياة الإمام عليّ الهادي العلمية».

الفصل السادس: وعنوانه «الفكر الكلامي عند الإمام علي الهادي».

الفصل السابع: وعنوانه «مدرسة الإمام علي الهادي في الرواية والرواة والأمثال».

الفصل الثامن: وعنوانه «استشهاد الإمام علي الهادي ومشهده الشريف».

وأختتم الكتاب بقصيدتين للمؤلف في الإمام وخاتمة المطاف فالمراجع.

وكانت مصادر هذا البحث ومراجعه تنتقل بين أفياء كتب الحديث والسنة، وتستلهم مصادر التأريخ والأدب والسيرة، وتفيد من علم الكلام والفلسفة، تستظل في أروقة الفنون الأخرى التي فجّرها الإمام (عليه السلام).

وكـان البحـث العلمـي الخـالص فـي ضـوء النقـد التحليلـي والبعـد المنهجـي رائـد هـذه الدراسـة، لأن الأحكـام الانفعاليـة عـاجزة عـن تحقيـق الهـدف الموضـوعي، ولإنجـاز هـذه الحقيقـة كـان مـن الـضروري رصـد الأحـداث فـي منظـور ذاتـي محـض بعيـداً عـن المـؤثرات الخارجيـة لاستقراء المجهول.

وكانت هذه المهمة صعبة لمجابهتها التأريخ الرسمي وهو يقابل فضائل أهل البيت بالنكران، مما ضاعف الإحساس بالإحباط وهو يـشعر بالالتفـاف على الوقائع وإخفائها، مما جعل الجهد في غاية الإمعـان لاسـتكناه حقـائق الأشياء.

أرجو أن يكون هذا العمل خالصاً لوجه الله تعالى، عسى أن أكـون فيـه موفقاً لإبراز شخصية هذا الإمام العظيم.

وما توفيقي إلا بالله العلي العظيم، عليه توكلت وإليه أنيب، وهو حـسبنا ونعم الوكيل.

النجف الأشرف/ جامعة الكوفة

محمد حسين علي الصغير

❊ ❊ ❊

الفصل الأول

الإمامُ مناراً... في الأفق البعيد

١- الوليد الهادي.

٢- النشأة المباركة.

٣- النَّص على إمامة الهادي.

٤- الإمام في الرأي الآخر.

٥- مميزات الإمام وخصائصه.

٦- الوعي الرسالي في شخصية الإمام.

٧- الإمام في رعاية الصفوة المختارة.

٨- دفاع الإمام عن منصب الولاية الإلهية.



الوليد الهادي

هو الإمام علي الهادي بن الإمام محمد الجواد بن الإمام علي الرضا بن الإمام موسى الكاظم بن الإمام جعفر الصادق بن الإمام محمد الباقر بن الإمام علي السّجّاد زين العابدين، بن الإمام الحسين سيد الشهداء بن الإمام علي بن أبي طالب أمير المؤمنين صلوات الله عليهم أجمعين.

العاشر من أئمة أهل البيت، والقائم بالأمر بعد أبيه الإمام محمد الجواد(عليه السلام) بالنّص والوصية، والإمام المفترض الطاعة بالولاية الإلهية.

ولد الإمام علي الهادي(عليه السلام) في حاضرة (صريا) وهي قرية أسسها الإمام موسى بن جعفر(عليه السلام) على ثلاثة أميال من المدينة المنوَّرة[١] من أم مغربية تسمى (سمانة) وذلك في يوم الثلاثاء الخامس من شهر رجب[٢].

وقيل في يوم الأحد للنصف من ذي الحجة[٣].

وقد يرجح القول الأول لما ورد عن الشيخ حسين بن روح السفير الثالث للإمام الحجة بن الحسن العسكري فيما أورده الشيخ في المصباح:

---

(١) ظ: المجلسي/ بحار الأنوار ٥٠/ ٩٠.

(٢) ظ: الكليني/ الكافي ١/ ٤٩٨، المفيد/ الإرشاد/ ٣٥٢، الطوسي/ التهذيب ٦/٩٢، الأربلي/ كشف الغمة ٣/١٩٠، ابن شهراشوب/ المناقب ٢/٤٤٢، حيدر الحسني/ عمدة الزائر/ ٣٢٧.

(٣) ظ: الكليني/ الكافي ١/٤٩٧، المفيد/ الإرشاد/ ٣٥٢، الطوسي/ التهذيب ٦/٩٢، الكنجي الشافعي/ كفاية الطالب/ ٣١٢، اليافعي/ مرآة الجنان ٢/١٦٠، ابن خلكان/ وفيات الأعيان ٢/٤٣٥.

«قال ابن عيّاش: خرج إلى أهلي على يد الشيخ الكبير أبي القاسم هـذا الدعاء: «**اللهم إنّي أسألك بالمولودين في رجب محمد بن علي الثـاني، وابنه عليّ بن محمد المنتجب**»[(١)].

وكما اختلفوا في اليوم والشهر فقد اختلفوا في السنة على ثلاثة أقوال:

١- أنه ولد سنة ٢١٢هـ[(٢)].

٢- أنه ولد سنة ٢١٣هـ[(٣)].

٣- أنه ولد سنة ٢١٤هـ[(٤)].

والقول الأول والثالث يعتدّ بهما لكثرة من رواهما، على أن معظم المصادر تروي القول الثالث.

أما القول الثاني فقد ورد في مصادر معدودة.

ويؤيد ما ذكرناه ما أورده المسعودي في تأريخ وفاة الإمام التي أجمع عليها أنها في عام ٢٥٤من الهجرة، وعقّب على ذلك أن الإمام كان لدى وفاته: «ابن أربعين سنة، وقيل اثنتين وأربعين...»[(٥)]. فعلى الأولى تكون ولادته عام ٢١٤هـ وهو ما ترويه أكثر المصادر، وعلى الثاني فولادته عام ٢١٢هـ

هذا وقد أورد السيد محسن الأمين الحسيني: هـذا وروى إبراهيم بن هاشم القمي، قال:

---

(١) ظ: المجلسي/ بحار الأنوار ١١٦/٥٠، وانظر مصدره.

(٢) ظ: الكليني/ الكافي ٤٩٧/١، المفيد/ الإرشاد/ ٣٥٢، الطوسي/ التهذيب ٩٢/٦، ابن الأثير/ الكامل ٣٣٩/٥، الأربلي/ كشف الغمة ١٦٨/٣، جواهر الكلام ٩٩/٢٠.

(٣) ظ: ابن خلكان/ وفيات الأعيان ٧٤/٢٢، أبو الفداء/ التأريخ ٤٥/٢، الصفدي/ الوافي بالوفيات ٧٤/٢٢، اليافعي/ مرآة الجنان ١٦٠/٢.

(٤) ظ: الكافي ٤٩٧/١، المسعودي/ إثبات الوصية/ ١٩١-٢٠٢، الخطيب البغدادي/ تأريخ بغداد ٥٧/١٢، القندوزي/ ينابيع المودّة/ ٣٨٦.

(٥) المسعودي/ مروج الذهب ١١٣/٤.

«ولد أبو الحسن العسكري(ع) يوم الثلاثاء لثلاث عشرة ليلة خلت من رجب سنة ٢١٤»[١].

وعلى هذا تكون ولادته في اليوم والشهر متطابقة مع ولادة جدّه أمير المؤمنين الإمام علي(ع)، في الثالث عشر من رجب، والله العالم.

ومهما يكن من أمر فقد ولد هذا الكوكب الهادي في منتجع صغير بعيداً عن صخب المدينة في ضاحية (صريا) حيث تقع بعض مزارع آل محمد(ص) في مستقرهم الريفي الهادئ الذي كان يضمهم حينما يتوجهون لعبادة الله، أو يريدون الخلوة بأنفسهم لأداء طقوسهم الدينية في حريّة تامة، والابتعاد عن فتن مجتمعهم، وضغوط الحياة المحيطة بهم[٢].

وحينما أطلّ الوليد الجديد بطلعته البهية عمّت البشائر آل محمد(ص)، وتنفس أهل البيت الروحاء لا الصعداء بهذا القادم الذي سينهض بثقل الإمامة بمستقبل الأيام. وأجريت له المراسم الشرعية والسنن المأثورة في التكبير والتهليل والتحنيك، وحلق شعر الرأس والتصدق بوزنه ذهباً أو فضة، والعقّ عنه بكبش أو أكثر، مما هو معروف بالسنّة.

وأسماه أبوه (علياً) وكنّاه (أبا الحسن) وهي الكنية الخاصة به والوحيدة له كما في بعض المصادر[٣].

وقد يعبر عنه في كتب الحديث بأبي الحسن الثالث[٤]. وذلك أن الإمام موسى بن جعفر(ع) يكنى بأبي الحسن الأول، والإمام علي بن موسى الرضا يكنى بأبي الحسن الثاني، فجاءت كنية الإمام بأبي الحسن الثالث تخصيصاً وتمييزاً.

---

(١) الأمين الحسيني العاملي/ أعيان الشيعة ق٣/جـ٤/٢٥٣.

(٢) ظ: محمد حسن آل ياسين/ الإمام علي بن محمد الهادي/ ١٥.

(٣) ظ: ابن شهراشوب/ المناقب ٣/٥٠٥ وبقية المصادر المتقدمة.

(٤) ظ: كشف الغمة للأربلي ٣/١٩٠، بحار الأنوار/ المجلسي ٥٠/١١٣، حيدر الحسني/عمدة الزائر/٣٢٧.

أما أمير المؤمنين علي(عليه السلام)، فهو أبو الحسن وحده، كنية له باسم ولده الأكبر الإمام الحسن(عليه السلام).

وكما امتاز الإمام بهذه الكنى موحّدة ومثناة، فقد اشتهر في الآفاق بلقب (الإمام الهادي)[1] حتى عرف بهذا اللقب بخاصة، فأطلق عليه وكأنه بديل عن اسمه الشريف، بل هو إلى جنب اسمه الشريف.

وقد يطلق عليه لقب (العسكري) نسبة إلى مدينة العسكر وهي سامراء[2].

ففي أنساب السمعاني: العسكري نسبة إلى عسكر سرّ من رأى الذي بناه المعتصم لمّا كثر عسكره، وضاقت عليه بغداد، وتأذت به الناس، فانتقل إلى هذا الموضع بعسكره، وبنى به البنيان المليح...

وسميت العسكر لأن عسكر المعتصم نزل بها سنة ٢٢١هـ[3].

وقال الشيخ الصدوق: «سمعنا مشايخنا(رض) يقولون: إنّ المحلّة التي كان يسكنها الإمامان علي بن محمد والحسن بن علي(عليهما السلام) بسر من رأى كانت تسمى عسكراً، فلذلك قيل لكل منهما العسكري»[4].

ومن هنا كان هذا اللقب مشتركاً بينهما، فيطلق عليهما (العسكريان)، إلا أن هذا اللقب ألصق بولده الحسن حتى عاد بديلاً له عن اسمه، ووصفاً له حيناً، فيقال: الحسن العسكري، كما يقال: علي الهادي.

---

(١) ظ: أبو الفدا/ التأريخ ٢/٤٥، ياقوت/ معجم البلدان ٦/١٧٥، ابن خلكان/ وفيات الأعيان ٢/٢٣٤، ابن الصباغ/ الفصول المهمة/ ٢٥٩، الصفدي/ الوافي بالوفيات ٢٢/٧٢، الشبلنجي/ نور الأبصار/ ١٥١، النجفي/ جواهر الكلام ٢٠/٩٩.

(٢) ظ: المسعودي/ إثبات الوصية/ ١٩١، أبو الفدا/ التاريخ ٢/٤٥، سبط بن الجوزي/ تذكرة الخواص/ ٣٧٣، الخطيب/ تأريخ بغداد ١٢/٥٦.

(٣) ظ: الأمين الحسيني العاملي/ أعيان الشيعة ق٣/جـ٤/٢٥٤.

(٤) المصدر السابق نفسه.

ومن ألقابه السائرة (النقي) كما في الزيارات وعلى ألسن الرواة، وفي جملة من الروايات[١].

ومن أروع ما اطلعت عليه أنه كان يلقب بـ(المتوكل) وأنه من ألقابه الخاصة به، وحينما أصبح (المتوكل) لقباً للسلطان العباسي جعفر، أمر الإمام علي الهادي بإخفاء هذا اللقب والتكتم عليه، وأمر أصحابه أن يعرضوا عنه[٢] وكان الإمام في صفته أسمر اللون.

ونقش خاتمه «**اللهم ربي وهو عصمتي من خلقه**»[٣].

❊ ❊ ❊

---

(١) ظ: الأربلي/ كشف الغمة ٣/ ١٩٠، ابن كلحة/ مطالب السؤول ٢/ ٧٦

(٢) سبط بن الجوزي/ تذكرة الخواص/ ٣٧٣، ابن الصبّاغ/ الفصول المهمة/ ٢٧٧، ابن طلحة/ مطالب السؤول/٧٦، الأربلي/ كشف الغمة ٣/ ١٦٦، الشبنلجي/ نور الأبصار/ ١٥١، ابن شهر اشوب/ المناقب ٢/ ٤٤٢، المجلسي/ بحار الأنوار/ ٥٠/ ١١٣، محمد حسن آل ياسين/ الإمام محمد بن علي الجواد/ ١٨.

(٣) ظ: ابن الصباغ/ الفصول المهمة/ ٢٧٨، الشبلنجي/ نور الأبصار/ ١٥١، المجلسي/ بحار الأنوار ٥٠/ ١١٦.



النشأةُ في البيئة المباركة

نشأ الإمام علي الهادي(عليه السلام) في ظل أبيه الإمام العظيم محمد الجواد(عليه السلام)، وذلك في صباه الحالم، وهو يستضيء بذلك الإشعاع الملائكي في الهدي والاستقامة، ويقتدي بخطى ذلك الأب المعجزة، يستنير بآرائه، ويقتبس من لمحه المتوهج في بيوتٍ أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه، وسرى في شوط متواصل بسيرة مثاليّة متوازنة تستلهم الخط الإنساني المستقيم الذي امتد من جده رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) وأئمة أهل البيت(عليهم السلام) حتى أبيه الجواد في حلقات متماسكة الأسر.

وكانت العناية الإلهية تسدد الخطى وتكشف غياهب الدرب في سيل عقبات كبرى تتدافع كقطع الليل، ومفارقات تتلاطم كموج البحار.

وإنك لتقف معجباً أن يخوض الإمام غمار ذلك بحذر وتخطيط رساليين، وهو ابن ثماني سنوات في ذكاء متوقد لا يخبو، ونبوغ مبكّر تجاوز المألوف.

وكان مبعث هذا المناخ المديد في العبقرية وحسن التأتي منذ الصبا حتى الشهادة: كونه امتداداً طبيعياً لرسالة السماء في الأرض، ولا بد في مثل هذه الحقيقة الثابتة أن يستكمل الإمام ملكات آبائه وأجداده المعصومين في الإنابة والحكمة والعلم الموهبي، وأن يحمل بين جنبيه قلباً تتعهده لمسات الصفاء الروحي، وفكراً تتجاوب في آفاقه أصداء الوحي، «ولا غرابة حينئذٍ

ولا عجب؛ أن يكون هذا الصبي الموهوب قد حرص- منذ عهده الأول باستلهام أجواء بيته وعطاء بيئته، ومنذ بدئه بالتقاط ما يدور بين أبيه الإمام المتدفق العلم وتلك الأعداد الوافدة عليه من السائلين المتطلعين إلى المعرفة في شتى مجالاتها المفتوحة على الفكر الإنساني الواسع الآفاق -أن يزقّ ما يسمع زقاً، ويلتهم ما يصغي إليه التهاماً، ويستوعب جميع ذلك استيعاباً شاملاً، فيكون معدّاً منذ انطلاقة صباه الغض المتوهج، لما أراد الله تعالى له أن يكون، وأن يصبح بفضل هذه الملكات والمواهب ملء السمع والبصر، ومثار الإكبار والتقدير، ورمز التلألؤ الأخّاذ الذي تشير إليه الأنامل وتنعقد عليه الخناصر»[1].

وكانت إمامته المبكرة في السابعة من العمر مثار الدهشة والإعجاب بوقت واحد وبتأثير مزدوج، فها هو الإمام الثاني بعد أبيه يتقلد هذا المنصب الإلهي حذو القذة بالقذة، ويطل على هذا العالم بمثل تلك السن المتبرعمة، فجاء ذلك تأكيداً لصحة النص على إمامته شأنه في ذلك شأن أبيه من ذي قبل، هذا من جهة، وهو من جهة أخرى قد عقد العزم ورسّخ الثبات لدى أوليائه من أتباع أهل البيت في العقيدة والبعد المنهجي لهذا الخط الرسالي، فكان دليلاً إثر دليل، وحجة تلو حجة، فانهزم الجمع وولوا الدبر، فلله أمر هو بالغه.

وشبّ الفتى واكتملت رجولته فاقترن متزوجاً بالمرأة الطاهرة «حديثة»[2] وقيل: «سوسن»[3] وانفرد المسعودي بأن اسمها «سليل» وأورد أن الإمام علي

---

(١) محمد حسن آل ياسين/ الإمام علي بن محمد الهادي/ ١٩-٢٠.

(٢) ظ: الكليني/ الكافي ١/ ٥٠٣، المفيد/ الإرشاد/ ٢٦٠، الطوسي/ التهذيب ٦/٩٢، الأربلي/ كشف الغمة ٣/١٩٩ وسواها.

(٣) ظ: الكليني/ الكافي ١/ ٥٠٣، سبط بن الجوزي/ تذكرة الخواص/ ٣٧٦، ابن طلحة الشافعي/ مطالب السؤول ٢/ ٧٨، الشبلنجي/ نور الأبصار/ ١٥٣.

الهادي لما أدخلت عليه الفتاة، قال: «سليل مسلولة من الآفات والعاهات والأرجاس والأنجاس»(١) وكانت ذرية الإمام من هذه السيدة الطاهرة، وهم:

١- السيد محمد بن الإمام الهادي (ت٢٥٢هـ) في حياة أبيه، ودفن في قضاء بلد بين بغداد وسامراء(٢).

وهو اليوم في فسحة زراعية على يمين القاصد إلى سامراء بين الضلوعية وبلد، ويسمى في العراق «سبع الدجيل» ومشهده عامر بالزيارة تؤمه العباد من أقاصي البلاد، وهو مشهور باستجابة الدعاء عنده، وكشف الكربات لديه. وله ترجمة قيمة بقلم العلامة الشيخ محمد علي الأردبادي (ت١٣٨٢هـ) ألفها بكتاب اسمه: (محمد بن الإمام علي الهادي).

وكان السيد محمد من العبّاد والزهّاد وأهل العلم في زمانه.

٢- الإمام الحسن العسكري، وهو الإمام الحادي عشر.

٣- الحسين بن علي الهادي، والمدفون قرب أبيه في سامراء(٣).

٤- جعفر بن الإمام علي الهادي (ت٢٧١هـ) وهو المعروف بجعفر الكذاب، لأنه ادّعى الإمامة بعد أخيه الحسن العسكري، كما ذكر ذلك من ترجم له(٤).

وانفرد القندوزي بالقول: «لما ادّعى جعفر أن أخاه الحسن العسكري جعل الإمامة فيه، سمّي الكذاب... وقيل: إن جعفراً تاب ورجع عن دعواه الإمامة»(٥).

٥- ابنة واحدة(٦).

---

(١) المسعودي/ إثبات الوصية/ ٢٠٥.

(٢) ظ: ياقوت/ معجم البلدان ٢/٢٦٥.

(٣) ظ: محمد حسن آل ياسين/ الإمام علي بن محمد الهادي/ ٢٢.

(٤) ظ: ابن شهراشوب/ المناقب ٢/٤٤٢، الأربلي/ كشف الغمة ٣/٩٣، ابن عنبة الأودي/ عمدة الطالب/ ١٨٨، المجلسي/ بحار الأنوار ٥٠/٢٣١.

(٥) القندوزي/ ينابيع المودّة/ ٣٨٦.

(٦) ظ: في أولاد الإمام علي الهادي المصادر الآتية:
ابن شهراشوب/ المناقب ٢/٤٤٢، الأربلي/ كشف الغمّة ٣/١٧٧، المسعودي/ إثبات الوصية/ ٢٠٦، اليعقوبي/ التأريخ ٣/٢٢٥+ المفيد/ الإرشاد/ ٣٥٩، ابن الصباغ/ الفصول المهمّة/ ٢٦٥+ ياقوت/ معجم البلدان ٦/١٧٥، ابن حزم/ جمهرة أنساب العرب/ ٦١ طبعة القاهرة/ ١٣٨٢هـ.

واكتملت في الفتى معالم الرجولة الفذة، وانتشرت عبقات أنفاسه العطرة، فكان «أطيب الناس مهجة، وأصدقهم لهجة، وأملحهم من قريب، وأكملهم من بعيد، إذا صَمَتَ عليه هيبة الوقار، وإذا تكلم فسيماه البهاء، وهو من بيت الرسالة والإمامة، ومقرّ الوصية والخلافة، شعبة من دوحة النبوة منتضاة مرتضاة، وثمرة من شجرة الرسالة مجتناة مجتباة»[1].

وهكذا كان الإمام علي الهادي(ع) حديث الشاهد وأنشودة الوارد؛ صلابة في الإيمان ودقّة في النظرات، وثبات على المبدأ، رغم شدة الوطأة وتطرّف الدولة وجبروت السلطان، وقد لمس ذلك في صباه، وعانى شدائد زمنه لدى وفاة أبيه، فتسلّم الراية بمزيج من الآلام المتراكمة، وأمسك دفة القيادة بكثرة من المتاعب المضنية، واتجه لله متوكلاً عليه، واحتسب عناءه عنده، وقابل همومه المتناثرة في مناحي الحياة بالصبر وجهاد النزوات الطائشة، فكان يناضل في جبهتين: جبهة الوضع العام المتردي، وجبهة الحكم الصارم المتغطرس، والجبهة الأولى تؤرق الإمام حزناً على ما أصاب المسلمين من ضرر، وما حلّ بهم من نكبات، والجبهة الأخرى تحصي عليه حركاته وسكناته، سيما وقد تناهى إلى أجهزة مخابرات السلطان أنه صاحب الوصية من بين أهله، وأنه الإمام المفترض الطاعة في القوم، وأنه خليفة أبيه في قيادة الأمة بالنصٍّ.

فكيف كان ذلك وعرف؟ وقد اغتيل أبوه فجأة، وغادر الحياة في باكورة الشباب.

* * *

(١) ابن شهراشوب/ المناقب ٣/٥٠٥.

النصُّ على إمامة الهادي

أشار الإمام محمد الجواد(عليه السلام) قبل استدعائه إلى بغداد من قبل المعتصم إلى إمامة ولده علي الهادي بما لا يقبل الشك، فقد قال ما نصّه:

«الأمر من بعدي إلى ابني عليٍّ»[(١)].

وقال الإمام محمد الجواد عند اشتداد علته للخيراني الأب، بوساطة رسول خاص: **«إني ماضٍ، والأمر صائرٌ إلى ابني عليٍّ، وله عليكم بعدي ما كان لي عليكم بعد أبيٍ»**[(٢)].

يقول والد الخيراني: «وأصبحت وكتبت نسخة الرسالة في عشر رقاع، وختمتها ودفعتها إلى عشرة من وجوه أصحابنا، وقلت: إن حدث بي حدث الموت قبل أن أطالبكم بها فافتحوها واعملوا بما فيها.

فلما مضى أبو جعفر(عليه السلام) (يعني الإمام محمد الجواد) لم أخرج من منزلي حتى عرفت أن رؤساء العصابة قد اجتمعوا عند محمد بن الفرج يتفاوضون في الأمر، فكتب إليَّ محمد بن الفرج يعلمني باجتماعهم عنده، ويقول: لولا مخافة الشهرة لصرت معهم إليك، فأحب أن تركب إلي، فركبت وصرت إليه، فوجدت القوم مجتمعين عنده، فتجارينا في الباب، فوجدت أكثرهم قد شكُّوا فقلت لمن عنده الرقاع وهم حضور: أخرجوا

(١) المفيد / الإرشاد / ٣٦٩.

(٢) المصدر السابق نفسه.

تلك الرقاع، فأخرجوها، فقلت لهم: هذا ما أمرت به. فقال بعضهم: قد كنا نحبّ أن يكون معك في هذا الأمر آخر ليتأكد هذا القول!! فقلت لهم: قد أتاكم الله بما تحبون، هذا أبو جعفر الأسدي يشهد لي بسماع هذه الرسالة فاسألوه، فسأله القوم، فتوقف عن الشهادة، فدعوته إلى المباهلة، فخاف منها وقال: قد سمعت ذلك، وهي مكرمة كنت أحب أن تكون لرجل من العرب!! فأما مع المباهلة فلا طريق إلى كتمان الشهادة، فلم يبرح القوم حتى سلّموا لأبي الحسن(عليه السلام)»[١].

قال الشيخ المفيد (ت٤١٣هـ) بعد إيراد هذه النصوص:

«والأخبار في هذا الباب كثيرة جداً، إن عملنا على إثباتها طال بها الكتاب، وفي اجتماع العصابة على إمامة أبي الحسن(عليه السلام) وعدم من يدعيها سواه في وقته ممن يلتبس الأمر فيه، غنىً عن إيراد الأخبار بالنصوص على التفصيل»[٢].

ويبدو من النصوص المتوافرة في كثير من المصادر أن هذه الوصية كانت مكتوبة في نسخ متعددة.. وقد أشهد عليها أحمد بن أبي خالد مولى الإمام محمد الجواد، وشهد الحسن بن محمد بن عبد الله... بن الحسن بن علي بن أبي طالب(عليهم السلام)، وكتبت شهادته بيده، وشهد نصر الخادم وكتبت شهادته بيده[٣].

وكانت هذه العملية بأبعادها الثلاثة:

أ- النص على الإمام الهادي لدى والد الخيراني بعد إرسال رسول خاص إليه من قبل الإمام محمد الجواد.

ب- تكتم والد الخيراني عليها، وإثباتها في نسخ متعددة، والإشهاد على ذلك.

---

(١) المفيد/ الإرشاد/ ٣٧٠.

(٢) المصدر السابق نفسه.

(٣) ظ: الكليني/ الكافي ١/ ٣٢٥.

جـ- توزيع هذه النسخ على وجوه الأصحاب، لإلقاء الحجة وتأكيد الأمر.

تمثل شاهداً تأريخياً على شدة الوطأة وشدة الرقابة على الإمام محمد الجواد وأوليائه من قبل المعتصم، بما ألجأ إلى هذه الإجراءات السرّية، على أن الأمر قد اتضح تماماً بعد هذه الوصية التي عضدتها أدلة أخرى، فقد أورد الشيخ الصدوق (ت٣٨١هـ) عن ابن عبدون عن ابن قتيبة، عن حمدان بن سليمان، عن الصقر بن سليمان، قال:

سمعت أبا جعفر محمد بن علي الرضا(عليه السلام) يقول:

«إن الإمام بعدي ابني علي أمره أمري، وقوله قولي، وطاعته طاعتي، والإمامة بعده في ابنه الحسن»[١].

وفي هذه الرواية نصٌّ مزدوج على إمامة عليّ الهادي وابنه الحسن العسكري(عليهما السلام) من قبل الإمام المفترض الطاعة، وهو أصل نرجع إليه في إمامة علي الهادي، يضاف إليه كثير من الدلائل الأخرى التي صرحت باسمه، فعن أحمد بن هلال عن القيسي (أمية بن علي) قال:

قلت لأبي جعفر الثاني(عليه السلام): من الخلف من بعدك؟

قال: **«ابني علي...»**[٢].

وفي نص ذي دلالة أوسع عن القيسي عن أبي الهيثم عن الإمام جعفر الصادق(عليه السلام):

«إذا توالت ثلاثة أسماء كان رابعهم قائمهم: محمد وعلي والحسن»[٣].

---

(١) الصدوق/ كمال الدين وتمام النعمة ٢/ ٥٠.

(٢) النعماني/ الغيبة/ ١٨.

(٣) الصدوق/ كمال الدين وتمام النعمة ٣/ ٣٣٤.

وقد أورد الشيخ المفيد في دلائل إمامته القول:

«وكان الإمام بعد أبي جعفر(عليه السلام) ابنه أبا الحسن علي بن محمد(عليه السلام) لاجتماع خصال الإمامة فيه، وتكامل فضله، وأنه لا وارث لمقام أبيه سواه، وثبوت النصّ عليه بالإمامة، والإشارة إليه من أبيه بالخلافة»(١).

وقد فصل القول في هذه الأصول تفصيلاً موفقاً المغفور له السيد محسن الأمين الحسيني العاملي(٢).

وكان هذا النص وتلك الخصائص المميزة مصدر متاعب كبرى للإمام من قبل العباسيين الذين تولوا مهمة التنكيل بأئمة أهل البيت(عليهم السلام) بشتى الأساليب، كما سترى هذا في موقعه من الكتاب.

* * *

(١) المفيد/ الإرشاد/ ٢٦٨.

(٢) الأمين الحسيني العاملي/ أعيان الشيعة/ ق٣/ جـ٤/ ٢٥٦-٢٦٦.

الإمام في الرأي الآخر

ليس أمراً جديداً أن يكون الإمام علي الهادي(ع) ذلك العبير المتفتح على آفاق الأمة، فينضحها عطراً، ويغمرها طيباً، ويكون في مكوّناته حديث الشارد والوارد، كريماً في قوامه، عظيماً عند أوليائه، مهاباً لدى العامة، قدّيساً عند الخاصة.

والإمام في ميزان التقييم الاجتماعي في عداد القادة الأفذاذ سلوكاً وإرادة وإدارة، وفي مستوى الحدث التاريخي في ظرفه العصيب هو ذلك الحذر المتيقظ والرائد المتحفز في سدّ الثغرات المتطايرة بأمواج الأرعاد والأزباد والفتن، يشقها بجبين وضاح، وهو لدى أتباعه المنقذ من الضلال، والإمام المفترض الطاعة، والقائم بأمر الشريعة الغراء في شؤون الدنيا والدين، بل هو صاحب الولاية الإلهية والخلافة الشرعية لا ينازعه فيها أحد.

والإمام في الرأي الآخر على جانب كبير من الأهمية والاعتزاز والإكبار «كان وارث أبيه علماً وسخاءً»[١] و«كان متعبداً فقيهاً إماماً»[٢].

وأقسم أبو عبد الله الجنيدي فيه «والله تعالى لهو خير أهل الأرض، وأفضل من برأه الله تعالى»[٣].

---

(١) ابن حجر/ الصواعق المحرقة/ ٢٠٥.

(٢) اليافعي/ مرآة الجنان ٢/ ١٦٠.

(٣) المجمع العالمي لأهل البيت/ الإمام محمد الجواد/ ٢٢عن مآثر الكبراء ٣/ ٩٦.

وقال القرماني الدمشقي: «وأما مناقبه فنفيسة، وأوصافه شريفة»[(١)].

وفي حديث ليزداو الطبيب النصراني في عهده عنه: «إن كان مخلوق يعلم الغيب فهو»[(٢)].

وأورد ابن الصبّاغ المالكي ملخصاً إجمالياً عن خصائص الإمام فيما يراه أهل العلم فقال:

«فضل أبي الحسن علي بن محمد الهادي قد ضرب على المجرة قبابه، ومدّ على نجوم السماء أطنابه، فما تعدّ منقبة إلاّ وإليه نحيلتها، ولا تذكر كريمة إلاّ وله فضيلتها، ولا تورد منقبة إلاّ وله تفصيلها وجملتها، ولا تستعظم حالة سيئة إلا وتظهر عليه أدلتها، استحق بذلك بما في جوهر نفسه من كرم تفرد بخصائصه، ومجد حكم فيه على طبعه الكريم... فكانت نفسه مهذبة، وأخلاقه مستعذبة، وسيرته عادلة، وخلاله فاضلة، ومبرّاته إلى العفاة واصلة، وربوع المعروف بوجوده عامرة آهلة، جرى من الوقار والسكون والطمأنينة والعفّة والنزاهة والنباهة على وتيرة نبوية، وشنشنة علوية، ونفس زكية، وهمّة عليّة لا يقاربها أحدٌ من الأنام ولا يدانيها، وطريقة حسنة لا يشاركه فيها خلق ولا يطمع فيها»[(٣)].

ولم يكن هذا الثناء العاطر والتقييم المتطاول إلى القمم، نتيجة عاطفة أو تمحور أو تعصّب، وإنما هو النموذج الموضوعي في إثبات الحقيقة ناصعة مجرّدة عن الدوافع والأولاع والرغبات، لأنها صادرة عن محايد مالكي المذهب.

وقال يحيى بن هرثمة -وقد أرسله المتوكل العباسي لإشخاص الإمام من المدينة إلى سامراء-:

---

(١) القرماني/ أخبار الدول/ ١٧٧.

(٢) المجلسي/ بحار الأنوار ٥٠/ ١٦١.

(٣) ابن الصبّاغ/ الفصول المهمة/ ٢٨٢-٢٨٣.

«فذهبت إلى المدينة، فلمّا دخلتها ضجّ أهلها ضجيجاً عظيماً ما سمع الناس بمثله خوفاً على عليّ الهادي، وقامت الدنيا على ساق، لأنه كان محسناً إليهم، ملازماً للمسجد، لم يكن عنده ميلٌ إلى الدنيا...»[١].

واقتصر ابن كثير على أن الإمام «أحد الأئمة الاثني عشر، وهو والد الحسن بن علي العسكري، وقد كان عابداً زاهداً..»[٢].

وقال عنه كمال الدين، محمد بن طلحة الشافعي:

«وأمّا مناقبه: فمنها ما حلّ في الآذان محل حلاها بأشنافها، واكتنفته شغفاً به اكتناف اللآلئ الثمينة بأصدافها، وشهد لأبي الحسن أن نفسه موصوفة بنفائس أوصافها، وأنها نازلة من الدوحة النبوية في ذرى إشرافها، وشرفات أعرافها»[٣].

وقال محمد سراج الدين الرفاعي:

«الإمام علي الهادي بن الإمام محمد الجواد، ولقبه النقي، والعالم، والفقيه، والأمير، والدليل، والعسكري، والنجيب»[٤].

وعرض محمد أمين غالب الطويل لصفته وأهمية إمامته، وكيفية اعتقاله فقال:

«كان حسن الخلق حتى لم يشك أحد في عصمته، ولكن خطر الإمامة أوهم الخليفة المتوكل بالخطر، وقد وُشي به إليه أنه جمع في بيته معدات وأسلحة استعداداً للخروج عليه والادّعاء بالخلافة، وقد اختار الخليفة العساكر التركية لسوء ظنه بالعرب والمسلمين، لأنهم يعرفون من الأحقّ

---

(١) سبط بن الجوزي/ تذكرة الخواص/ ٢٠٢.

(٢) ابن كثير/ البداية والنهاية ١١/١٥.

(٣) ابن طلحة/ مطالب السؤول/ ٨٨.

(٤) المجمع العالمي/ الإمام علي بن محمد الهادي/ ٢٣ عن صحاح الأخبار/ ٥٦.

بالخلافة، أمّا الأتراك فكانوا حديثي عهدٍ بالإسلامية، وكانوا لا يعرفون غوامضها، بل كانوا يناصرون العباسيين الّذين اعتادوا التزوج من بنات الأتراك»[١].

وقال فضل الله بن روزبهان الشافعي:

«اللهم صلِّ وسلم على الإمام العاشر مقتدى الحي والنادي، سيد الحاضر والبادي، حارز نتيجة الوصاية والإمامة من المبادي، السيف الغاضب على رقبة كل مخالف معادي، كهف الملهوفين في النوائب والعوادي، قاطع العطش من الأكباد الصوادي، الشاهد بكمال فضله الأحباب والأعادي، ملجأ أوليائه يوم ينادي المنادي، أبي الحسن علي النقي الهادي بن محمد الشهيد بكيد الأعداء...»[٢].

وتحدث السيد عبد الوهاب البدري السامرائي عن جزء من خصائص الإمام، فقال:

«وبقي الإمام الهادي يتنقل في مجالس سامراء، يواسي ذوي المصاب ويساعد المحتاج، ويرحم المساكين، ويشفق على اليتيم، ويدلف ليلاً إلى الأرامل والثكالى وثوبه كله (صرر) فينثرها عليهم **﴿إِنَّما نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللهِ لا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزاءً وَلا شُكُوراً﴾**[٣] يذهب نهاره إلى عمله فيقف تحت الشمس يعمل في مزرعته حتى يتصبب العرق من جسمه، وعندما يقبل الليل يتجه إلى ربّه ساجداً راكعاً خاشعاً، ليس بين جبينه الوضاح وبين الأرض سوى الرمل والحصى، وإنه يردد دعاءه المشهور: «**إلهي! مسيءٌ قد ورد، وفقير قد قصد، لا تخيّب مسعاه، وارحمه واغفر له خطأه**»[٤].

---

(١) محمد أمين غالب/ تأريخ العلويين/ ١٦٧.

(٢) المجمع العالمي/ الإمام علي بن محمد الهادي/ ٢٦، وانظر مصدره.

(٣) سورة الدهر/ الآية ٩.

(٤) عبد الوهاب البدري/ سيرة الإمام علي الهادي/ ٥٩.

واقتصر الذهبي على القول بأنه «كان فقيهاً إماماً متعبداً»[١].

وأكدّ سبط بن الجوزي على ساحة كرمه وسخائه فقال:

«كان أبسط الناس كفاً، وأنداهم يداً، وكان على غرار آبائه الذين أطعموا الطعام على حبه مسكيناً ويتيماً وأسيراً، وكانوا يطعمون الطعام حتى لا يبقى لأهلهم طعام، ويكسونهم حتى لا يبقى لهم كسوة»[٢].

وأشار خير الدين الزركلي مُختصراً بقوله: «أبو الحسن العسكري علي الملقّب بالهادي، عاشر الأئمة الاثني عشر، وأحد الأتقياء الصلحاء»[٣].

ولفت النظر الأستاذ دوايت.م. رونلدسن على اتجاه الأقاليم نحو الإمام لأخذ العلم عنه، فقال:

«قصده كثيرون للأخذ عنه من البلاد التي يكثر فيها شيعة آل محمد، وهي: العراق وإيران ومصر»[٤].

وهناك إجماعٌ لدى الباحثين من الوجه الآخر أن الإمام يتصف بكونه عابداً فقيهاً إماماً، وهي شرائط المنصب الإلهي في كتب الأحكام السلطانية، وكان قد نصّ على هذه الظواهر -فضلاً عن الذهبي وسواه كما تقدم- عالمان جليلان هما:

١. القندوزي الحنفي بقوله: «كان أبو الحسن الهادي عابداً فقيهاً إماماً»[٥].

٢. ابن العماد الحنبلي بقوله: «كان فقيهاً إماماً متعبداً»[٦].

---

(١) الذهبي/ العبر ١/٣٦٤.

(٢) سبط بن الجوزي/ صفوة الصفوة ٢/٩٨.

(٣) خير الدين الزركلي/ الأعلام ٥/١٤٠.

(٤) رونلدسن/ عقيدة الشيعة/ ٢١٥.

(٥) القندوزي/ ينابيع المودّة/ ٣٨٦.

(٦) ابن العماد الحنبلي/ شذرات الذهب ٢/١٢٨.

وجاءت صفة الإمام عن الأربلّي بأنه:

«كانت نفسه مهذّبة، وأخلاقه مستعذبة، وسيرته عادلة، وخلاله فاضلة، ومَبارّه إلى العفاة واصلة... إذا قال بذّ الفصحاء وحيّر البلغاء وأسكت العلماء... هذه صفاته التي تتعلق بذاته، وعلاماته الدالة على معجز آياته، فإن أتى الناس بآبائهم أتى بقوم أخبر بشؤونهم (هل أتى) ودلت على مناصبهم (آية المباهلة) وإن عتا عن قبولها من عتا... فهم أمناء الله وخيرته، وخلفاؤه على بريته وصفوته»[1].

ولعل الرأي الآخر في الإمام كان أكثر وضوحاً، وأبلغ إقراراً واعترافاً، وألزم حجةً ودليلاً: حينما يكون صادراً ممن خاف على حكمه من الإمام ورآه عقبة في طريق سلطانه، وهو المتوكل العباسي الذي أشخصه إلى سامراء بكتابه إليه:

«إن أمير المؤمنين (يعني نفسه) عارف بقدرك، راع لقرابتك، موجب لحقك، مؤثر في الأمور فيك وفي أهل بيتك لما فيه صلاح حالك وحالهم، وتثبيت عزّك وعزّهم، وإدخال الأمر عليك وعليهم، يبتغي بذلك رضا الله وأداء ما افترضه عليه فيك وفيهم... وأمير المؤمنين مشتاق إليك، ويحبّ إحداث العهد بقربك، والتيمّن بالنظر إلى ميمون طلعتك المباركة»[2].

وفي ضوء ما تقدم مما لا مغالاة به، يبدو الإمام علي الهادي(ع) في الرأي الآخر صورة حيّة لإنسان مثالي رائع الشخصية فيما احتضن من خصائص تتسم بالعزة والهيبة من جهة، وبالعلم والعبادة والتقوى من جهة أخرى، وتتمتع بالقبول لدى المسلمين لما عرف عنه من الورع والعزوف عن الدنيا، وبما اضطمت عليه جوانحه من المعارف الإنسانية، وبما ضربه

(١) الأربلّي/ كشف الغمة ٣/١٩٣-١٩٥.

(٢) الكليني/ أصول الكافي ١/٥٠٢.

مثلاً في الإنابة والإخبات لله تعالى، ترافقه الدعة في الكوارث وتوالي الأزمات، حتى طار صيته في الآفاق، واشتهر أمره في الأقاليم، وبدا بوضوح ممثلاً للهدي الديني، ومنظّراً للفكر العقائدي، فكان الداعية والمرشد والهادي، وهنا نجد لقبه في عنوانه مطابقاً للمعنون في تطبيقاته، وذلك ما يدعو البحث أن يشير إلى تداعيات هذا الملحظ عند الإمام في الوقوف عند مميزاته المتأصلة وقفة العرض والتأكيد.

❊ ❊ ❊



مميزات الإمام وخصائصه

تمهيد:

نهد الإمام علي الهادي(عليه السلام) بقيادة الأمة، وتولّى مهامّ الإمامة في السابعة من العمر، وكانت حدّة الجدل قد هدأت في شأن الإمامة بسنٍّ مبكرة، بعد أن ثبت بالدليل الميداني تمرس أبيه بشؤون منصبه القيادي منذ السابعة حتى استشهاده في أول الشّباب، وكانت إشكالية هذا الملحظ قد تبددت تدريجياً، واختفت ملامحها بانزياحها عن الاستبعاد تماماً، ذلك بما حققه الإمام محمد الجواد من إيجابيات فذّة أدارت متطلبات الإمامة بأصالة متناهية، يضاف إلى ذلك ما ثبت بالعيان من كفايته النادرة في حسن التأتي ومعالجة الأمور، وما سيّره من القيم والمثل العليا في الأفكار وهي تنبض بالحركة والحياة، وما نشره بين الناس من غرر المعارف وأمهات العلوم.

وجاءت إمامة علي الهادي المبكرة دعماً لأطروحة أهل البيت(عليهم السلام) في أن العقل البشري السليم قد احتج للإمامة بما احتج به للنبوة تبعاً لما عرضه القرآن الكريم بالنسبة ليحيى(عليه السلام) إذ قال تعالى: ﴿وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيّاً﴾[1] فلم تعد هذه المسألة لتثار إذ أعطت دليلاً مفحماً للخصم بما حملت من نتائج إيجابية تسدّ مدارج النقاش والجدل، وتدعو إلى الإذعان بما ضمت من براهين قاطعة.

---

(١) سورة مريم/ الآية ١٢.

لهذا وذاك فإن خصائص علي الهادي ستكون متفرعة من ذلك الأصل المتجذر الذي ورثه عن آبائه وأجداده في ظله الوريف الممتد إلى ميادين واسعة من العناصر المتميزة في مضامينها الشاملة، ومفاد هذا التشابك أنها تتطلب معجماً أخلاقياً حاشداً بمفردات تلك الشمائل، وظواهر تلك المميزات، على أن ما لا يدرك كله لا يترك كله، لذا ستكون الإشارات بخصائص الإمام وكمالات ذاته، موجزة في العرض، ومجملة في الأداء، ذلك في ضوء ما أشير إليه في مجاهيل التأريخ، وفرض نفسه على التدوين السلطوي للأحداث، فتأريخنا رسمي الأثر في أبعاده العامة، وما تطاير منه يميناً وشمالاً إنما يعبّر عن غيض من فيض تلك البوادر التي ذهب أكثرها خوفاً أو طمعاً، وما سلم منها إلا القليل النادر، وهكذا نلتمس عناصر الخلود في شخصية الإمام في ظل هذا المناخ الذي غطّى بضبابيته القاتمة كل ما يمت لأهل هذا البيت من صلة، ذلك أن تأريخهم بوجهه المشرق النقي يتقاطع تقاطعاً كبيراً مع الخط السلطاني الدكتاتوري القائم في العصرين الأموي والعباسي، وفيهما بدأ التدوين التأريخي بمباركة رسمية، وتلك حقيقة ثابتة لا يختلف فيها اثنان، ومع هذا وذاك فللتأريخ الموجز المعمّق أن يخترق الحدود السلطانية في الكتمان والتزييف المتعمد، فتضع يدك وقلمك على شذرات ثمينة من سيرة أهل البيت(ع)، ومن هذا الإمداد المحدد سنشير إلى جزء من تلك القبسات المضيئة بين يدي هذا العرض.

١- الإنابة إلى الله تعالى:

وتلك ظاهرة أساسية تداولها أئمة أهل البيت(ع) حتى عادت عند الإمام جزءاً من ذاته، وثمرة من جهاد النفس، وسمة لا تنفك عن التركيبة الشخصية لكل إمام، وذلك نتيجة طبيعية للزهد في الدنيا، والورع حتى أمام الجزئيات، والتجرد عن مظاهر الترف، والإعراض عن زخارف الحياة.

وهكذا كان الإمام علي الهادي(عليه السلام) جوهراً خالصاً لتلك النزاهة في أرقى مراتبها البشرية، فآثر ما عند الله احتساباً وتمسك به بعيداً عن المباهج والحياة الفارهة، فاحتاط لنفسه بالإخبات المستديم، واحتاط لأمته بالتورّع الحثيث، فما رؤي إلاّ دليلاً على الحق وهادياً إلى سواء السبيل، وذلك أرفع درجات الإنابة التطبيقية.

أما إحياؤه الليل بالصلوات والمناجاة، وإتيانه النوافل والسنن، وتلاوته القرآن العظيم، فتحفل بها كتب الفقه والحديث والدعاء وسواها[١].

وكان التجاؤه إلى الله تعالى، وتوكله عليه في الشدائد والأزمات من أبرز صفاته التصاقاً، إذ يقول:

«إن الله تعالى عَلِمَ منّا أنّا لا نلجأ في المهمات إلاّ إليه، ولا نتوكل في الملمّات إلاّ عليه، وعوّدنا إذا ما سألناه الإجابة، ونخاف أن نعدل فيعدل بنا»[٢].

ولك أن تقف عند الفقرة الأخيرة «**ونخاف نعدل فيعدل بنا**» في دلالتها الإيحائية لأتباعه وأوليائه في التوكل على الله وحده، والالتجاء إليه دون سواه، وإذا عدل الإنسان -كما في توجيه الإمام- عن الله إلى غيره، عدل به عن ذاته المقدسة وأسلمه إلى هواه.

وكان الإمام متقشفاً لا يعبأ بشيء من الحطام، ولا يقتني ما لا حاجة ملحّة إليه، فقد داهمته أجهزة النظام العباسي في المدينة المنوّرة حيث النشأة الأولى، وفي سامراء حيث الإقامة الجبرية، وفتشوا دار الإمام في نواحيها كافة، فما وجدوا إلاّ المصاحف الشريفة وكتب العلم، وشوهد

(١) ظ: الحر العاملي/ وسائل الشيعة ٤/ ٧٥٠ وما بعدها.

(٢) الطوسي/ الأمالي/ ٢٨٥، ابن شهرآشوب/ المناقب ٤/ ٤٤٢.

الإمام و«عليه جبّة صوف... وسجادته على حصير بين يديه، وهو مقبل على القبلة»[(١)].

ولا شيء في دار الإمام من أثاث منظور، ولا مقتنيات تلفت النظر، ولا آليات العيش المتكامل.

٢- التواضع والعمل الحر:

وأردف الإمام(ﷺ) هذه الإنابة بالتواضع العظيم، فهو فرد من أفراد هذه الأمة له ما لها وعليه ما عليها، مع جليل المنزلة ووفير الزلفة ومنصب الإمامة، ولكن ذلك لا يمنعه أن يكون بالمستوى الرفيع في المنظور الاجتماعي، فلا أبراج عاجيّة في حياة أهل البيت، ولا تمايز في الطبقات عند الإمام، فهو يحترم الكبير ويعطف على الصغير، ويعظّم أهل الدين، ولا يأبى أن يكون أسوة للجميع في مدارج الحياة، ولا يأنف أن يجد له عملاً يشاركهم فيه متطلبات العيش، وما غنم يتولى إعالة أهله بذاته، ويكدّ كدّ الكادحين في طلب رزقه، حتى أنه يحرث الأرض، ويغرس الشجر، ويمتهن الزراعة، فقد روى علي بن حمزة: «رأيت أبا الحسن الثالث يعمل في أرض، وقد استنقعت قدماه من العرق، فقلت له: جعلت فداك، أين الرجال؟ فقال الإمام: **يا علي قد عمل بالمسحاة من هو خير مني ومن أبي في أرضه!!** قلت: من هو؟

قال: **رسول الله(ﷺ)، وأمير المؤمنين، وآبائي كلهم عملوا بأيديهم، وهو من عمل النبيين والمرسلين والأوصياء الصالحين**»[(٢)].

وقد استقى الإمام روافد هذه السيرة من جده أمير المؤمنين علي(ﷺ) حينما كان يستقي على ناضح له في مزارع المدينة المنوّرة، وذلك دليل

---

(١) المفيد/ الإرشاد/ ٣٧٢.

(٢) الصدوق/ من لا يحضره الفقه ١٦٢/٣.

رفعة النفس في العمل المتواضع مضافاً إلى السلوك المتواضع، وهما من أصدق الخصائص النفسية.

ولعل هذه السيرة في الإخبات والتواضع هي التي مكّنت له الهيبة في قلوب العباد، ويسّرت الالتفاف حوله رغم تعقب السلطان له، فقد روي عن محمد بن الحسن الأشتر العلوي، قال:

«كنت مع أبي بباب المتوكل، وأنا صبي، في جمع من الناس ما بين طالبي إلى عباسي إلى جندي إلى غير ذلك، وكان إذا جاء أبو الحسن(عليه السلام) ترجّل الناس كلهم حتى يدخل. فقال بعضهم لبعض: لم نترجّل لهذا الغلام؟ وما هو بأشرفنا، ولا بأكبرنا، ولا بأسننا، ولا بأعلمنا؟

فقالوا: والله لا ترجلنا له!! فقال لهم أبو هاشم:

والله لترجلنّ له صغاراً وذلة إذا رأيتموه!!

فما هو إلا أن أقبل وبصروا به فترجل له الناس كلهم!!

فقال لهم أبو هاشم: أليس زعمتم أنكم لا تترجلون له؟

فقالوا: والله ما ملكنا أنفسنا حتى ترجّلنا»[١].

وهذا ما أكده المأثور من القول «من تواضع لله رفعه».

وكانت هذه الهيبة تفرض نفسها بنفسها، وتتجاذب أصداءها دون مؤثر خارجي، فلا إعداد لها، ولا حماية، ولا حاشية، ولا إعلام، وإنما هي نتيجة منطقية لهبة إلهية مقصود إليها ذاتياً باعتبار الإمام خليفة الله في عباده، لأنه أعلم أهل الأرض وأورعهم وأتقاهم وأزهدهم، وأفضلهم حسباً ونسباً ومنزلةً، وأكرمهم على الله تعالى، ومن توافرت فيه هذه المميزات، كتبت له الهيبة في قلوب العباد، وكان المنظور إليه إجلالاً وإكباراً، لينسجم ذلك كله

---

(١) المجلسي/ بحار الأنوار ٥٠/ ١٣٧، ابن شهرآشوب/ المناقب ٤/ ٤٠٧.

مع كيان المنصب الإلهي في الخلافة الشرعية لا الخلافة الرسمية، وهـذا مـا تمثل في الإمام علي الهادي(ع).

لقد دفع المتوكل بأربعة أسياف لأربعة من الخزر، وأمرهم أن يرطنوا بألسنتهم إذا دخل الإمام، ويقتلوه بأسيافهم، ودخل الإمام فلما بصروا به خروا بين يديه سجداً، ولما خرج الإمام دعاهم المتوكل قائلاً: لِمَ لم تفعلوا ما أُمرتم به؟ قالوا: شدّة هيبته، ورأينا حوله ما منعنا عما أمرت به، فامتلأت قلوبنا ذعراً[(١)].

ولك أن تفسر هذه الظاهرة بما تشاء.

٣. الكرم التلقائي:

ولم يكن كرم الإمام الهادي وسخاؤه متكلفاً، وإنما مما طبعت عليه نفسه، وجبلت عليه ذاته، كرماً تلقائياً، وسخاءً ذاتياً، فما ردّ طالب حاجة قط، ولا بخل على فقير بمال أو إكساء أو إطعام، يستغاث به فيغيث، ويطلب إليه فيجود، يستبق إلى الخيرات، ويسارع في المكارم، ويبادر إلى المبرّات، وكان توخي الجميل من الأثر، واصطناع المعروف في الحال من مآثره التي سارت بها الركبان، حتى عادت نوادره في البِر والإيثار فضرب المثل في أمثلة حيّة ونماذج فريدة، وللبحث أن ينتقي من كل حقل زهرة، ومن كل أفق ألقاً، ومن كل نهر غرفة.

أ- دخل أبو عمرو عثمان بن سعيد، وأحمد بن إسحاق الأشعري، وعلي بن جعفر الهمداني على أبي الحسن العسكري، فشكا إليه أحمد بن إسحاق ديناً عليه، فقال: يا أبا عمرو -وكان وكيله- ادفع إليه ثلاثين ألف دينار، وإلى علي بن جعفر ثلاثين ألف دينار، وخذ أنت ثلاثين ألف دينار[(٢)].

---

(١) ظ: المجلسي/ بحار الأنوار ٥٠/١٩٧ وانظر مصدره.

(٢) ابن شهرآشوب/ المناقب ٣/٥١٢، المجلسي/ بحار الأنوار ٥٠/١٧٣.

وهذا سخاء من لا يخاف الفقر، وكرم من يسعى لإغناء أوليائه، فالمبالغ هذه ذات قوة شرائية كبرى آنذاك، فالدينار هو الدينار الذهبي، ولعله بذلك أراد استثمار هذا المال الكثير في مشروع ما لصيانة أوليائه من الفقر، ولعله أراد إنعاش طائفة كبيرة من المحرومين في بذل هذه المبالغ الضخمة، سيما وأن هؤلاء الثلاثة من ثقات أصحابه، وهم طرقه إلى متابعة ذوي الفاقة، ليصيب برّه في ذلك مواقعه لدى المحتاجين.

ب- والإمام قد يحقق النصح، ويسيّر التوجيه، ويذكّر بالعافية، ويدفع إلى شكر المنعم تعالى من خلال الهبة الوادعة، فيرتفع بمستوى من يريد السؤال إلى مصافً الأبرار والمقربين وهذا ما فعله مع أبي هاشم الجعفري، فقد روى أبو هاشم نفسه، قال: «أصابتني ضيقة شديدة فصرت إلى أبي الحسن علي بن محمد(ع)، فأذن لي، فلما جلست قال:

يا أبا هاشم أيّ نعم الله عزّ وجلّ عليك تريد أن تؤدي شكرها؟

قال أبو هاشم: فوجمت فلم أدرِ ما أقول!!

فابتدأ(ع) فقال: **رزقك الإيمان فحرّم بدنك على النار، ورزقك العافية فأعانك على الطاعة، ورزقك القنوع فصانك عن التبذل. يا أبا هاشم: إنما ابتدأتك بهذا لأني ظننت أنك تريد أن تشكو لي من فعل بك هذا، وقد أمرت لك بمائة دينار فخذها**»[1].

جـ- وقد يلتمس الإمام لدى أرحامه وأوليائه حاجة ماسة إلى طعام ما، فيؤكد عليه في تقسيمه بينهم، وبرّهم بما هم تواقون إليه، فقد حدّث إسحاق الجلاّب: «اشتريت لأبي الحسن غنماً كثيرة، فدعاني فأدخلني في إسطبل داره إلى موضعٍ واسعٍ لا أعرفه، فجعلت أفرق تلك الغنم فيمن

(١) الصدوق/ الأمالي/ ٤١٢.

أمرني به، فبعثت إلى أبي جعفر وإلى والدته وإلى غيرهما ممن أمرني، ثم استأذنته في الانصراف»[1].

د- وقد أدرك البحث أن الإمام قد يستنقذ الحق والمال حتى من البلاط العباسي لإغاثة الملهوفين، وفي ذلك تقليب لوجه الأمر في تلبية الاحتياجات، وحركة فعلية في توخي مصادر الإحسان.

فقد روي بطرق مختلفة أن الإمام(ع) خرج من قصبة سامراء لمهمّ عرض له، فقصده رجل من الأعراب قائلاً: «أنا رجل من أعراب الكوفة المتمسكين بولاية جدك علي بن أبي طالب(ع)، وقد ركبني دين فادح أثقلني حمله، ولم أرَ من أقصده لقضائه سواك».

فقال له أبو الحسن(ع): «**طب نفساً، وقرّ عيناً**». وأمره بالامتثال لما يقرر الإمام، فكتب له ورقة بخطّه: إن الأعرابي عليه ديناً، وعيّن مقداره، وقال له: «**احضر إليّ وعندي جماعة فطالبني به، وأغلظ القول**».

ووصل الإمام إلى سامراء، وحضر عنده جماعة من رجال الحكم وسواهم، فجاء الأعرابي وأخرج الورقة، وطالب الإمام فوعده بالوفاء، وتناهى الخبر إلى المتوكل، فأمر بحمل ثلاثين ألف درهم للإمام، فحملت إليه.

وجاء الأعرابي، فقال له الإمام:

«**خذ هذا المال واقض منه دينك، وأنفق الباقي على عيالك وأهلك، واعذرنا**».

قال الأعرابي: يا ابن رسول الله! والله إن أملي كان يقصر عن ثلث هذا، ولكن: «الله أعلم حيث يجعل رسالته» وأخذ المال وانصرف[2].

---

(١) الصفار/ بصائر الدرجات/ ٤٠٦.

(٢) ابن الصباغ/ الفصول المهمة/ ١٧٨-١٧٩، الأربلي/ كشف الغمّة ٣/ ٢٣٠-٢٣١، المجلسي/ بحار الأنوار ٥٠/ ١٧٥. بتصرف.

هذه اللمحات المتنقلة في أجواء مختلفة من السخاء، اقتصرنا عليها نموذجاً لآفاق متعددة، وهي بدلالتها تشكل ظاهرة متوارثة من خصائص الإمام النفسية.

٤. استجابة الدعاء:

وكان الإمام علي الهادي بما أجمع عليه المؤرخون مستجاب الدعوة، وله في ذلك دلائل وشواهد، فقد ألح عليه ابن الخصيب في الدار التي نزلها، وطالبه بالانتقال منها، وتسليمها إليه، فقال له الإمام(عليه السلام) متوعداً:

«لأقعدن لك من الله مقعداً لا تبقى لك معه باقية» فأخذه الله في تلك الأيام وقتل[(١)].

وكان المرضى يتذرعون إلى الإمام الهادي طالبين إليه الدعاء لهم فيدعو لهم فيبرؤون[(٢)].

ويتوسل إليه السجناء بالدعاء لهم بالخلاص مما هم عليه من الشدائد، فيفعل ذلك، فتفك عنهم القيود، ويخلّى لهم السبيل[(٣)].

وكذلك الحال عند الملمات والمداهمات والشدائد[(٤)].

وهذا باب متسع المنافذ والحلقات لأنه مستند إلى تكرر الحالات من جهة، ومرتبط برقة أدعية الإمام من جهة أخرى، فهو ذو دعاء خالص وصاحب مناجاة رقيقة، وقد علم جملة من أوليائه بعض أدعيته وقال: هذا الدعاء كثيراً ما أدعو الله به، وقد سألت الله أن لا يخيب من دعا به في مشهدي بعدي، وهو: «**يا عدتي عند العدد، ويا رجائي والمعتمد، ويا**

---

(١) ظ: المفيد/ الإرشاد/ ٣١١، الطبرسي/ إعلام الورى/ ٣٤٢.

(٢) ظ: الأربلي/ كشف الغمة ٣/٢٥١.

(٣) ظ: الكشي/ الرجال/ ٥٠٦، المجلسي/ البحار ٥٠/١٤٠.

(٤) ظ: الكشي/ الرجال/ ٥٠٥، المجلسي/ البحار ٥٠/١٢٧.

كهفي والسند، ويا واحد يا أحد، يا قل هو الله أحد، أسألك بحق من خلقته من خلقك، ولم تجعل في خلقك مثلهم أحداً، أن تصلي عليهم، وتفعل بي كذا وكذا...»[١].

وقد أورد الحر العاملي للإمام(عليه السلام) دعاءً عند الشدائد، وكان يدعو به إذا ألمّت به حادثة، أو جل به خطب، أو أراد قضاء حاجة مهمة، وهو دعاء شامل في نهاية البلاغة[٢].

وكانت مناجاته، تنم عن عظم تعلقه بالله، وعظيم الاستكانة له، ولطف المسألة منه، ومنها هذه المناجاة المختصرة: «**إلهي صل على محمد وآل محمد، وارحمني إذا انقطع من الدنيا أثري، ومُحي من المخلوقين ذكري، وصرت من المنسيين كمن نسي، إلهي كبر سني، ورقّ جلدي، ودقّ عظمي، ونال الدهر مني، واقترب أجلي، ونفدت أيامي، وذهبت شهواتي، وبقيت تبعاتي، إلهي ارحمني إذا تغيرت صورتي...**»[٣] ومن كانت هذه مناجاته استجيب دعاؤه.

❊ ❊ ❊

(١) ظ: المجلسي/ البحار ٥٠/١٢٧-١٢٨ وانظر مصدره.

(٢) الحر العاملي/ وسائل الشيعة ٥/٦٢.

(٣) ظ: باقر شريف القرشي/ حياة الإمام علي الهادي/ ٣٧ عن الدر النظيم.

الوعي الرسالي في شخصية الإمام

في عصرٍ تضاءلت فيه القيم الاجتماعية، وعصفت به رياح الانحراف، واشتدت حملات الإرهاب الدموي في ظل حياة سياسية صاخبة، ومتاهات استبدادية مظلمة.. كان الإمام يقظ الضمير متكامل التفكير في بث الوعي الرسالي بين صفوف الأمّة، عاملاً على إنقاذ الشعب المسلم من هاوية الانحدار في مزالق المادة وشبهات الضلال، فأقام من نفسه شاخصاً شامخاً في الرفض، وعلماً بارزاً في التحدي، وعمل ما استطاع إلى ذلك سبيلاً، وأرسل وكلاءه وأولياءه دعاة للحق، منذرين من التخاذل، مبالغين في صدّ هجمات الانتكاس الجماعي، وكان المجتمع الإسلامي قد ارتكس في مستنقعات الأثرة والغطرسة الحاكمة، فاختفى كل صوت إلا صوت السلطان، وبقي الحديث همساً والخلاص ضئيلاً، والتسلط شرعةً ومنهاجاً، حتى ليصعب تدارك الإشكاليات المتعددة في ذلك الأفق المتلبد بسحب التزييف الظاهر والمقنّع، وقد استطاع الإمام بما أوتي من عمق التفكير ومواهب الإمامة أن يتحدى هذه التناقضات الضخمة بخلق تجربة جديدة هادفة تطوّح بجزء كبير من تلك الاندفاعات السائرة بركاب الطغيان وذلك من خلال إعداد رسالي مكثّف لطائفة من تلامذته وأصحابه، وهم يتدرعون باستيعاب متكامل لمفاهيم الرسالة الإسلامية، مما حال دون الانهيار التام.

وحينما نخضع عصر الإمام لمقاييس النقد التأريخي الفاحص نجد المناخ السياسي قد انبنى على الموروث السلطوي المركّز القاضي باعتبار منصب السلطان هو الدولة بكل تفصيلاتها، وأن المتربع على عرش الخلافة الغاشمة هو ظل الله في الأرض، وله الاستعانة بالطغاة والأوباش وقادة الجند لتثبيت قواعد الحكم بأي شكل من أشكال القمع والاضطهاد والابتزاز، وهذا ما كان مجسّداً بصوره البشعة في تلك الحقبة الحرجة التي عاش أبعادها الإمام(ع).

فقد استلهم البلاط العباسي أساليب جديدة لإرهاب الأمة وخنق أنفاسها بسطوة الأتراك الغاشمة، فنجد الأتراك -كما سترى شواهده في موقعه من الكتاب- قد استولوا على مقدرات الشعب المسلم بكل مظاهرها العامة والخاصة، فتسلموا مراكز النفوذ، وامتلكوا صلاحية القرار، وتسللوا إلى مواقع السلطة، وتدخلوا في شؤون الحكم كافة، فكان لهم العزل والنصب والإقالة ومصادرة الأموال، وتصفية المعارضين جسدياً، فكانت تجربة فاشلة قضت على المؤهلات والقيم والقابليات، وتركت الشعب يئن تحت ضغط لا يطاق.

ولم تكن إمكانات الرفض لهذا المناخ الهائج تمتلك من القوة ما يوقف الانحراف عند حدّه، أو يتدارك الدولة من السقوط، ولم تكن الآراء موحّدة، إزاء التخطيط وإرادته في الخلاص من هذه الكوارث، ولم تكن الأمة بأفرادها مؤهلةً للوقوف بوجه هذا التيار العارم من الابتزاز للحرية والكرامة ومصادرة تعاليم الإسلام.

وكان السبيل الوحيد إلى اقتلاع بعض هذه الجذور المتشابكة ينحصر في طريقين:

الأول: الثورة المسلّحة الجماعية أو المنظّمة، وهي غير ممكنة على الغالب، إذ لا بد للثورات من قيادات، ولا بد لهذه القيادات من تنظيمٍ سرّي

يتحلى بالحكمة والكتمان، وهو أمر غير متوافر في تنظيماته الدقيقة التي يكتب لها الظفر والنجاح، ومع هذه الإشكالية فقد تشكلت عدة خطط للقيام بالكفاح المسلّح، وقد مني أغلبها إن لم نقل كلها بالفشل والهزيمة في العصر العباسي، وكانت النتيجة المتوقعة إضافة القتلى إلى جنب القتلى، وتوالي مواكب الشهداء قافلة إثر قافلة، وقد قوبل كل ذلك بالعنف والبطش الخارق لأبسط الأعراف الإنسانية، وشل حركات الثائرين بالإرهاب الدموي المستطير، بما يشمل آباءهم وأبناءهم ونساءهم وأسرهم وأقاربهم بالقتل والتشريد والتغريب والسجون الرهيبة التي لا تطاق، وقد يتجاوز هذا القدر إلى قطع الرؤوس جهاراً، والتمثيل بالأجساد علناً، وتعليق الجثث في الشوارع ليالي وأياماً، وإحراق القتلى بالنار، فضلاً عن سمل العيون، وخلع الأكتاف، ونزع الأطراف، والتمثيل المحرّم الشنيع.

وقد جرّب العصر العباسي هذا المسلسل الدامي في عشرات الحركات التي قوبلت بردّ فعل أقوى وأضرى وأبشع، بما يمكن اعتباره عاملاً مهماً في تفكيك قوى التحرّك الثوري، فكتب لأغلبها الاندثار كشرارة اندلعت ثم اختفت، وإن شاركت في خلق التذمر العام من النظام، وتصاعد النقمة المعلنة وغير المعلنة على الحاكمين.

الثاني: التخطيط المضاد في عملية شاملة أو محدودة للتغيير على المستوى الاجتماعي، بعد تعذّره في المستوى السياسي لما تقدم بيانه من قمع واستئصال ونكاية.

والتغيير الاجتماعي -شدة وضعفاً- هو الدور الخطير الذي نهض به أئمة أهل البيت(عليهم السلام) بعد مأساة كربلاء الكبرى، واستشهاد سيد شباب أهل الجنة في كوكبة من أهل بيته وأصحابه القديسين، وكان محور هذا التغيير في الأفكار والاتجاهات والتوعية يشكل النقطة المركزية على الصعيد التطبيقي لحماية

الإسلام في مفاهيمه، وصيانة الثوابت الأولى للعقيدة والرسالة الإلهية، وهو دور مهمٌّ رائدٌ شهدت به وقائع الأحداث في تعميق أصول الرسالة الإسلامية في ضمير الأمة، وترسيخ مُثُل العقيدة في شتى مناحي الحياة الفكرية والاجتماعية والنفسية، وخلقت إيديولوجية عاملة متفتحة الرؤية على التخطيط المستقبلي حتى يتسلم الإمام محمد المهدي(عج) قيادة الأمة.

وهذه الحقبة قد امتدت قرابة قرنين من الزمان في مواصلة السعي المضادّ لحالتي التدهور والانحراف اللذين أصابا كيان المجتمع المسلم.

وهنا يبرز دور الإمام علي الهادي(عليه السلام) في متابعة هذه المسيرة المشرقة بما خطط له من تصاميم وأدوار ومسالك.

وكان دور الإمام علي الهادي يتأكد في تحصين المسيرة القيادية بكثير من الحذر والكتمان، وصيانتها من المبادئ الوافدة كالزندقة والغلو، وحمايتها من الشوائب العالقة بأذهان السذج والبسطاء كتقديس السلطان، وعبادة الأشخاص، وتعميق الفكر الرسالي وتمكينه من النفوس في ظل الوعي الجديد.

وكان الإمام في هذا الملحظ يحذّر أولياءه من تدوين كثير من التعليمات، وذهب إلى حفظها من قبل أصحابه زيادة في الحذر والكتمان، ويربط ذلك بمبدأ إسلامي هو التقية، لئلا تعثر الأجهزة المنتشرة حوله على مستمسك تكون فيه إدانة، وفي هذا المجال بالذات يقول لداود الصرمي بعد توجيهه لذلك: «**يا داود ولو قلت: إن تارك التقية كتارك الصلاة لكنت صادقاً**»[(١)].

وكذلك أكد الإمام على التحذير من التحدث في شيء يخص الجماعة الإسلامية أو المبدأ العام في الأماكن العامة، فهو يقول لمحمد بن شرف وقد أراد أن يسأله، فابتدأه الإمام قائلاً:

---

(١) الأربلي/ كشف الغمّة ٣/٢٥٢.

«نحن على قارعة الطريق، وليس هذا موضع مسألة»[١].

وكان الاضطلاع بهذه المسؤولية يتطلب الكثير من التسلح الفكري للنهوض بالمهمة على أكمل وجه، لهذا نجد الإمام علي الهادي مشمّراً عن ساعديه بحشد المشاعر وكسب العواطف، وحث الشباب المتحفز للعمل بهذا الاتجاه، رغم كل العقبات الحائلة دون حرية العمل من رقابة وعيون ومثبطات، ولكن هدوء الإمام(عليه السلام)، وما اتصف به من الخلق القويم، قد يسرا تلك المهمة الصعبة، وخففا من مفاجئة الالتفاف عليها، فكانت القافلة تقطع طريقها، وتسعى إلى تطبيق نظرية الإمام في حمل الرسالة وحماية العقيدة بجمهرة من الجيل المعاصر ممن وعى القضية؛ وتدرع بمبادئ أهل البيت(عليهم السلام).

وبالإمكان الإشارة الموجبة إلى خطوات الإمام بعدة ظواهر مركّزة أكّد عليها واستثمرها في هذا السبيل.

الظاهرة الأولى: وتتمثل بصيانة أتباع أهل البيت من الضياع والانحراف بمتابعتهم في رقابة روحية، وحشد الطاقات الإرشادية المتعددة بين أيديهم وإزاءهم..

الظاهرة الثانية: وتتمثل بتلك التعليمات المعمّقة في العطاء العملي والنتاج المعرفي مما يثبت المناخ العقلي بعيداً عن الانزلاق في متاهات الهوى والجهل المركب، وذلك بنشر شتى العلوم الإنسانية الهادفة إلى خلق جيل متنوّر بمعزل عن التطرف أو الشذوذ في التفكير.

الظاهرة الثالثة: مقاومة حركات الغلو والإلحاد والزندقة والأفكار الوافدة من هنا وهناك حذر الانحراف في التيار المعاكس لثوابت الإسلام، وإسداء النصح لأولئك المضللين بالعود إلى الخطّ الإسلامي.

---

(١) ظ: المجمع العالمي/ الإمام علي بن محمد الهادي/ ١٨٧.

الظاهرة الرابعة: إعداد الوكلاء عن الإمام فـي الآفـاق والأقـاليم تمهيـداً لتمرين الأمة على أخذ تعليماتها ومعارفها عن الوكلاء لئلا تفـاجئ بظـاهرة الوكلاء في عصر الغيبة.

كانت هذه الظواهر وسواها مما ستجده في طيّات البحث، مصادر عمل جبار عظيم نهد به الإمام في حقبة إمامته المباركة تخطيطاً لآفاق المستقبل.

❊ ❊ ❊

الإمام في رعاية الصفوة المختارة

كان الإمام علي الهادي(عليه السلام) ذا نظرة إنسانية ثاقبة في رعاية الصفوة المختارة من أصحابه، وإعداداهم إعداداً خاصاً باعتبارهم القادة نيابة عنهم، وفي هذا اللحاظ كانت العناية بهم تتطلب الإشفاق عليهم من الزلل والخطل والخطر والطوارئ، وهي رعاية خاصة تتابع حياتهم في شؤون الدين والدنيا معاً، وكانت هذه الرعاية من أولويات مهمات الإمام القيادية، وكان التسديد الإلهي للإمام وراء هذه العناية، وكانت ولاية أئمة أهل البيت هي الملجأ لدى الشدائد والكوارث، ففيها الاستقرار النفسي، وعليها المعوّل في الأزمات، وبها الاحتراز من المخاوف والمخاطر والمهالك.

فقد جاء في توجيه الإمام بهذا التوجيه، أن قال سهل بن يعقوب بن إسحاق:

«يا سهل! إن لشيعتنا بولايتنا العصمة، لو سلكوا بها في لجّة البحار الغامرة وسباسب البيد الغائرة، بين سباع وذئاب وأعادي الجن والإنس، لأمنوا من مخاوفهم بولايتهم لنا، فثق بالله عزَّ وجلَّ، وأخلص في الولاء لأئمتك الطاهرين، فتوجه حيث شئت»[1].

---

(١) المجلسي/ بحار الأنوار ٥٠/٢١٥-٢١٦ وانظر مصدره.

وكان استقراء الخلاص في هذا السبيل مرتبطاً بالتجربة الصادقة في واقع عملي لا يدانيه الشك، وهو ما جعل أولياء أهل البيت(عليهم السلام) يفزعون في الملمّات للإمام التماساً لدرء المخاطر.

فعن كافور خادم الإمام، قال:

«كان في الموضع مجاور الإمام من أهل الصنائع صنوف من الناس، وكان الموضع كالقرية، وكان يونس النقّاش يغشى سيدنا الإمام(عليه السلام) ويخدمه.

فجاءه يوماً يرعد فقال: يا سيدي أوصيك بأهلي خيراً!!

قال الإمام: وما الخبر؟

قال: عزمت على الرحيل، قال: ولِمَ يا يونس؟ وهو(عليه السلام) مبتسمٌ.

قال: موسى بن بغا وجّه إليّ بفصّ له قيمة، أقبلت أنقشه فكسرته باثنين، وموعده غداً، وهو موسى بن بغا؛ إمّا ألف سوط أو القتل!!

قال الإمام: امض إلى منزلك إلى غد، فما يكون إلاّ خيراً!!

فلمّا كان من الغد وافى بكرة يرعد، فقال: قد جاء الرسول يلتمس الفصّ!! قال الإمام: امضِ إليه فما ترى إلاّ خيراً.

قال: وما أقول يا سيدي؟ قال: فتبسم، وقال: امض إليه، واسمع ما يخبرك به فلن يكون إلاّ خيراً!!

قال: فمضى، وعاد يضحك، قال: قال لي يا سيدي: الجواري اختصمن، فيمكنك أن تجعله فصّين حتى نغنيك؟

قال سيدنا الإمام(عليه السلام): «**اللهم لك الحمد إذ جعلتنا ممن يحمدك حقاً**»، فأيش قلتَ له؟

قال: قلت له: أمهلني حتى أتأمل أمره كيف أعمله.

فقال الإمام: أصبت»[١].

وكانت محن أولياء أهل البيت شديدة من قبل الحاكمين سيما المتوكل العباسي لشدة عداوته لأتباع الأئمة تبعاً لأئمتهم، ولاستهانته بالدماء والأعراض، وقطعه للأعناق والأرزاق!!

وكان المتوكل يتتبع أصحاب الإمام بالبطش والغلظة في القول والعمل، فيفزع هؤلاء إلى الإمام يلتمسون منه الدعاء تارةً، والسعي بمشكلاتهم تارةً أخرى.

فعن المنصوري عن عمٍّ أبيه، قال:

«قصدت الإمام يوماً، فقلت: يا سيدي إن هذا الرجل (يعني المتوكل) قد اطرحني، وقطع رزقي... وما أتهم في ذلك إلاّ علمه بملازمتي لك، وإذا سألته شيئاً منه يلزمه القبول منك، فينبغي أن تتفضل عليَّ بمسألته، فقال: تكفى إن شاء الله.

فلمّا كان في الليل طرقني رسل المتوكل، رسول يتبع رسولاً، فجئت والفتح على الباب قائم!! فقال: يا رجل ما تأوي في منزلك بالليل؟ كدّني هذا الرجل مما يطلبك فدخلت؛ فإذا المتوكل جالس على فراشه، فقال: يا أبا موسى نشغل عنك، وتنسينا نفسك، أي شيء لك عندي؟ فقلت: الصلة الفلانية والرزق الفلاني، وذكرت أشياء، فأمر لي بها وبضعفها.

فقلت للفتح: وافى عليُّ بن محمدٍ إلى ههنا؟

فقال: لا، فقلت: كتب رقعةً؟

فقال: لا، فوليت منصرفاً، فتبعني فقال لي: لست أشك أنك سألته دعاءً لك، فالتمس لي منه دعاءً.

---

(١) المجلسي/ بحار الأنوار ٥٠/١٢٥-١٢٦ وانظر مصدره.

فلمّا دخلت إليه(ع)، قال لي: يا أبا موسى هـذا وجـه الرضـا!! فقلت: ببركتك سيدي، ولكن قالوا إنك ما مضيت إليـه ولا سـألته، فقـال: إن الله تعالى علم أنّا لا نلجأ في المهمات إلاّ إليه، ولا نتوكل في الملمات إلاّ عليه، وعودنا إذا سألناه الإجابة، ونخاف أن نعدل فيعدل بنا»[(١)].

وقد يبدأ الإمام بالنصح والتحذير وجمع الأمر، لما سبق لديه من العلـم أن سيصيب أولياءه مكروه ما، ويكون النظر في هذا الشأن بلمح غيبي، وقـد روي ذلك عن محمد بن الفرج قال: إن أبا الحسن(ع) كتب إلي:

«اجمع أمرك، وخذ حذرك». قال: فأنا في جمع أمري لا أدري ما الذي أراد فيما كتب فيه إليّ، حتى ورد عليّ رسول حملني من مصر مقيَّداً مصفَّداً بالحديد، وضرب على كل ما أملك.

فمكثت في السجن ثماني سنين، ثـم ورد علـيّ مـن أبـي الحسـن(ع) وأنـا فـي الحبس: «لا تنـزل فـي ناحيـة الجانـب الغربـي» فقـرأت الكتـاب، وقلت في نفسي: يكتـب إلـي أبـو الحسـن(ع) بهـذا وأنـا فـي الحبس، إن هـذا لعجيـب!! فمـا مكثـت إلاّ أيامـاً يـسيرة حتـى أفـرج عنـي، وحلـت قيودي، وخلي سبيلي.

ولما رجع إلى العراق لم يقف ببغداد لما أمره أبو الحسن(ع)، وخـرج إلى سر من رأى.

قال: فكتبت إليه بعد خروجي أن يسأل الله ليردّ علـيّ ضـياعي. فكتـب إلي: سوف يردّ عليك، وما يضرك أن لا تردّ عليك؟ قال علـي بـن محمـد النوفلي: فلما شخص محمد بن الفرج إلى العسكر كُتِبَ إليـه بـردّ ضـياعه، فلم يصل الكتاب إليه حتى مات»[(٢)].

---

(١) ابن شهرآشوب/ المناقب ٤/٤١١.

(٢) ظ: المجلسي/ بحار الأنوار ٥٠/١٤٠ وانظر مصدره.

وكان الإمام متمرساً بلمح الغيب المجهول فيما أحرزه من علم لدنيّ سيأتي القول فيه، وكان هذا اللمح عقيداً للدفع عن أوليائه، ومبشراً لهم بالخلاص، فعن أيّوب بن نوح قال: «كتبت إلى أبي الحسن(عليه السلام): قد تعرّض لي جعفر بن عبد الواحد القاضي، وكان يؤذيني بالكوفة، أشكو إليه ما ينالني من الأذى، فكتب إلي: تكفى أمره إلى شهرين.

فعزل عن الكوفة في شهرين واسترحت منه»[1].

وكان الإمام عند حسن ظن أصحابه فكان يطمئنهم مما يخشونه، ويتجه بهم إلى ما ينفعهم، وينعم عليهم بالكفاية تلقائياً ببركته في مهمات الأمور.

فعن محمد بن الريان بن الصلت، قال:

«كتبت إلى أبي الحسن أستأذنه في كيد عدو، ولم يمكن كيده، فنهاني عن ذلك، وقال كلاماً معناه: تكفاه، فكفيته والله أحسن كفاية: ذلّ وافتقر ومات أسوأ الناس حالاً في دنياه ودينه»[2].

وكان علي بن جعفر وكيلاً للإمام فسُعيَ به إلى المتوكل، فحبسه وطال حبسه، وكُلِّم المتوكل في إطلاقه، فقال: هذا وكيل عليّ بن محمد، وأنا على قتله، ووصل الخبر إلى علي بن جعفر، فكتب للإمام:

الله الله فيّ، فقد والله خفت أن أرتاب!!

فوقّع في رقعته: أمّا إذا بلغ بك الأمر ما أرى، فسأقصد الله فيك.

وكان هذا في ليلة الجمعة، وأصبح المتوكل محموماً، فأطلق كل محبوس عرض عليه اسمه، وفيهم علي بن جعفر، فقال: خلٍّ سبيله الساعة، وسله أن يجعلني في حلّ، فخلّى سبيله، وصار إلى مكة بأمر أبي الحسن(عليه السلام) مجاوراً بها[3].

---

(١) المصدر السابق نفسه ٥٠/١٧٧ وانظر مصدره.

(٢) الأربلّي/ كشف الغمّة ٣/٢٥١.

(٣) ظ: الكشي/ رجال الكشي/ ٥٠٥ باختصار.

ولو أردنا استعراض هذه الجزئيات من نواحيها كافةً لطال بنا المقال، وخرجنا عن حدّ الإيجاز، ولكننا نشير إلى نقطة مهمة أعارها الإمام اهتماماً خاصاً في توجيه أوليائه في شؤون دينهم، وحفظ دمائهم، ومعرفة القائم بالأمر من أئمتهم، فقد كان عصره عصر اضطهاد وإرهاب، وزمن شدّة وضيق، وكان أولئك الأصفياء يطلبون الفرج ويتطلعون إلى يوم الخلاص عيناً، ويخاطبون الإمام في ذلك، فيجيب الإمام جواباً إيحائياً تارةً، ورمزياً تارة أخرى، دون الدخول في التفصيلات.

فعن علي بن مهزيار، قال:

«كتبت إلى أبي الحسن صاحب العسكر(ع)، أسأله عن الفرج!! فكتب: إذا غاب صاحبكم عن دار الظالمين فتوقعوا الفرج»[١].

وعنه(ع): «**إذا رفع علمكم من بين أظهركم، فتوقعوا الفرج من تحت أقدامكم**»[٢].

ولئلا يقع أولياؤه في الإيهام واللبس، فقد صرح لهم الإمام بمن بعده من الأئمة، وبالخلف منهم.

فعن داود بن القاسم، قال: سمعت أبا الحسن(ع) يقول: «**الخلف من بعدي الحسن، فكيف لكم بالخلف من بعد الخلف؟**» فقلت: ولِمَ، جعلت فداك؟ فقال: «**إنكم لا ترون شخصه، ولا يحلّ لكم ذكره باسمه**»، فقلت: فكيف نذكره؟ فقال: «**قولوا الحجة من آل محمد**»[٣].

وفيه إشارة من الإمام على منع ذكره باسمه، وذلك لشدة الطلب عليه، وتتبع العباسيين لآثاره، فإذا عرف الاسم وقع الطلب، فكان يعبّر عنه بالقائم،

---

(١) المسعودي/ إثبات الوصية/ ٢٢، الصدوق/ كمال الدين ٢/ ٣٨٠.

(٢) الكافي/ الكليني ١/ ٣٤١.

(٣) الكليني/ الكافي ١/ ٢٢٨ و٣٣٢، المفيد/ الإرشاد/ ٣٣٨، المسعودي/ إثبات الوصية/ ٢٠٨، الصدوق/ علل الشرائع ١/ ٢٤٥.

والغريم، والصاحب، والحجة من آل محمد، وهي نقطة جديرة باللحاظ عند الأئمة نبّهوا عليها أولياءهم تأدباً وحذراً وحرصاً على السلامة.

وكان الإمام علي الهادي معنياً كثيراً بهذا الأمر لتضافر الروايات بقرب ظهور الإمام، وولادته من ابنه الحسن العسكري.

فعن علي بن عبد الغفار، قال: لما مات أبو جعفر الثاني(عليه السلام)، كتب الشيعة إلى أبي الحسن صاحب العسكر(عليه السلام) يسألونه عن الأمر، فكتب(عليه السلام): **«الأمر إليّ ما دمت حيّاً، فإذا نزلت بي مقادير الله عز وجل آتاكم الله الخلفَ مني، وأنى لكم بالخلف بعد الخلف؟»**[1].

وهكذا رأينا الإمام علي الهادي(عليه السلام) في الموقع الأول من رعاية أوليائه، باراً بهم، معيناً لهم، مشفقاً عليهم، متابعاً احتياجاتهم، ناظراً بعين العناية لمختلف شؤونهم، ساعياً في حل مشكلاتهم، ملتزماً معهم النهج السوي في التسديد والتأييد، محذّراً لهم من الفتنة والانحراف، فكان الأب والأخ والصديق والإنسان، كما كان الإمام والقائد والرمز بأدق معاني هذه الكلمات دلالة.

❊ ❊ ❊

(١) الصدوق/ كمال الدين ٢/٣٨٢، الطوسي/ الغيبة/ ١٠٢، الطبرسي/ إعلام الورى/ ٤١١، المجلسي/ البحار ٥١/١٦٠.



دفاع الإمام عن منصب الولاية الإلهية

كان عصر الإمام علي الهادي(عليه السلام) يغلب على طابعه العام عنصر الاضطراب في الأفكار، ويستحوذ على أفقه الممتد من أقاصي الهند إلى شرق آسيا والجزيرة العربية كلها حتى إفريقيا سحب من التضبيب على الحق المبين، فللشبهات سوق رائجة، وللزندقة مجال خصيب، وللغلاة أروقة غامضة المصادر، وللتشكيك مؤامرات يشترك فيها البلاط العباسي وعبث الولاة، ولعلم الكلام صخب وجدل عنيف، فاختلط الحابل بالنابل، وسادت الفوضى في العقائد والاتجاهات.

ونصب وعاظ السلاطين وفقهاء الدولة ومدرسة (أهل الحديث) التي أسسها المتوكل العباسي شباك الردّة عن مذهب أهل البيت، فمثلت المرحلة بهذا المزيج غير المتجانس ذروة تشويه الحقائق وتسفيه البديهيات، حتى لُبِّس الحق بالباطل.

وكان المتفرغون للدفاع عن مبدأ الأئمة الطاهرين، قلّة نادرة ولكنها تمتلك الوعي، وثمالة باقية إلا أنها بمستوى المسؤولية، وكان الإمام علي الهادي(عليه السلام) يلقّنها أصول المبدأ، ويحيطها علماً بمتطلبات المرحلة.

وحينما تكون الأفواه ملجمة بالرصد الشديد، والأصوات لا ترتفع إلاّ بشكل محدود، نجد الإمام علي الهادي نفسه يتصدر الدفاع عن أصالة المبدأ أو أحقية أهل البيت بالقيادة والدولة، ولكن بطريقة مبتكرة لا تثير حوله شكوك السلطة، وليس من شأنها أن تتابعها أجهزة الدولة ومخابرات البلاط.

وكانت طريقة عرض القضية تتخذ من ريادة الأئمة وسيلة لإظهار أولويتهم بالمنصب الإلهي، وتصبّ روافد التأكيد على أحقيتهم بالإمامة الشرعية، متضمنة في سطورها ونصوصها الاستدلال على ذلك بآيات القرآن الكريم، وأحاديث الرسول الأعظم(ص). وكان هذا المنهج يعطي ثماره يانعةً بين صفوف الأمة وجماهير أتباع الإمام، فتتمسك بالعروة الوثقى، وتُهدى إلى الصراط المستقيم.

ويمثل هذا الجانب نصّان كبيران من إفاضات الإمام الكلامية العليا أفرغهما في زيارة أمير المؤمنين يوم الغدير الخالد في الأول، وفي كل إمام في الزيارة الجامعة في النصِّ الثاني، وفيهما معاً يعطي الإمام الدلائل على خلافة أمير المؤمنين نصّاً وأولويةً وفضائل وإشادة للإسلام، والتزاماً حرفياً بجوهر الشريعة الغراء، وأحقيّة لا شبهة معها في قيادة الأمة كما في زيارة عيد الغدير.

ويستلهم في الزيارة شمائل أهل البيت، ويستوعب طائفةً من فضائلهم وآثارهم، ويؤكد اختصاصهم بصلاحية حمل الرسالة، ويشير تصريحاً إلى اختيارهم واجتبائهم لقيادة الأمة وتطبيق الإسلام، ويصفهم بما هم أهله، يعطيهم تلك الصفات النادرة التي لم تجتمع بسواهم، ومن ثم يقيم الحجة بالشهادة لهم فيما احتضنوا من العلم، وما اصطفاهم الله به من تحمل أسرار الكون.

ولما كانت الزيارتان على مستوى كبيرٍ من الإطناب والإسهاب فيما أفاضه الإمام، فإننا نلقي بعض الضوء على بعضٍ الفقرات تاركين التوسع في الحديث عنهما إلى عمل مستقل ينهض برسالة خاصة.

لقد زار الإمام علي الهادي جدّه أمير المؤمنين(ع) في السنة التي أشخص فيها إلى سامراء يوم الغدير[1].

---

(١) عباس محمد رضا القمي/ مفاتيح الجنان/ ٣٦٣.

ونحن إذ نقتطف بعض نصوصها فعن القمي فيما أورده من مصادرها الأصلية، وما وثَّقه من نصوص[١].

لقد تحدث الإمام علي الهادي عن أمير المؤمنين الإمام علي(عليه السلام) بما تسالم عليه جمهور المسلمين إلاّ من عَنِدَ وجانب القصد، فقال:

«وأنت أول من آمن بالله وصلّى له، وجاهد وأبدى صفحته في دار الشرك، والأرض مشحونة ضلالةً والشيطان يعبد جهرة».

ويؤيد هذا الملحظ الحديث الشريف بعشرات الروايات، منها:

١- قال رسول الله(صلى الله عليه وآله) لعائشة:

«هذا علي بن أبي طالب أول الناس إيماناً»[٢].

٢- أخذ رسول الله(صلى الله عليه وآله) بيد علي، وقال:

«هذا أول من آمن بي، وأول من يصافحني يوم القيامة»[٣].

وكشف الإمام عن صفحة مشرقة من جهاد أمير المؤمنين، وأبان مواقفه في حروب النبي وغزواته مستشهداً لذلك بآيات صريحة من القرآن العظيم، فقال:

«ولك المواقف المشهودة، والمقامات المشهورة، والأيام المذكورة يوم بدر ويوم الأحزاب ﴿وَإِذْ زَاغَتِ الأَبْصارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَناجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللهِ الظُّنُونَا * هُنالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزالاً شَدِيداً * وَإِذْ يَقُولُ الْمُنافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ ما وَعَدَنَا اللهُ وَرَسُولُهُ إِلاَّ غُرُوراً * وَإِذْ قالَتْ طائِفَةٌ مِنْهُمْ يا أَهْلَ يَثْرِبَ لا مُقامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ

---

(١) المصدر السابق نفسه/ ٣٦٣ وما بعدها.

(٢) ابن عبد البر/ الاستيعاب ٢/ ٧٥٩.

(٣) الشوكاني/ فتح الغدير ٤/ ٣٥٨.

إنَّ بُيُوتَنا عَوْرَةٌ وَما هيَ بعَوْرَة إنْ يُريدُونَ إلاَّ فراراً﴾[(١)] وقال تعالى: ﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الأَحْزابَ قالُوا هذا ما وَعَدَنَا اللهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللهُ وَرَسُولُهُ وَما زادَهُمْ إلاَّ إيماناً وَتَسْليماً﴾[(٢)]» فقتلت عَمْرهم، وهزمت جمعهم، وردّ الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا، وكفى الله المؤمنين القتال، وكان الله قوياً عزيزاً.

ويوم أحد إذ يصعدون ولا يلوون على أحد والرسول يدعوهم في أخراهم، وأنت تذود بهم المشركين عن النبي(ص) ذات اليمين وذات الشمال، حتى ردّهم الله تعالى عنها خائبين ونصر بك الخاذلين.

ويوم حنين على ما نطق به التنزيل: ﴿إذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئاً وَضاقَتْ عَلَيْكُمُ الأَرْضُ بما رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبرينَ * ثُمَّ أَنْزَلَ اللهُ سَكينَتَهُ عَلى رَسُوله وَعَلَى الْمُؤْمنينَ...﴾[(٣)] والمؤمنون أنت ومن يليك، وعمك العباس ينادي المنهزمين: يا أصحاب سورة البقرة، يا أهل بيعة الشجرة، فاستجاب له قوم قد كفيتهم المؤونة، وتكلفت دونهم المعونة، فعادوا آيسين من المثوبة، راجين وعد الله بالتوبة، وذلك قول الله جل ذكره ﴿ثُمَّ يَتُوبُ اللهُ منْ بَعْد ذلكَ عَلى مَنْ يَشاءُ﴾[(٤)] وأنت حائزٌ درجة الصبر، فائز بعظيم الأجر.

ويوم خيبر إذ أظهر الله خور المنافقين، وقطع دابر الكافرين، والحمد لله رب العالمين، ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون الأدبار، وكان عهد الله مسؤولاً.

---

(١) سورة الأحزاب/ الآيات ١٠-١٣.

(٢) سورة الأحزاب/ الآية ٢٢.

(٣) سورة التوبة/ الآيات ٢٥-٢٦.

(٤) سورة التوبة/ الآية ٢٧.

وشهدت مع النبي(ﷺ) جميع حروبه ومغازيه، تحمل الراية أمامه، وتضرب بالسيف قدامه، ثم لحزمك المشهور، وبصيرتك في الأمور، أمّرك في المواطن، ولم يكن عليك أمير».

وأنت ترى الإمام(ع) في هذا المقطع يعدد مواطن رسول الله(ﷺ) في الحرب، وما بلغت إليه حالة المسلمين من الذعر والفزع القاتل، وما سيطر عليهم من الاضطراب المستطير، وكيف جلّى أمير المؤمنين في المواقف، وكيف استبسل في المعارك على بصيرة من أمره، وكيف نصر الله به دينه وقطع دابر المشركين، وكان حزمه المشهور ولواؤه المنشور دليل ثباته وتمرسه في مواقع القتال وأثباج النضال فكان الأمير ولا أمير عليه.

وثنى الإمام بإلقاء الضوء على تضحية أمير المؤمنين بنفسه ليلة الهجرة، ومبيته على فراش النبي(ﷺ) مشبهاً ذلك بصفة إسماعيل الذبيح فقال:

«وأشبهت في البيات على الفراش الذبيح(ع) إذ أجبت كما أجاب، وأطعت كما أطاع إسماعيل محتسباً صابراً إذ قال: ﴿يا بُنَيَّ إِنِّي أَرى فِي الْمَنامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذا تَرى قالَ يا أَبَتِ افْعَلْ ما تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شاءَ اللهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾[1].

وكذلك أنت لما أباتك النبي(ﷺ) وأمرك أن تضطجع في مرقده، واقياً له بنفسك، أسرعت إلى إجابته مطيعاً، ولنفسك على القتل موطناً، فشكر الله طاعتك، وأبان من جميل فعلك بقوله جل ذكره: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغاءَ مَرْضاتِ اللهِ﴾[2]».

---

(١) سورة الصافات/ الآية ١٠٢.

(٢) سورة البقرة/ الآية ٢٠٧.

ثم عطف الإمام الهادي على ذكر خصائص أمير المؤمنين الكبرى، وبيان مميزاته العظمى، والتي أوجبت في توافرها لديه واجتماعها عنده، أهليته الفذة لقيادة الأمة.

وأبرز الإشارة إلى مظلوميته فيما بعد، فقابل ذلك صابراً محتسباً مفوضاً أمره إلى الله تعالى، فقال:

«**أشهد أنك لم تزل للهوى مخالفاً، وللتقى مجانباً، وعلى كظم الغيظ قادراً، وعن الناس عافياً غافراً، وإذا عصي الله ساخطاً، وإذا أطيع الله راضياً، وبما عهد إليك عاملاً راعياً لما استحفظت، وحافظاً لما استودعت، مبلِّغاً ما حملت، منتظراً ما وُعدت، وأشهد أنك ما اتقيت ضارعاً، ولا أمسكت عن حقك جازعاً، ولا أحجمت عن مجاهدة غاصبيك ناكلاً، ولا أظهرت الرضا بما يخالف ما يرضى الله مداهناً، ولا وهنتَ لما أصابك في سبيل الله، ولا ضعفت ولا استكنت عن طلب حقّك مراقباً، معاذ الله أن تكون كذلك!! بل إذ ظُلمتَ احتسبت ربك، وفوّضت أمرك**».

وأنت تجد الإمام علياً الهادي(عليه السلام) قد استقطب جملة من صفات أمير المؤمنين العليا، ثم صرح بما عُهد إليه من قبل الله، وما استُحفظ عليه من الله، وما استودع لديه من الأمانة، فبلّغ، وتحمّل، وأدّى، وجاهد في سبيل الله حق جهاده، وصرّح بما هو أشد وقعاً، وأبلغ أثراً، وهو اغتصاب حقّ جده أمير المؤمنين في الولاية الإلهية، فصبر لذلك غير ضارع ولا جازع ولا ناكل ولا واهن ولا مداهن، لكنه ظُلم فاحتسب، وفوض أمره إلى الله. وأضاف الإمام مخاطباً جدَّهُ وواصفاً له:

«**لا تحفل بالنوائب، ولا تهن عند الشدائد، ولا تحجم عن محاربة إفك، وأنت القائل: «لا تزيدني كثرة الناس حولي عزّةً، ولا تفرقهم عنّي وحشةً، ولو أسلخني الناس جميعاً**»».

وهذا الوصف من أروع ما اتسم به أمير المؤمنين من الثبات على الحق والصلابة في المبدأ، ولو تفرق الناس عنه يميناً أو شمالاً، فهو عزيز بالله تعالى، ومن كان كذلك فهو كذلك، فلا أنس له إلا بالله، ولا استيحاش يصيبه من التفرق عنه.

وعرض الإمام علي الهادي لبيعة الغدير، ونصب أمير المؤمنين وليّاً لله تعالى، فوضع الأمر بنصابه من الصراحة بالقول والاستدلال على صدق ذلك بنصوص القرآن، ومأثور الحديث، قال:

«إن الله استجاب لنبيه(ﷺ) فيك دعوته، ثم أمره بإظهار ما أولاك لأمته إعلاءً لشأنك، وإعلاناً لبرهانك، ودحضاً للأباطيل وقطعاً للمعاذير، فلمّا أشفق من فتنة الفاسقين، واتّقى فيك المنافقين، أوحى إليه رب العالمين:

﴿يا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ ما أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَما بَلَّغْتَ رِسالَتَهُ وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ..﴾[1].

فوضع عن نفسه أوزار المسير، ونهض في رمضاء الهجير، فخطب وأسمع، ونادى فأبلغ، ثم سألهم أجمع، فقال: هل بلّغت؟ فقالوا: اللهم بلى، فقال: اللهم اشهد ثم قال: ألستُ أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟ فقالوا: بلى، فأخذ بيدك وقال:

«من كنت مولاهُ فهذا عليٌّ مولاه.. اللهم والِ من والاه، وعادِ من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله».

فما آمن بما أنزل الله فيك على نبيه إلا قليل، ولا زاد أكثرهم غير تخسير».

---

(١) سورة المائدة/ الآية ٦٧.

وكان هذا الاحتجاج لأمير المؤمنين بمنصب الولاية الإلهية إيذاناً بكـون ما جاء في الغدير أمراً إلهياً صارماً، وما بلّغه الرسول عن ربـه كـان ناموسـاً كونياً قُدِّرَ فيه تنظيم حياة الإسلام، وكان التهديد الصارخ في الآيـة واضـحاً ﴿**وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَما بَلَّغْتَ رِسالَتَهُ..**﴾.

ولسائل أن يسأل: ما هي الفروض والواجبات والسنن التـي لـم يبلغهـا رسول الله(ص) طيلة ثلاثة وعشرين عاماً من رسالته؟ والجواب الطبيعي: أنـه بلّغها وأداها بكل أمانةٍ وصدقٍ وإخلاصٍ..

إذن: فلماذا هذا الوعيد والتهديد بعدم تبليغ الرسالة وهو في أواخر أيام حياته؟ إنه أمر الولاية الكبرى في الإمامة باعتبارها امتداداً للنبوة، وبأمر مـن الله وحده، ولا رأي فيها لأحد من الناس بنص القرآن العظـيم: ﴿**وَإِذ ابْتَلـى إبْراهيمَ رَبُّهُ بِكَلِمات فَأَتَمَّهُنَّ قالَ إنِّي جاعِلُكَ لِلنَّاسِ إماماً قـالَ وَمِـنْ ذُرِّيَّتي قالَ لا يَنالُ عَهْدِي الظَّالمينَ**﴾[1].

فالجعل للإمامة من الله، والإمامة لا تنال الظالمين لأنها عهد الله، لهذا أمر الله تعالى رسوله(ص) أن يصدع بالأمر، ويجاهر بـالنص عليهـا غيـر عـابئ بالناس، وقد كان يخشى فتنتهم، ويحذر ارتدادهم، بل ويخاف علـى نفسـه من غدرهم ونكثهم، فتعهد الله له بالعصمة من كيدهم، وليؤمن مـن يـؤمن، وليكفر من يكفر.

وكانت الردّة عن نهج أمير المؤمنين، والنكث للبيعة التي أخذها علـيهم النبي لأمير المؤمنين مصادر خسران مبين للدعوة الإسلامية، فمـا اسـتجاب إلا القليل لنداء الله ورسوله، فكان الخذلان وكان العدوان، وهل بعد الهـدى إلا الضلال؟ وبذلك اقتدحت الشرارة الأولى للفتنة الكبرى في الإسلام.

---

(١) سورة البقرة/ الآية ١٢٤.

وعرض الإمام بعد هذا إلى المآسي الدامية والكوارث التي مني بها أمير المؤمنين مما هو مشهور في التأريخ نتيجة كيد الناكثين، وغدر القاسطين، وتمرد المارقين، وأظهر شخصية أمير المؤمنين بما هو أهله في الإجراءات التي نفذها بتلك المعارك تثبيتاً للحق، وإعلاءً لكلمة الله في الأرض.

ونقف عند هذا القدر حذر الإطالة، لنعطي صورة إجمالية عن تأكيد الإمام لمنصب الولاية الإلهية لأئمة أهل البيت في الزيارة الجامعة.

والزيارة الجامعة لها شهرتها المستفيضة بين الأصحاب، وقد رواها الشيخ الصدوق في من لا يحضره الفقه، وأوردها الشيخ الطوسي في التهذيب، وقال عنها المجلسي، إنها من أصح الزيارات إسناداً، وأعمقها مورداً، وأفصحها لفظاً، وأبلغها معنى وأعلاها شأناً. وقال الأستاذ القرشي: «أمّا سند زيارة الجامعة فقد حاز درجة القطع من الصحة»(١) بينما توقف آخرون، ومهما يكن من أمر فإن سند هذه الزيارة قد ورد عن الإمام علي الهادي(عليه السلام) على النحو الآتي:

روى محمد بن إسماعيل البرمكي عن موسى بن عبد الله النخعي، قال: قلتُ لعلي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب(عليهم السلام): علمني يا ابن رسول الله قولاً أقوله بليغاً كاملاً إذا زرت واحداً منكم...، فقال(عليه السلام): قل:

«السلام عليكم يا أهل بيت النبوة، وموضع الرسالة، ومختلف الملائكة، ومهبط الوحي، ومعدن الرسالة، وخزّان العلم، وأولياء النعم، وعناصر الأبرار، ودعائم الأخيار، وساسة العباد، وأركان البلاد، وأبواب

(١) باقر شريف القرشي/ حياة الإمام علي الهادي/ ١٣٨.

الإيمان، وأمناء الرحمن، وسلالة النبيين، وعترة خيرة رب العالمين ورحمة الله وبركاته»[١].

ويبدو للبحث أن لهذه الزيارة ثلاثة أهداف أساسية:

الأول: هدف تعليمي تربوي ينطق بفضل أهل البيت باعتبارهم النموذج الأرقى للإنسان المتكامل الذي ينبغي الاقتداء به.

الثاني: هدف احتجاجي ينعى على من أنكر فضلهم، وخالف منهجهم، وناصب لهم العداء والبغضاء.

الثالث: هدف ديني بأنهم الأئمة المهديون بجعل إلهي، إذ اختارهم اصطفاءً لمنصب الخلافة الشرعية.

وهذا الهدف يرتبط ارتباطاً مباشراً في ضوء الأحكام السلطانية بالكيان السياسي العام للأئمة كونهم ولاة الأمر الذين أمر بطاعتهم، وقرنها بطاعته تعالى وطاعة رسوله، وهم هؤلاء الذين وصفهم الإمام بقوله:

«السلام على أئمة الهدى، ومصابيح الدنى، وأعلام التقى، وذوي النهى، وأولي الحجى، وكهف الورى، وورثة الأنبياء، والمثل الأعلى، والدعوة الحسنى، وحجج الله على أهل الدنيا والآخرة والأولى ورحمة الله وبركاته».

ومن ثم نجد الإمام يخصهم بالفيض الإلهي الغامر فيما أفاء به عليهم من المزايا والخصائص التي تفردوا بها، فقال: **«السلام على محال معرفة الله، ومساكن بركة الله، ومعادن حكمة الله، وحفظة سر الله، وحملة كتاب الله، وأوصياء نبي الله، وذرية رسول الله صلى الله عليه وآله، ورحمة الله وبركاته»**.

---

(١) عباس محمد رضا القمي/ مفاتيح الجنان/ ٥٤٤-٥٥٠.

ويتجه الإمام نحو منهجيّة أهل البيت(عليهم السلام) في الدعوة إلى الله بكل أمانة وإخلاص، فيقول:

«السلام على الدعاة إلى الله، والأدلاّء على مرضاة الله، والمستقرين في أمر الله، والتامين في محبّة الله، والمخلصين في توحيد الله، والمظهرين لأمر الله ونهيه، وعباده المكرمين الذين لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون، ورحمة الله وبركاته».

وهذه الفقرات تشير إلى خصائص القادة من الرجال في المشروع الإلهي الأعظم بالدعوة إليه، والدلالة عليه، والثبات في طاعته، والامتزاج بمحبته، والقيام بأمره.

ومن ثم عرضت الزيارة بإسهاب إلى معتقدات الإمامية في الشهادة والتوحيد والنبوة، ووصف الأئمة المعصومين بأنهم: **«الأئمة الراشدون المهديون، المعصومون، المكرمون، والمقربون، المتقون، الصادقون... اصطفاكم الله بعلمه، وارتضاكم لغيبه، واختاركم لسرّه، واجتباكم بقدرته، وأعزكم بهداه، وخصكم ببرهانه، وانتجبكم لنوره، وأيدكم بروحه، ورضيكم خلفاء في أرضه، وحججاً على بريته، وأنصاراً لدينه، وحفظة لسرّه، ومستودعاً لحكمته، وتراجمة لوحيه، وأركاناً لتوحيده، وشهداء على خلقه، وأعلاماً لعباده، ومناراً في بلاده، وأدلاء على صراطه، عصمكم الله من الزلل، وآمنكم من الفتن، وطهركم من الدنس، وأذهب عنكم الرجس وطهركم تطهيراً».**

وفي هذا النص استيعابٌ شمولي لمؤهلات حملة الولاية الشرعية، ومنصب الإمامة، فأكد على اصطفائهم بالعلم، والغيب، والسر، والقدرة، والهدى، والبرهان، والنور، والروح، والارتضاء بأن يكونوا خلفاء الله في

أرضه وحججه على عباده، بما استودعوا من الحكمة وأسرار الوحي حتى كانوا أمناء البلاد بدليل العصمة.

ويسترسل الإمام في هذه الزيارة العجيبة في مقاطعها وفصولها الطويلة، فيشير إلى تضحية الأئمة في سبيل الله، والجهاد في القول والفعل والعمل والأداء حتى قام الإسلام.

ثم أشار الإمام إلى أولياء أهل البيت، فبشرهم بالهدى والنعيم الدائم والاعتصام بحبل الله، وما ينتظر أعداءهم من العذاب.

وصرّح الإمام بضرورة انتشار مبدأ أهل البيت لجلالة قدرهم، وعظم خطرهم، وعلو أمرهم، وكبر شأنهم، وتمام نورهم، وصدق مقاعدهم، وثبات مقامهم... وعقّب بعد هذا على ضرورة الاستمرار على مبدئهم بالإيمان بهم، والكفر بعدوهم، والمعرفة لهم، والسلم لمن سالمهم والحرب لمن حاربهم، والاعتصام بهم... والاستعاذة بقبورهم، والتقرب بهم إلى الله... إلخ.

ومن ثم عرّج الإمام بطرافة ولياقة على ارتقاب دولتهم والاستعداد لنصرتهم، والبراءة من عدوهم، والانضمام تحت لوائهم، ووحدة الأمة بقيادتهم.

وهذا الدور العظيم الذي حوّل إليه الإمام أنظار المسلمين عامة، ذو منطق تفصيلي شيّق في خصائص الأئمة، وذو بعد كلامي في أحقيتهم بالأمر، وذو ملحظ سياسي في شؤون الدولة وقيادة الأمّة.

❊ ❊ ❊

الفصل الثاني

الإمام علي الهادي في عصر الطواغيت

١- السلاطين في عصر الإمام.

٢- ظواهر الانحراف في سيرة السلاطين.

٣- إشكاليّة الطواغيت الصغار.

٤- الفساد الإداري في نظام الحكم العباسي:

أ- قيادة الأتراك للنظام.

ب- الرشاوى ومصادرة الأموال.

جـ- حالة الفقر وحياة الخلفاء الأسطورية.

د- الانحراف في استراتيجية الفتوح الإسلامية.

السلاطين في عصر الإمام

ذهب أغلب المؤرخين أن الإمام علي بن محمد الهادي(عليه السلام) قد أقام مع أبيه ستّ سنين وخمسة أشهر، وبقي بعد وفاة أبيه الإمام محمد الجواد ثلاثاً وثلاثين سنة وشهوراً[(١)].

وقد حدد الأربلّي ذلك بقوله: «أقام بعد أبيه ثلاثاً وثلاثين سنة وسبعة أشهر إلاّ أياماً»[(٢)].

وقد نهد الإمام علي الهادي(عليه السلام) بأعباء الإمامة عند وفاة أبيه الإمام محمد الجواد(عليه السلام) عام (٢٢٠هـ) حتى عام (٢٥٤هـ) وهي سنة وفاته.

وهذه الحقبة هي حقبة ولايته الإلهية التي استمرت قرابة (٣٤) عاماً، وفي معالمها العامة نجدها مليئة بالأحداث الهائلة، وزاخرة بالمفاجئات الكبرى، فقد عاصر جمهرة من سلاطين العصر العباسي في خلافتهم الدنيوية، وعرك سنينها العجاف، وعانى فيها ما عانى من الآلام والاضطهاد ومما سيتكفل البحث بكشفه في موقعه، وهؤلاء السلاطين بحسب تسلسلهم الزمني، ومدة تسلمهم الخلافة المدعاة على النحو الآتي:

١- المعتصم، وهو محمد بن هارون الرشيد، وقد امتدت سلطته ما بين (٢١٨-٢٢٧هـ).

---

(١) ظ: الأربلّي/ كشف الغمة ٣/٢٣٢و ٢٤٤، ابن شهرآشوب/ المناقب ٤/٤٠١، المجلسي/ بحار الأنوار ٥٠/١١٤.
(٢) الأربلّي/ كشف الغمّة ٣/٢٤٤.

٢- الواثق، وهو هارون بن المعتصم، وقد امتدت سلطته ما بين (٢٢٧-٢٣٢هـ).

٣- المتوكل، وهو جعفر بن المعتصم بن الرشيد، وقد امتدت سلطته ما بين (٢٣٢-٢٤٧هـ).

٤- المنتصر، وهو محمد بن المتوكل بن المعتصم، وكانت سلطته ستة أشهر ما بين (٢٤٧-٢٤٨هـ).

٥- المستعين، وهو أحمد بن المعتصم بن الرشيد، امتدت سلطته ما بين (٢٤٨-٢٥٢هـ).

٦- المعتزّ، وهو محمد بن المتوكل، امتدت سلطته ما بين (٢٥٢-٢٥٥هـ).

ولو قارنا بين سلوك هؤلاء المدّعين للمنصب الإلهي والمتسلطين على رقاب الناس بالقهر والقوة والغلبة، والحاكمين بالسيف والإرهاب الدموي، وبين سيرة الإمام علي الهادي(عليه السلام) تلك السيرة المثالية المتسمة بالهدوء والوعي الرسالي، والناظرة إلى القرآن إماماً، وإلى الإسلام نظاماً، وإلى رسول الله(صلى الله عليه وآله) قائداً، وإلى آبائه هداةً ومرشدين، ولاحظنا عن كثب التزامه بالسنن والفرائض والواجبات الشرعية، ونظرنا بعمق إلى اعتصامه بالعروة الوثقى في الأخذ والرّد والعطاء، وانصرافه إلى الإنابة والإخبات والخشوع لله تعالى في خلواته، وإلى توجيهه الأمة في إشاراته وعباراته، وإلى جمع شمل الشعب المضيّع في عهوده القيادية، وإلى متابعة المؤمنين بالرأفة والتقويم وتلبية الاحتياجات، وإلى السمت الديني المتنوّر، والتأثم في ذات الله من كل ما يشين إلى الأفراد والجماعات، لرأينا الفارق العظيم بين منهجه القويم ومنهج العموم المتدهور في متاهات الانحطاط والتردي والخمول العقائدي بل الاختفاء.

كل ذلك وسواه مما يشهد بانحصار الإمامة فيه، وتفرّده بالمركز القيادي الأول في إدارة شؤون الدولة، سواء أتمكن من ذلك أم لم يتمكن في تسلّم الحكم وعدمه، فمنصبه الإلهي هو الذي يخوّله هذه القيادة، أتيحت له أو لم تتح، ويأبى الطغيان إلا أن يتحكم في مقدرات الأمة، ويتطاول على منازل الصديقين، وأن يحتجن لأولئك النفر الضال المعالم الرفيعة في الحكم دون استحقاق من علم أو دراية أو ورع أو دين، ولكنه السيف المسلّط على الرقاب، والافتئات على الله ورسوله بتولي ذلك المقام العظيم، وكان الناس حينذاك وإلى اليوم: بين باك على دينه وباك على دنياه، فقد اخترما معاً.

❊ ❊ ❊



ظواهر الانحراف في سيرة السلاطين

ليس بإمكان البحث تكثيف الأضواء على سيرة السلاطين من بني العباس في عصر الإمام علي الهادي(عليه السلام)، فذلك ما يستدعي مضاعفة الحديث وخروجه عن صلب الموضوع، ولهذا فإن البحث قد اكتفى بإيراد أجزاء من ذلك بمؤشرات عامة اعتبرها ظواهر أساسية في منطق الانحراف الديني في سيرة هؤلاء السياسية والاجتماعية والإدارية والأخلاقية، وفي هذه المؤشرات نظرات عابرة اعتمدها البحث أصولاً يستدل بها على عدم صلاحية أولئك الحاكمين للحكم باسم الإسلام، وفي تقمص رداء الخلافة الشرعية، فهم وهي على طرفي نقيض، لأن المحور الأساسي فيها هو التسلط التام على الشعوب إنهم بعامة أمراء جور، ورجال ابتزاز، وطلاّب ملك، لا يتورعون عن سفك الدماء، ولا يتوقفون عن ارتكاب المحرمات، فقد ارتكسوا في الملذّات غير الشرعية، وانغمسوا في الشهوات المحرمة، وولعوا بتبذير أموال المسلمين، وأقدموا علانية على مخالفة السنّة في القول والفعل سلوكاً وعملاً، وخرجوا على نواميس الدين الحنيف جملة وتفصيلاً، وعانت الأمة من ويلاتهم الشيء الكثير، وقذفوا بعشرات الألوف في السجون والمعتقلات، وزجّوا الشباب في البعوث ومعسكرات الحرب، وصادروا الحريات العامة، وانتهكوا المقدسات دون وازع من دين أو ضمير، ونظرة فاحصة في البرنامج اليومي لأي طاغية تكشف عن أمهات التجاوزات الإنسانية في التعامل والانتفاخ والأنانية وعبادة

الذات، وقد طرحوا الإسلام جانباً، وتركوا القرآن وراء ظهورهم، وأسرفوا في شرب الخمر واستماع الغناء، وتفننوا بالمآكل إلى حد الإسراف في أواني الذهب والفضة، وبالغوا في إحياء محافل الطرب ومجالس أهل الفسق، وتقريب الجواري والمغنيات يعزفن ويرقصن في جلسات داعرة مشبوهة، حتى وصف من وصف منهم، وهو الواثق بأنه: «كان أعلم الخلفاء بالغناء، وله أصوات وألحان عملها نحو مائة صوت، وكان حاذقاً بضرب العود»(١).

ولو أردنا إلقاء بعض الضوء على سيرة هؤلاء، لرأينا أشجعهم المعتصم فيما يقال، وصاحب فتح عمورية، وقاتل الإمام محمد الجواد: «إذا غضب لا يبالي من قتل ولا ما فعل»(٢).

وكان شارباً للخمر، مشاركاً في مجالس الطرب والغناء(٣).

وهو خال من العلم، ومن أبسط مقومات المعرفة عند البشر، فهو: «يكتب ويقرأ قراءة ضعيفة»(٤).

وهو أول من فتح الباب على مصراعيه لتلاعب الأتراك والمغول في شؤون الخلافة؛ وسلّم لهم الدولة وقيادة الجيش، وبنى سامراء لتكون معسكراً لهم، ثم تحوّل إليها ليكون معهم(٥).

وبإزاء تصوير لمحة خاطفة لمشاهد يوميات سلاطين الجور من خلفاء بني العباس في عصر الإمام علي الهادي(ع) نشير بإيجاز إلى جزء من تلك الممارسات الخارجة عن الإسلام في مسيرة هؤلاء الطائشين، فالواثق الذي قيل عنه بأنه:

---

(١) السيوطي/ تأريخ الخلفاء/ ٢٢٧.

(٢) الطبري/ تاريخ الأمم والملوك ٩/ ١٢١، المسعودي/ مروج الذهب ٤/ ٣، السيوطي/ تأريخ الخلفاء/ ٢٢٢.

(٣) الطبري/ تأريخ الأمم والملوك ٩/ ١٢٢، أبو الفرج/ الأغاني ١٠/ ١٣٣ و٢١٠.

(٤) الطبري/ تأريخ الأمم والملوك ٩/ ١٢١.

(٥) ظ: المسعودي/ مروج الذهب ٤/ ٩، السيوطي/ تأريخ الخلفاء/ ٢٢٣.

«من أفاضل خلفاء بني العباس»[١] كان له «مجالس غناء وطرب»[٢] بل اعتبره السيوطي: «أعلم الخلفاء بالغناء»[٣].

وكان نهماً شرهاً مسرفاً في الأكل، ذا مؤشر معروف بذلك، حتى قيل: «وكان الواثق كثير الأكل جداً». وقال ابن فهم: «كان للواثق خوان من ذهب مؤلف من أربع قطع، يحمل كل قطعة عشرون رجلاً، وكان ما على الخوان من غضارة وصحفة وسكرجة من ذهب»[٤].

وكان شديد البطش لا يجاريه بهذا أحد، فقد أزمع على قتل أحمد بن نصر الخزاعي، وكان من أهل الحديث، فاستهتر بقتله كثيراً، وتسلط بالانتقام منه حياً وميتاً.. فقد «أحضره من بغداد إلى سامراء مقيّداً... ثم أمر بالنطع فأجلس عليه وهو مقيّد، فمشى إليه فضرب عنقه، وأمر بحمل رأسه إلى بغداد فصُلِبَ بها، وصلبت جثته في سر من رأى، واستمر ذلك ست سنين، إلى أن ولِي المتوكل فأنزله ودفنه»[٥].

حتى إذا جاء جعفر المتوكل عام ٢٣٢هـ وتسلّم زمام الحكم، فعل الأفاعيل الكبرى، وتفنن بالقتل وسفك الدماء، وأسرف في تبذير الأموال وإفراغ خزائن الدولة في بناء المنتجعات والقصور الفارهة له ولأولاده، وأولع بالخمرة ولعاً شديداً، وعقد لها المحافل مع الندمان وقد أجمع مؤرخو حياته أنه كان يشرب الخمر ويقيم مجالس الشراب واللهو والغناء[٦].

---

(١) ابن الطقطقى/ الفخري/ ٢٠٩.

(٢) الطبري/ تاريخ الأمم والملوك ٩/ ١٥٢.

(٣) السيوطي/ تأريخ الخلفاء/ ٢٢٧.

(٤) السيوطي/ تأريخ الخلفاء/ ٢٢٨.

(٥) المصدر السابق نفسه/ ٢٣٣.

(٦) ظ: الطبري/ التاريخ ٩/ ١٦٧-٢٢٥-٢٢٦، المسعودي/ مروج الذهب ٤/ ٤٢-٤٤-٤٧.

وكان مولعاً بالجواري واقتنائهن، حتى قيل إنه: «كان له أربعة آلاف سرية وطئهن كلهن»[(١)].

وكان تبذير المال العام من أوليات حكم المتوكل، فقد أغرم بعمارة القصور الضخمة في الأماكن التي يقع عليها اختياره مراغمة لأهلها وملاّكها، ومصادرة بقاعها ومتنزهاتها، وضم حدائقها وبساتينها إليه، ويغرّب عنها أهلها «حتى تكون الأرض والمنازل في تلك القرى كلها له، ويخرجهم عنها»[(٢)].

وبنى من القصور الشامخة: «الشاه، والعروس، والشبداز، والبديع، والغريب، والبرج، وأنفق على البرج ألف ألف وسبعمائة ألف دينار»[(٣)].

ويبدو أن تبذيره لم يقف عند هذا الحدّ من الترف الجبروتي حتى أنفق على تلك المقاصير «فيما قيل: أكثر من ألفي ألف دينار»[(٤)].

وانتقل بسكنه الخاص «إلى موضع يقال له: الماحوز على ثلاثة فراسخ من قصر سر من رأى، وبنى هناك مدينة سماها الجعفرية، وحفر فيها نهراً من القاطول... وبنى فيها قصراً لم يسمع بمثله، وذلك في المحرم سنة ٢٤٦هـ»[(٥)].

وكان ولع المتوكل في عمارة القصور وتشييدها من مال المسلمين خارقاً للعادة في المبالغة بذلك إلى حد الإفراط والإسراف الذي لا يتناسب وطبيعة الأشياء، ونكتفي بما أورده ياقوت في ذلك: «فمن ذلك القصر المعروف بالعروس أنفق عليه ثلاثين ألف ألف درهم» أي ثلاثة ملايين دينار ذهبي.

---

(١) المسعودي/ مروج الذهب ٧١/٤، السيوطي/ تاريخ الخلفاء/ ٢٣٢.
(٢) الطبري/ التاريخ ٢١٢/٩.
(٣) اليعقوبي/ التأريخ ٢١٥/٣.
(٤) الطبري/ التاريخ.
(٥) اليعقوبي/ التأريخ ٢١٦/٣.

والقصر المختار: خمسة آلاف ألف درهم.

والوحيد: ألفي ألف درهم.

والجعفري المحدث: عشرة آلاف ألف درهم.

والغريب: عشرة آلاف ألف درهم.

والصبح: خمسة آلاف ألف درهم.

والمليح: خمسة آلاف ألف درهم.

وقصر بستان الأيتاخية: عشرة آلاف ألف درهم.

والتل علوه وسفله: خمسة آلاف ألف درهم.

والجوسق في ميدان الصخر: خمسمائة ألف درهم.

وبركوار للمعتز: عشرين ألف ألف درهم.

والقلائد: خمسين ألف دينار، وجعل فيها أبنية بمائة ألف دينار.

والغرّة في دجلة: ألف ألف درهم.

والقصر بالمتوكلية: خمسين ألف ألف درهم.

والبهو: خمسة وعشرين ألف ألف درهم.

واللؤلؤة: خمسة آلاف ألف درهم[(١)].

وناهيك عن تأثيثها ومرافقها، وما تحتاج إليه من آلات وأرائك، وستائر، وفرش، وآنية، ومخازن، وأخشاب، وسجّاد، وأغطية، ومزهريات، وتحف، ومعدّات الطبخ والطعام، ووسائل الراحة، ونظام النوم، والجلوس، والاستقبال، والتوديع، ومستلزمات الحرم والخدم والحشم، ومتطلبات الحجّاب والمتوكلين والعمّال والمنظّفين.. إلخ.

وهذا ما يقدر بمئات الآلاف من الملايين من الذهب الخالص لمتعة وسدّ رغبات أمير المؤمنين!! فيا له من بذخ وعبث وإسراف!!

---

(١) ياقوت/ معجم البلدان ٣/١٧-١٨.

وفي الوقت الذي يبني فيه المتوكل هذه القصور الفارهة يأمر في سنة ٢٣٦هـ بهدم قبر الإمام الحسين بن علي(ع)، وهدم ما حوله من المنازل والدور، وأن يحرث ويبذر ويسقى موضع قبره، وأن يمنع الناس من إتيانه، فنادى بالناس في تلك الناحية: من وجدناه عند قبر الحسين بعد ثلاثة حبسناه في المطبق[(١)].

وذكر الأستاذ جعفر الخياط في مصادره: «أن المعروف في المراجع العربية أن الخليفة المتوكل قد أمر بهدم قبر الإمام الحسين(ع) ومخره وحرثه أربع مرات متتاليات خلال مدة حكمه البالغة حوالي خمس عشرة سنة (٢٣٢هـ-٢٤٧هـ).

وكانت أول مرة هدم فيها المتوكل قبر الإمام الحسين الشهيد على أثر ذهاب إحدى جواريه إلى زيارة شعبان سنة ٢٣٢هـ

والمرّة الثانية سنة ٢٣٦هـ (٨٥٠م) وهي المرة التي تشير إليها دائرة المعارف الإسلامية.

أمّا المرّة الثالثة ففي سنة ٢٣٧هـ أي في السنة التالية، بينما كانت المرّة الرابعة في سنة ٢٤٧هـ فقتل على إثرها بتدبير من ابنه الخليفة المنتصر لأنه كان تقياً ورعاً يميل إلى أهل البيت»[(٢)].

ويبدو من هذا النص لنا استنتاج بعض المظاهر التأريخية:

الأولى: أن زيارة الإمام الحسين في النصف من شعبان كانت متعارفة آنذاك، بحيث يقصد إليها من سامراء.

الثانية: أن البلاط العباسي قد اخترق في أعماقه، فإحدى جواري المتوكل -وقد سأل عنها- قد قصدت إلى زيارة الحسين.

---

(١) ظ: ابن الأثير/ الكامل في التاريخ ٥/ ٢٨٧.

(٢) جعفر الخياط/ كربلاء في المراجع الغربية/ بحث مطوّل ضمن موسوعة العتبات المقدسة لجعفر الخليلي/ قسم كربلاء/ ٢٥٨/ دار الكتب/ بيروت/ ١٩٦٦.

الثالثة: أن هذا الهدم المتكرر قد أعقبه التعمير السريع من قبل أولياء أهل البيت، فكلما هدم القبر بادر أولياء الإمام الحسين إلى بنائه من جديد اعتداداً بالإمام الشهيد وتخليداً لذكراه.

وكان سبب هذا الحقد الأعمى بغض أمير المؤمنين الإمام علي(ع) من قبل المتوكل، حتى قال ابن الأثير إنه كان:

«شديد البغض لعلي بن أبي طالب(ع)، ولأهل بيته، وكان يقصد من يبلغه أنه يتولى علياً وأهله بأخذ المال والدم»[١].

وحينما أقدم المتوكل على هدم قبر الإمام الحسين(ع) وما حوله من المنازل والدور، قوبل بمعارضة داخلية ببغداد، وثارت ثائرة المسلمين هناك، قال السيوطي:

«فتألم المسلمون من ذلك، وكتب أهل بغداد شتمه على الحيطان والمساجد، وهجاه الشعراء، فمما قيل في ذلك:

تالله إن كانت أمية قد أتت ... قبر ابن بنت نبيِّها مظلوما

فلقد أتاه بنو أبيه بمثله ... هذا لعمرك قبره مهدوما

أسفوا على أن لا يكونوا شاركوا ... في قتله.. فتتبعوه رميما»[٢]

وقد استهتر المتوكل وولع بالانتقاص من أمير المؤمنين حتى في مجالس شربه وطربه، فقد كان من جملة ندمائه (عبادة المخنّث) «وكان يشد على بطنه تحت ثيابه مخدّةً، ويكشف رأسه وهو أصلع، ويرقص بين يدي المتوكل، والمغنّون يغنّون:

قد أقبل الأصلع البطين ... خليفة المسلمين

---

(١) ابن الأثير / الكامل في التاريخ ٥/ ٢٨٧.

(٢) السيوطي/ تأريخ الخلفاء/ ٢٣٠.

يحكي بذلك علياً(ع)، والمتوكل يشرب ويضحك، ففعل ذلك يوماً والمنتصر حاضر، فأومأ إلى عبادة يتهدده، فسكت خوفاً منه، فقال المتوكل: ما حالك؟ فقام وأخبره، فقال المنتصر: يا أمير المؤمنين؛ إن الذي يحكيه هذا الكلب ويضحك منه الناس: هو ابن عمِّك وشيخ أهل بيتك وبه فخرك!! فكلْ أنت لحمه إذا شئت، ولا تطعم هذا الكلب وأمثاله منه، فقال المتوكل للمغنين، غنّوا جميعاً:

غارَ الفتى لابن عمِّه رأس الفتى في حر أمه

فكان هذا من الأسباب التي استحل بها المنتصر قتل المتوكل»[1].

وعادت جميع قصور المتوكل الفخمة الضخمة خراباً تسفي فيها الرياح، كأن لم تكن من ذي قبل، وكان ذلك بعد مدة وجيزة من بنائها وعمرانها، وقد أورد الأستاذ جعفر الخياط عن دائرة المعارف الإسلامية القول الطريف الآتي:

«ويرى بعضهم كذلك أن اندثار قصور المتوكل وخرابها السريع بعد ذلك كان عقاباً إلهياً من الله له على الجريمة النكراء التي ارتكبها في تهديم قبر الإمام الحسين في كربلاء سنة ٢٣٦للهجرة»[2].

وكان المتوكل مضافاً إلى هذا الإسراف وبغض أهل البيت، والعداء لأمير المؤمنين، وتهديم مرقد سيد الشهداء، كان شديد البطش في أعدائه وأصدقائه على حدٍّ سواء، فقد قام بالتصفية الجسدية لأركان دولته، فقد غضب على محمد بن عبد الملك الزيات وزيره السفاك، فصادر أمواله ثم حبسه في تنور من حديد، فمات فيه[3].

---

(١) ابن الأثير/ الكامل ٥/٣٨٧، القلقشندي/ مآثر الأنافة ١/٢٣٠.

(٢) جعفر الخياط/ سامراء في المراجع الغربية/ بحث مطوّل في موسوعة العتبات المقدسة للأستاذ جعفر الخليلي/ قسم سامراء/ جـ١/ ٢٠٤/ مطابع دار الكتب/ بيروت/ د.ت.

(٣) المسعودي/ مروج الذهب/ ٤/٣٩.

ثم سخط على وزيره عمر بن فرج الرجخي وحبسه، وكان ممن بني الدولة العباسية، وأشغل عدة مناصب[١].

واستطال المتوكل في قتل كبير قواده (إيتاخ الخزري) بصورة همجية في سنة ٢٣٥هـ[٢].

وما ذكرناه غيض من فيض جرائم المتوكل، وستجد تفصيلات أخرى لجرائمه وأعماله العدائية لأهل البيت في الفصل القادم. حتى إذا قُتل المتوكل عام ٢٤٧ من الهجرة تسلم زمام الحكم ولده المنتصر، وكان على سيرة أبيه من وجه، وفي خلافه من وجه آخر، فهو رجل متناقض في هذا المقام.

فقد قال عنه المؤرخون أنه كان:

«شهماً فاتكاً سفّاكاً للدماء»[٣].

وكان يشرب الخمر ويقيم مجالس الغناء في قصره[٤].

هذا من وجه، ومن وجه آخر كان محسناً للعلويين، لا يتعقب أحداً منهم، وأذاقهم شيئاً من الحرية، وقد ردّ عليهم فدكاً، ورفع عنهم الأذى، وحررهم من الخوف على الإجمال[٥].

ومن أهم أعماله السماح للمسلمين وأولياء أهل البيت بخاصة بزيارة مرقد أمير المؤمنين علي(عليه السلام)، بعد منع المتوكل لذلك، وكذلك الحال في رفعه المنع عن زيارة سيد الشهداء الإمام الحسين بن علي(عليه السلام).

وكان من حسناته أن عزل والي المدينة صالح بن علي الذي أساء للعلويين، واستعمل علي بن الحسن بدلاً عنه، وأوصاه بالبر والإحسان إليهم[٦]..

---

(١) ظ: الطبري/ تأريخ الأمم والملوك ٩/ ١٦١.

(٢) المصدر السابق نفسه ٩/١٦٨-١٦٩.

(٣) ابن الطقطقى/ الفخري/ ٢١١.

(٤) ظ: الطبري/ التاريخ ٩/٢٥٢، المسعودي/ مروج الذهب ٤/٧٨.

(٥) ظ: السيوطي/ تأريخ الخلفاء ٢٣٧، آل ياسين/ الإمام علي الهادي/ ٤١.

(٦) ظ: ابن الأثير/ الكامل في التأريخ ٥/٣١١.

وهذه الأعمال مما سجله التأريخ للمنتصر بن المتوكل، إلاّ أن أيامه لم تطل، فقد اخترمه الأجل، وقام بعده أحمد المستعين عام ٢٤٨هـ وكان طاغية سفّاكاً للدماء «مستضعفاً في رأيه وعقله وتدبيره، وكانت أيامه كثيرة الفتن، ودولته شديدة الاضطراب»[١].

وكان اضطهاد أتباع أهل البيت قائماً على قدم وساق، مما ساعد على انتشار الحركات الدموية، وازدياد عمليات العنف الثوري، وفي هذا الجو المحموم قتل يحيى بن عمر العلوي في سنة ٢٥٠هـ[٢].

وقد حمل رأسه فنصب بسامراء «واجتمع الناس لذلك وكثروا وتذمروا... ثم حُطَّ وردَّ إلى بغداد لينصب بباب الجسر، فلم يتهيأ ذلك لكثرة من اجتمع من الناس... فجعل في صندوق.. وجلس محمد بن عبد الله بن طاهر لتقبّل التهاني بمقتل يحيى بن عمر... فدخل عليه داود بن القاسم أبو هاشم الجعفري فيمن دخل، فسمعهم يهنئونه!! فقال: أيّها الأمير إنك لتهنأ بقتل رجل لو كان رسول الله(ص) حيّاً لعزّي به، فما ردّ عليه محمد بن عبد الله شيئاً، فخرج أبو هاشم الجعفري وهو يقول:

يا بني طاهر كلوه وبياً ... إن لحمَ النبي غير مريٍّ

إن وتراً يكون طالبه اللّـ ... ـهُ لوترٌ نجاحه بالحريّ»[٣]

وكان هذا موقفاً مشرفاً وجريئاً من أبي هاشم الجعفري.

ولم يكن المستعين شخصية ذات قوة سياسية في إدارة شؤون الدولة بل كان آلة تلقائية يحركها الأتراك، وألعوبة في أيديهم، وقد فوّض الأمر إليهم، حتى قال الشاعر:

---

(١) ابن الطقطقى/ الفخري/ ٢١٤.

(٢) ظ: الطبري/ التاريخ ٩/٢٦٦.

(٣) الطبري/ تاريخ الأمم والملوك ٩/٢٧٠.

خليفـــــة فــــي قفـــصٍ   بـــين وصـــيف وبغــــا
يقـــول مـــا قـــال لـــه: كمـــا تقـــول الببغـــا[1]

ووصيف وبغا من قواد الأتراك يشرفان على تـصريف شـؤون الدولـة، وليس للمستعين من الأمر إلاّ الاسم.

ومع هذا فقد كان المستعين متلافاً للمال العام، مبـذراً لخـزائن الدولـة، أسرف في تفريق ذلك بين ملذاتـه وشـهواته، وكـدّسَ الجـواهر والـذهب والفضة في صناعات عظيمة عرضها على شكل متاحف ومعارض وتماثيل، يحير النظر في وصفها، والقلم في رصف محتوياتها[2].

وقتل الأتراك المستعين، وتولّى الحكم محمد المعتزّ بن المتوكـل سـنة ٢٥٢هـ وهو أول خليفة «أظهر الركوب بحلية الذهب... فلمّا ركـب المعتـزّ بحلية الذهب اتبعه الناس في ذلك»[3].

وفي عهد المعتزّ تبدد مـال الدولـة، وبـدا فيـه الخـواء العـام، حتـى أن الأتراك «ثاروا به، وطلبوا منه مالاً، فاعتذر إليهم، وقال: لـيس فـي الخـزائن شيء» فخلعوه[4].

وكان خلع المعتز وهلاكه عام ٢٥٥هـ بعد أن أجهز على الإمام علي بن محمد الهادي عام ٢٥٤هـ[5].

وقد جـوزي علـى ذلـك بالانتقـام العاجـل مـن الله تعـالى فقـد أورد المسعودي أن المعتز: أدخل الحمام مكرهاً -من قبل القواد الأتراك- وكـان

---

(١) المسعودي/ مروج الذهب ٤/ ٩٠.

(٢) ظ: باقر شريف القرشي/ حياة الإمام علي الهادي/ ٢٧٨-٢٨٠.

(٣) المسعودي/ مروج الذهب ٤/ ١١٠، السيوطي/ تأريخ الخلفاء/ ٢٣٩.

(٤) ظ: الطبري/ التأريخ ٩/ ٣٨٩، المسعودي/ مروج الذهب ٤/ ١١٠، ابن الطقطقى/ الفخري ٢١٥، السيوطي/ تأريخ الخلفاء/ ٢٣٩.

(٥) ظ: اليعقوبي/ التأريخ ٣/ ٢٣٤.

الحمام محمياً ومنع من الخروج منه. وذكر روايتين في حادثة الحمام، الأولى تقول: أن المعتزّ ترك في الحمّام حتى فاضت نفسه، والأخرى تقول: أن المعتزّ أخرج بعد أن كادت نفسه تتلف للحمّى، ثم سقي شربة ماءٍ مقراة ثلجاً، فنثرت الكبد وغيره، فخمد من فوره[1].

بينما ذكر ابن الأثير في قتله صورة أخرى، وهي أن الأتراك طلبوا منه مالاً، فاعتذر لهم وردّ طلبهم، فدخل إليه جماعة منهم فجرّوه برجله إلى باب الحجرة، وضربوه بالدبابيس وخرقوا عليه قميصه، وأقاموا في الشمس فكان يرفع رجلاً ويضع أخرى لشدة الحرّ، وكان بعضهم يلطمه وهو يتقي بيده.. ثم أدخلوه سرداباً وجصصوا عليه فمات[2].

وهكذا كانت نهاية المعتز، وهكذا كان الإمام علي الهادي(ع) يحيا هذا المناخ الصعب المكفهرّ لهؤلاء الخلفاء المتماجنين بل الماجنين الذين تحكموا في مقدرات الأمة، وفرطّوا بأموال الدولة، واستهانوا بالقيم والمثل العليا، وخالفوا الإسلام في مبادئه ومقدساته وثوابته فعم البؤس وسادت الفاقة، وصادروا الناس، وتملّكت الثروة طبقة القواد من الأتراك، والكتّاب والولاة والعمال وحاشية السلطان، ونعم بها أهل الفسق والطرب والمجّان والمغنّون، حتى تعطلت الحياة الاقتصادية، وشلّت حركة الأسواق، بينما تمتع الشعراء والمتزلفون وفقهاء البلاط بالأعطيات الضخمة والعطايا الجزيلة على حساب المضطهدين والمحرومين من طبقات الشعب الأخرى.

يقول أستاذنا الدكتور شوقي ضيف رئيس مجمع اللغة العربية في القاهرة بهذا الصدد:

---

(١) ظ: المسعودي/ مروج الذهب ١٣٥/٤.

(٢) ظ: ابن الأثير/ الكامل في التاريخ ٣٤٢/٥.

«وعلى هذا النحو كانت ملايين الدنانير والدراهم تنفق بدون حساب، وبدون أي رقابة في حفلات القصر، وهي حفلات أمدّت القصص في كتاب (ألف ليلة وليلة) بكل ما يقع في الخيال والوهم من بذخ وترف لا ضفاف له، بدلاً من أن توجه هذه الملايين إلى مرافق الشعب وحاجاته، أو إعداد الجيوش في حرب الترك والبيزنطيين، كانت تبدد هذا التبديد الأحمق، والشعب يكدّ ويشقى، ويسيل عرقه مدراراً، ويتجرع غصص البؤس والحرمان ليعبث المتوكل وغير المتوكل بأمواله، فإذا قصور شمّاء تبنى، وينفق فيها الملايين، وإذا هي تستحيل إلى مقاصف يدور فيها الكأس والطاس، وتنثر حمول الذهب والفضة»[١].

وانتشرت البطالة بين المحرومين من لقمة العيش، وعزّ على الشعب القوت بينما حفلت القصور ومحافل الغناء بما لذّ وطاب. وكان التضخم قد فتك بالطبقة الضعيفة، فلم تجد سبيلاً إلى سدّ الرمق بالقدر الأدنى، في حين يحيا الخلفاء حياة اللهو والانغماس في العبث والمجون، والذي قد لا يصدّق أحياناً لتجاوزه حد الإسراف، فقد أورد الشابشتي: أن المتوكل شرب يوماً، فقال لندمائه:

«-ولم تكن تلك الأيام أيام ورد ورياحين- أرأيتم إن عملنا احتفالاً بالورد أو كما نطقه بالفارسية «شاذكلاه» فقالوا له: لا يكون الشاذكلاه إلا بالورد!! وليست الأيام أيام ورد!!

فقال: ادعوا لي عبيد الله بن يحيى، وكان أحد وزرائه، فحضر فقال له: اضرب لي دراهم في كل درهم حبتان من الفضة، فسأله: كم المقدار؟ فأجابه: خمسة ملايين درهم!!

فأمر عبيد الله بضربها، فضربت، وأنبأ المتوكل بضربها فقال له: اصبغ طائفة منها بالحمرة، وطائفة بالصفرة، وطائفة بالسواد، واترك طائفة على

(١) شوقي ضيف/ تاريخ الأدب العربي/ العصر العباسي الثاني/ ٦٨.

حالها. فصنع عبيد الله ما أُمِرَ به، ثم تقدم المتوكل إلى خدمه وحواشيه -وكانوا سبعمائة- فأمرهم أَن يعد كل منهم قباءً جديداً وقلنسوة بخلاف لون قباء صاحبه وقلنسوته، ففعلوا. ثم تحيَّن يوماً فيه ريح، فأمر أن تنصب قبة لها أربعون باباً، فاصطبح فيها والندماء حوله، وعلى الخدم الكسوة الجديدة، وأمر المتوكل بنثر الدراهم كما ينثر الورد طائفة طائفة، فنثرت تباعاً، وكانت الريح تحملها لخفتها، فتتطاير في الهواء كما يتطاير الورد»[1].

وهكذا تذهب أموال الأمة هدراً كما ذهبت دماؤهم هدراً في سبيل إشباع أولاع السلطان غير المشروعة.

* * *

(١) ظ: الشابشتي/ الديارات/ ١٦٠.

إشكالية الطواغيت الصغار

ولم تكن حقبة الاطمئنان النفسي التي حظي بها الإمام علي الهادي(عليه السلام) في عهد المنتصر بعد مقتل أبيه في شوال (٢٤٧هـ) لتستمر طويلاً، إذ لم يقدّر للمنتصر أن يتولى الحكم سوى ستة أشهر، وهي فترة قصيرة جداً، إلا أنه رفع الظلامة عن أهل البيت قدر المستطاع، وأحسن السيرة مع العلويين، ووجه بمال يفرّق عليهم، وكان يؤثر مخالفة أبيه في جميع أحواله، ومضادّة مذهبه طعناً عليه، ونصرةً لفعله[1].

وقد اشتهر هذا الأمر عن المنتصر حتى قال أبو الفرج:

«وكان المنتصر يظهر الميل إلى أهل البيت(عليهم السلام)، ويخالف أباه في أفعاله، فلم يجر منه على أحد منهم قتل أو حبس أو مكروه»[2].

فكأن القتل والحبس والمكروه لأهل البيت هو القاعدة في مرتكزات الحكم العباسي، والتسامح هو الشذوذ، ومع هذا فقد كان سلوك المنتصر مخففاً من الضغط النفسي على الإمام.

ولدى قتل المنتصر مسموماً كما يرى ذلك السيوطي[3] تولى الحكم المستعين، أحمد بن المعتصم بن الرشيد، فعادت الفتنة جذعة، وشمل أتباع أهل

(١) ظ: الأصبهاني/ مقاتل الطالبيين/ ٣٩٦.
(٢) المصدر السابق نفسه/ ٤١٩.
(٣) السيوطي/ تاريخ الخلفاء/ ٤١٩.

البيت الخوف والاضطهاد والإرهاب الدموي، يضاف إلى ذلك الاضطراب السياسي نتيجة تسلط الأتراك على الحكم، واستبدادهم بالأمر دون الخليفة، والصراع على السلطة حتى بين العباسيين أنفسهم، فحدثت عدة انتفاضات مدمّرة سفكت فيها الدماء وأزهقت الأرواح، وعظم على الناس البلاء، فكانت لإسماعيل بن يوسف الجعفري وثبة عارمة في المدينة المنوّرة، وكانت لرجل من لخم في الأردن وثبة مماثلة، وهناك حركة عسكرية في سامراء نفسها، وضربه لأوتاش التركي أحد قادة الجيش، وهناك أحداث دامية في المعرّة بقيادة يوسف بن إبراهيم التنوخي، وحصل تمرّد في الجيش بفارس، ووثبوا على عامل العباسيين الحسين بن خالد، ووثبة الأهالي في حمص بعاملهم التركي كيدر الأشروسني[١].

وكانت هذه الحركات الدامية تمثل عنصراً من الأرزاء يضاف إلى الإشكاليات الكبرى في العصر، وكانت مضاعفاتها الخطيرة تنخر في جسد الأمة المتآكل، وكان اندلاعها نذيراً بفقد الأمن وانفلات الضبط الإداري، وكان تكرارها عاملاً مساعداً على تدهور الحياة الاقتصادية، فقد ساعدت على غلاء الأسعار، وتصاعد حدّة التضخم المالي، مضافاً إلى انتهاك الحرمات وهتك الأعراض واستباحة الدماء.

هذا المناخ بصوره القائمة ونتائجه السلبية كان مما يقضّ مضجع الإمام علي الهادي(ع) وهو يرى تصريف شؤون الأمّة بقيادة دكتاتورية مستبدّة لا تصلح لإدارة قرية، فضلاً عن دولة مترامية الأطراف، ولم يكن بإمكانه تغيير الأوضاع ولا ترك الحبل على الغارب، فعمد إلى تحصين المسلمين بالصبر والحذر واليقظة، وتدارك البقية الباقية من الضياع والانحلال.

حتى إذا جاءت حكومة المعتز بن المتوكل ما بين (٢٥٢-٢٥٥هـ) على أكتاف القادة الأتراك في مؤامرة سياسية، فكثر العزل والنصب والاستيزار

---

(١) المجمع العالمي/ أعلام الهداية/ الإمام علي بن محمد الهادي/ ١١٥.

والخلع والتقليد وهبة الأوسمة والألقاب بما يعدّ أضحوكة في تأريخ حكمه، حتى لقد فقد هيبته وسيطرته معاً، ولم تعد له قيمة تذكر، ولا للخلافة هيمنة تذكر.

ومن الطريف في استخلافه الاسمي استدعاء بعض أصحابه جماعةً من المنجمين، فسئلوا: كم يبقى الخليفة في الحكم؟؟ فانبرى أحد الظرفاء قائلاً: أنا أعرف ذلك!! فقالوا له: أخبرنا عن ذلك، فقال: إن الأمر بيد الأتراك فهم الذين يقررون مدة حكمه وحياته، فلم يبقَ أحدٌ إلاّ غلبه الضحك[١].

وكانت أيام المعتز أيام اضطهاد شنيع لأولياء أهل البيت مضافاً إلى حرمانهم من العطاء والأرزاق والولاية، فقد أعمل فيهم السيف سيما الطالبيين الذين ذهبت دماؤهم هدراً، فقد قتل في عهده جعفر بن محمد الحسيني في وقعة حدثت له بالري بينه وبين أحمد بن عيسى عامل محمد بن طاهر[٢].

واستشهد في عصره إبراهيم بن محمد العلوي، قتله طاهر بن عبد الله في وقعة كانت بينه وبين الكوكبي في قزوين[٣].

وفتح سجونه وطوامير الأبواب في استقبال أتباع أهل البيت، فسجن منهم الكثيرين، ومات منهم في حبوسه جملة كان بينهم عيسى بن إسماعيل الحضرمي وأحمد بن محمد الحسيني[٤].

وثبت الإمام علي الهادي(عليه السلام) أمام هذه الهجمات التي عبثت بمقدرات المسلمين، واستحلت دماءهم ظلماً وعدواناً، وصبر على متابعة أوليائه صبراً جميلاً، في عهدي المتوكل والمعتز، نظراً لما يتمتع به من مرونة ورزانة

---

(١) ظ: ابن الطقطقى/ الفخري/ ١٨١.
(٢) الأصبهاني/ مقاتل الطالبيين/ ٤٣٤.
(٣) المصدر السابق نفسه/ ٤٣٣.
(٤) المصدر السابق نفسه/ ٤٣٤.

ومتانة تفكير، حتى لقد قال المستشرق الإنكليزي: دوايت دونالدسون بعد أن قدّم دراسة عنه «إنه كان رجلاً رزيناً حسن الطبع، طيّب الخلق، عانى كثيراً من كره المتوكل له في جميع الأيام، ولكنه مع ذلك حافظ على هيبته ووقاره، وأبدى كثيراً من الصبر»[١].

فإذا علمنا أن الإمام ينظر إليه من قبل العباسيين أنه كبير المعارضين للحكم، بل هو المرشح الوحيد للإمامة الشرعية دونهم، أدركنا مدى الحقد عليه، والتوجس منه، والإيقاع به.

يقول الأستاذ القرشي: «وكان الإمام علي الهادي الممثل الوحيد للجبهة المعارضة للحكم العباسي، وأحد القادة الطليعيين لهذه الأمة في مسيرتها النضالية ضد الطغيان والجبروت، فقد وقف موقفاً سلبياً يتميز بالشدة والصلابة أمام ملوك عصره، فلم يتصل بأي واحد منهم، وآثر الابتعاد عنهم، الأمر الذي أوجب أن يحقدوا عليه، ويضمروا له العداوة والبغضاء، ويقابلوه بمزيد من الشدة والقسوة»[٢].

ولكن الملاحظ أن البلاط العباسي، يحاول الاقتراب ظاهرياً من الإمام، ويدعوه إلى رحابه، وكان ذلك للتغطية على الناس، فلقد كان هذا الأمر بلحاظ الرقابة الصارمة عليه، ومتابعة نشاطه من قرب، ولكن حذر الإمام حال دون ظفرهم بأي مستمسك ضده.

* * *

---

(١) دونالدسن/ عقيدة الشيعة/ ٢٤٧ ترجمة اللواء الركن عبد المطلب الأمين.

(٢) باقر شريف القرشي/ حياة الإمام علي الهادي/ ٩.

الفساد الإداري في نظام الحكم العباسي

كان للفساد الإداري للحكم في عصر الإمام الهادي(عليه السلام) عدة ظواهر سلبية أطاحت بالنظام إلى الحضيض الأوهد، وكان منشأ ذلك استيلاء القادة الأتراك على مرافق الدولة والجيش مضافاً إلى استبداد الولاة في الأقاليم، وانتشار الرشوة ومصادرة أموال الأمة في مفاصل الدولة، وحالة الفقر المدقع بين صفوف الشعب في قبال حياة الخلفاء، والانحراف العام سيما في استراتيجية الفتوح الإسلامية التي يراد منها التحرير لا الاستعباد.

ولا بد للبحث من الوقوف جزئياً عند هذه الظواهر لإثباتها، ولاستقراء ما جرّته على الإسلام من البلاء والعناء.

أ- قيادة الأتراك للنظام:

استولى الأتراك على السلطة في الحكم العباسي منذ أوائل القرن الثالث الهجري، واستأثروا بالحكم دون خلفاء العباسيين، فكانت لهم الإمرة، وقيادة الجند، والنصب والعزل والتولية، والسيطرة على الشؤون السياسية والحياة الاقتصادية وتوجيه صادرات الأقاليم وإيراداتها بحسب مصالحهم، واحتجان المال العام في الفيء والخراج والغنائم لهم دون سواهم خزينة الدولة ملكاً لهم، ولا صلاحية للحاكم العباسي الأول إلا الاسم.

يرى الأستاذ جعفر الخياط أن خلفاء بني العباس في سامراء «لم يكن أكثرهم سوى آلات مسيّرة بأيدي القواد الأتراك الذين استفحل أمرهم

بحيث كانوا يعزلون هذا الخليفة وينصبون غيره بكل ما في هاتين العمليتين من إذلال وإهانة، ومن يدري فلعل ما أصاب المتوكل وأبناءه من هذا التنكيل، وما حلّ بقصورهم ومرابعهم من خراب وتهديم، قبل أن يتمتعوا بها زمناً طويلاً، لم يكن إلاّ عقاباً من الله العزيز القدير على ما يقول بعض المؤرخين، لكونهم انتهكوا حرمة الحسين أبي الشهداء وأبنائه، واضطهدوا آل البيت النبوي الكريم في كل مكان»[1].

وشاهدنا من هذا النصّ فقراته الأولى في سيطرة الأتراك على شؤون الدولة وانفرادهم في الأمر.

يقول الأستاذ المستر ريتشارد كوك:

«فقد كان العباسيّون يعتمدون في تسيير شؤون الإمبراطورية وضبطها على أناس من أقوام غريبة، وكان حرسهم الخاص منذ البداية يتألف من جنود ينتمون إلى مختلف الأمم الشرقية ومن الأتراك وحدهم بعد ذلك، وقد استعصى أمر هؤلاء في النهاية حتى أصبحوا أشبه ما يكون بالحرس «البريتوري» فضج البغداديون من تصرفاتهم الشائنة وسوء سلوكهم، فقرر المعتصم في أحد الأيام أن يأخذ بمشورة قواده الأتراك، وينقل مقرّ الحكومة عن بغداد»[2].

وتطرف المعتصم منذ لحظاته الأولى في إعطاء الصلاحية المطلقة لكبار الأتراك، فجعل (أشناس) متولياً من قبله على كل شيء، وصيّر له أن يولّي الولاة على القصبات والأقاليم، ونصبه حاكماً مطلقاً، وكان يدعى له على المنابر[3].

---

(١) جعفر الخياط/ سامراء في المراجع الغربية «بحث مطول» ضمن: موسوعة العتبات المقدسة/ قسم سامراء ١/ ٢٤٩-٢٥٠.

(٢) ريتشارد كوك/ بغداد مدينة السلام/ ٩٠ وما بعدها/ تعريب الأستاذ جعفر الخياط/ موسوعة العتبات المقدسة/ قسم سامراء ١/ ٢٥٠.

(٣) ظ: ابن تغري بردي/ النجوم الزاهرة ٢/ ٢٢٩.

وبقي هذا القائد التركي (أشناس) متقلباً بين المناصب الكبرى حتى أيام الواثق فولّاه على بغداد، وجعل أعمال المغرب قاطبةً تحت إمرته، وأسند إليه شؤون تلك الأقاليم كافة، يولّي عليها من يشاء من دون مراجعته، واستخلفه على جميع أمور الملك، وألبسه وشاحين من جوهر[١].

ولم يكن الأتراك مؤهلين لقيادة الحكم الإسلامي التي يجب أن تتصف بالحنكة والرفق والرأفة بالرعية، وأن تتحلى بموازين الشريعة في إدارة شؤون الدولة، وأن تلتزم بقوانين الإسلام روحاً وجوهراً، ولم يكونوا كذلك، وإنما أخذوا الناس بالسيف والقهر، واستولوا على مقاليد الأمور بالعنف وقوة السلاح والمؤامرات، وكانت طباعهم بدوية خالصة، وأخلاقهم جافة، ومعاملتهم خشنة، حتى قال الجاحظ (ت:٢٥٥هـ) بوصفهم، وهو معاصر لذروة تسلطهم على الرقاب:

«الترك أصحاب خيام، وسكّان فياف، وأرباب مواشٍ، وهم أعراب العجم... في حين لم تشغلهم الصناعاتُ والتجارات والطّب، والفلاحة، والهندسة، ولا غرس، ولا بنيان، ولا شق أنهار، ولا جباية غلاّت، ولم يكن همهم غير الغزو والغارة، والصيد، وركوب الخيل، ومقارعة الأبطال، وطلب الغنائم، وتدويخ البلدان، وكانت همتهم إلى ذلك معروفة، وكانت هذه المعاني والأسباب مسخّرة ومقصورة عليها وموصولة بها، أحكموا ذلك الأمر بأسره، وأتوا على آخره، وذلك هو صناعتهم، وتجارتهم، ولذتهم، وفخرهم، وحديثهم، وسمرهم...»[٢].

ومن كانت هذه صفاته، فهو إلى البداوة أقرب، وبالغلظة والجفوة ألصق، وهكذا أتراك العصر العباسي، فقد بعدوا عن المدنيّة، واستوحشوا من

(١) ظ: اليعقوبي/ التأريخ ٣/٣٠٥.
(٢) ظ: القرشي/ حياة الإمام علي الهادي/ ٢٨٥ وانظر مصدره.

التحضّر، وإذا بهم المسيطرون على دفة الحكم، والمتربعون في دست الخلافة، فمني الحكم بالهزيمة، واستولت المشاكل على الحياة، وعادت الولايات بين أيديهم مغنماً يباع ويشرى ويعاد، فقد باع الوزير الخاقاني -مثلاً- ولاية الكوفة في يوم واحد على تسعة عشر والياً، وقد أخذ من كل واحد رشوة معينة، حتى قال شاعر معاصر له(١):

وزيـرٌ لا يمـل مـن الرقاعـة ... يـولّي ثـم يعـزل بعـد سـاعة

إذا أهـل الرشـا هـادوا إليـه ... فأحظى القـوم أوفـرهم بـضاعة

ب- الرشاوى ومصادرة الأموال:

وكانت الفوضى في الابتزاز اللامشروع تتمثل في الرشاوى لدى الحاكمين، ومصادرة الأموال حتى الوزراء فضلاً عن المعارضة، وامتدّ ذلك المناخ يستقطب قادة الحكم العباسي ابتداءً من الخليفة إلى رؤساء الوزارة، إلى الكتّاب، والعمّال، والولاة، والقضاة، والشرطة، والجيش، ورجال الأعمال.

ولم تكن الرشوة في الحكم إلاّ بعض سبل القرارات في مصادرة الأموال، إذ صودرت الملايين من الدينار الذهبي من قبل الحاكمين بعضهم لبعض، وكانت تؤخذ قسراً وعلناً، لتعطى للمصادرين جهاراً نهاراً، فيأخذ من لا يستحق أموال من لم يملك، لأنها تكوّنت من المال الحرام والسحت الآثم، لتصل إلى الأيدي الخائنة في سورة من الغضب، أو جبروت من السلطان، ولم يكن هذا العمل للتأديب أو المقاصّة، ولكنها الأحكام الكيفية في حالتي السخط والابتزاز لا أكثر ولا أقل.

لقد صادر المتوكل أموال وزيره محمد بن عبد الملك الزيات التي اختلسها من الشعب، ولكنها لم تعد إليه وإنما عادت لخزائن الخليفة يبذرها في فسقه ومجونه وعمارة قصوره.

---

(١) ابن الطقطقى/ الفخري/ ١٩٨.

وصادر من أموال كاتبه المقرّب عمر بن الفرج الرخجي بما قيمته مائة وعشرون ألف دينار ذهباً، واحتجن من مال أخيه مائة وخمسين ألفاً[1].

ولك أن تنظر في فساد الحكم حينما تعلم أن قاضي القضاة يحيى بن أكثم قد صودر بخمسة وسبعين ألف دينار[2]. وطبيعي أن هذه الأحكام العرفية في المصادرات كانت نتيجة خيانة الوزراء والكتاب والقضاة وهم يقتطعونها من قوت الشعب ودماء الأمة.

ويحدثنا التأريخ أن الواثق العباسي في سنة ٢٢٩هـ قد صادر كتّاب الدواوين بما يقرب من مليوني دينار ذهباً[3].

فمن أين استطاع هؤلاء الكتاب تسديد هذا المبلغ الضخم في عصره؟ لا شك أنها السرقات السابقة تسدد جملة في بعض صورها.

وكان الواثق طيلة حكمه مولعاً بنظام المصادرات، وإلزام وزرائه وكتّاب دولته بالأموال الطائلة، ولعل نظرة فاحصة فيما قدمه ابن الأثير في هذا الصدد تكشف عن تورّط من صادرهم الواثق في الرشاوى المحرّمة بحيث تمكنوا من الدفع بكل سهولة.

أخذ الواثق من أحمد بن إسرائيل ثمانين ألف دينار ذهباً.

وأخذ من سليمان بن وهب -كاتب إيتاخ- أربعمائة ألف دينار.

وأخذ من الحسن بن وهب أربعة عشر ألف دينار.

وأخذ من إبراهيم بن رباح وكتّابه مائة ألف دينار.

وأخذ من أحمد بن الحصيب مليون دينار ذهباً.

وأخذ من نجاح الكاتب ستين ألف دينار.

---

(١) ظ: المسعودي/ مروج الذهب ٤/ ١٩.

(٢) ظ: الطبري/ تاريخ الأمم والملوك ٩/ ١٩٧.

(٣) ظ: الطبري/ تاريخ الأمم والملوك ٩/ ١٢٥.

وأخذ من أبي الوزير مائة وأربعين ألف دينار[١].

ومع تساهل المتوكل مع ولاته وعماله لأنهم أغرقوه بالملايين من الفيء والخراج والضرائب، فإنه أخذ من أبي الوليد بن أحمد بن أبي داود حين قبض على أبيه، وهو قاضي القضاة، مائة وعشرين ألف دينار ذهباً، وجواهر قيمتها عشرون ألف دينار، ثم صولح على دفع ستة عشر مليون درهم، وصادر أموال أبيه[٢].

ولك أن تقاضي هؤلاء الوزراء والكتاب والقضاة عن هذا المال!! ممن أخذوه؟ وممن اقتطعوه، وكيف تمكنوا من دفعه؟ إنه الإغراق في الرشوات ونهب الثروات، وأكل أموال اليتامى بالباطل، وسلب ممتلكات الآخرين.

وقد طالب الأتراك المعتزّ بن المتوكل بشيء من المال فأنبأهم بخلو الخزينة، فطلبوا من أمّه مبلغ خمسين ألف دينار لتفادي قتله، فزعمت أن ليس عندها شيء، فقتله الأتراك شر قتلة[٣].

وبعد قتله وجدوا عند أمّه التي لم تدفع لهم المبلغ المذكور!! وجدوا من النقد الذهبي مليوناً وثلاثمائة ألف دينار. ووجدوا في سفط قدر مكوك زمرّداً لم يرَ الناس مثله.

وفي سفط آخر قدر كيلجة من الياقوت الأحمر الذي لم يوجد مثله، وحمل ذلك كله إلى صالح بن وصيف، فسبَّها، وقال: عرَّضت ابنها للقتل في خمسين ألف دينار، وعندها هذه الأموال كلها[٤].

---

(١) ظ: ابن الأثير / الكامل في التاريخ ٥/٢٦٩.

(٢) ظ: المصدر السابق نفسه ٥/٢٨٩.

(٣) ظ: ابن الأثير / الكامل في التاريخ ٥/٢٤١.

(٤) ظ: المصدر السابق نفسه ٥/٢٤٤.

ولك أن تنظر في خيانة الأمة من قبل أحمد بن الطيّب وهو يتولى شؤون الحسبة في بغداد، إذ أخذ في جملة ما أخذه مائة وخمسين ألف دينار ذهباً[١].

بل هناك ما هو أبعد شأواً وأكثر خطورةً، إذ كان قسم من الولاة يرشون الوزراء وقادة الجيش من أجل البقاء في مناصبهم، وقد تبلغ الرشوة مائتي ألف دينار، عدا ما يصاحبها من الألطاف والهدايا[٢].

ولقد تمنى الناس إزاء هذا الفساد المستحكم زوال دولتهم، واصفين لها بأبشع النعوت حتى قال الشاعر ابن بسّام[٣]:

ألا يا دولةَ السفلِ أطلتِ المكث فارتحلي
ويا ريب الزمان أفق نقضتَ الشرط في الدولِ

جـ- حالة الفقر وحياة الخلفاء الأسطورية:

ولو أردت النظر والإشراف على مسيرة الحياة الاقتصادية في شكلها المتناقض، لكان عليك أن تنظر إليها في جانبين:

الأول: حالة الفقر المدقع التي ضربت بأطنابها في صفوف أغلبية الشعب المسلم، حتى عزّ القوت، واختفى الرغيف، وتصاعدت الأسعار، وتضاعفت الجريمة، وهذا باب متسّع المعالم غريب الأطوار، ولك أن تقرأ شعر العطوي الشاعر العباسي وهو يصوّر حياة البؤس والحرمان التي عانى منها المسلمون، وشعر ابن بسام الذي حكى مشاهد الفقر ميدانياً. وشعر الحمداوي ويعقوب بن يزيد الثمار، وأقوال الجاحظ، لتقف على مشاهد حزينة باكية من الاحتياج والمعاناة وتدهور الحالة المعيشية للأفراد، وقد

(١) ظ: المسعودي/ مروج الذهب ٤/ ١٧٠.
(٢) ظ: ابن الطقطقى/ الفخري/ ١٧٨.
(٣) ظ: محاضرات الأدباء ١/ ١٧٦.

أورد الأستاذ القرشي نماذج من شعر هؤلاء الشعراء تصور لنا بمرارة تلك الحالة أبلغ تصوير(١).

الثاني: النظر في ذلك الجانب المقابل الذي يمثل الترف والبذخ في الحياة الأسطورية التي يحياها خلفاء بن العباس في قصورهم ودورهم ومجالس لهوهم وعبثهم، وإسرافهم في العطاء والهبات الطائلة للمخنثين والمغنين والغلمان والجواري والقيان وشعراء البلاط، ووعاظ السلاطين من ملايين الدنانير الذهبية بما لا يحصى كثرة. وعليك أن تلقي ولو نظرة عابرةً في سرف (المستعين) نموذجاً لتظل مبهوراً بما بذّر من المال العام في ابتكارات لم يسبق إليها في تأريخ الإسلام، وللبحث أن يوقفك بإيجاز على صورة المتحف الذي أسسه بما يضم من الأعاجيب.

رصِّعت في هذا المتحف العباسي الكبير الجواهر النفيسة في آلات عجيبة، ففيه مثلاً تمثال هائل مصنوع من الذهب الخالص لكل حيوان من الوحوش والطيور نظِّمت بالجواهر ووضعت فيها الغالية، وأمر بصياغة هياكل للإصطبلات والقماقم من الذهب، وملأها بالمسك والعنبر، وقد كان له قرى مصغّرة فيها تماثيل البقر والجاموس والغنم والكلاب وأنواع الزروع والفواكه من البطيخ والسفرجل والرمان والأترج والنارنج، كل ذلك مصنوع من الذهب المرصّع بالجوهر.

وقد طلب أحمد بن حمدون رؤية هذا المعرض المذهل، فوافق المستعين على ذلك. فصعد إليه هو ونديمه أترجة، قال: فصعدنا فرأينا أمراً هائلاً، ما نظن أن الله عز وجل يخلق مثله إلاّ في الجنة. فمددت يدي وأخذت غزالاً من عنبر قد عمل من جوهر وعليه سرج ولجام وركاب في غاية الحسن.. وأخذ كل منّا ما يريد، وفتحنا أكسيتنا وحشوناها بما قدرنا

---

(١) ظ: باقر شريف القرشي/ حياة الإمام علي الهادي/ ٣٢٥-٣٣٠.

عليه من تلك الجواهر الثمينة.. وصعدت (القلابة) -اسم المتحف- وأذن لنا المستعين بأخذ ما نريد، فمددت يدي إلى سطل كبير من ذهب مملوء بالمسك فأخذته ثم عدد ما أخذ هو وصاحبه، والمطربون، والندمان، مما لا رأت عين ولا سمعت أذن... والمستعين غارق في الضحك[١].

ولو نظرت في استهتار المتوكل بخزينة الدولة لرأيت العجب العجاب، ففي ختان بعض أولاده كان عداد الموائد التي أعدت لا يحصى أصنافها، مضافاً إلى هذا، فقد أمر أن تصبّ الدنانير والدراهم وسط المجلس، فصبّت وحالت من رؤية الناس بعضهم لبعض من كثرتها، ونادى مناديه بإباحة نهب هذه الأموال.

وبمناسبة بيعته لأبنائه أنفق ملايين الدنانير الذهبية، وأمر بنصب الموائد في بستان قصره (الجعفري)، ودعا إليها آلاف الناس، وقد وضعت تماثيل العنبر والكافور ونوافج المسك بين أيدي الناس... وكان المتوكل جالساً على سرير من ذهب مرصّع بالجوهر فيه ألفُ مَنّ، وولاة العهود بين يديه، وعليهم التيجان المرصّعة، وقد طلعت الشمس على أواني الذهب، ومناطق الذهب، والسيوف والترس المحلاة بالذهب مما أذهل الحاضرين[٢].

فإذا جئنا إلى جزء يسير من حياته الخاصة رأينا قصوره تعج بالجواري والمغنيات والسراري التي جلبت إليه من أطراف العالم، إذ ذكروا أن له أربعة آلاف من الجواري[٣].

وسبق الحديث عن قصوره، ونضيف قول الشابشتي: أنها كلفته مائتي ألف وأربعة وسبعين ألف ألف درهم، ومن العين مائة ألف دينار، وتكون

---

(١) ظ: القرشي/ حياة الإمام علي الهادي/ ٢٧٨-٢٧٩ باختصار، وانظر مصدره.

(٢) ظ: المصدر السابق نفسه/ ٣٠٨.

(٣) ظ: الذهبي/ سير أعلام النبلاء ١٥٣/٨، السيوطي/ تاريخ الخلفاء/ ٣٤٩.

قيمة الورق بعرف الوقت مع ما فيه من العين: ثلاثة عشر ألف ألف دينار، وخمسمائة ألف ألف وخمسة وعشرين ألف دينار[١].

بينما اقتصر النويري في ذكر النفقات على بناء القصور على: مائة ألف دينار، وخمسين ألف ألف عيناً، ومائتي ألف ألف وثمانية وخمسين ألف ألف وخمسمائة ألف درهم[٢].

وذكر ياقوت أن من قصور المتوكل الجميلة (الجبر) وقد أنفق على بنائه أربعة آلاف ألف درهم فقط[٣].

بينما أنفق على أبدع قصوره (بركوار) مبلغ: عشرين ألف ألف درهم فقط[٤].

فإذا أردت أن تنظر إلى جزء من حياة السرف الباذخ فانظر إلى ما قيل في (بركة المتوكل) التي زينت بالصور والتماثيل، وجعلوا فراش بعضها مكللاً بالجوهر، كما غشوا ظاهرها بصفائح الفضّة[٥].

ولك أن تلمس الشاهد التأريخي على ذلك فيما وصفه البحتري في قصيدته التي يقول في أولها، مصرّحاً باسمها:

يا من رأى البركة الحسناء رؤيتها ... والآنسات إذا لاحت مغانيها

فلو تمرّ بها «بلقيس» عن عرضٍ ... قالت هي الصرح تمثيلاً وتشبيها[٦]

ولو تحسست حياة اللهو والعبث والمجون، وتناول الخمرة وتداولها، وحفلات الليالي الحمراء، ومباذل الغانيات الروميات، وتهادي الجواري

(١) ظ: الشابشتي/ الديارات/ ١٠٢.

(٢) ظ: النويري/ نهاية الأرب ٤٠٦/١.

(٣) ظ: ياقوت/ معجم البلدان ٣٢٨/٢.

(٤) ظ: المصدر السابق نفسه ١٧٥/٣.

(٥) النويري/ نهاية الأرب ٤٠٦/١.

(٦) البحتري/ ديوان البحتري ٣٥/١.

الصقلبيات، وتناوب القيان الفارسيات لرأيت حالة شاذة من التدهور الأخلاقي والتخالع العلني مما لا يمتُّ إلى الإسلام بصلة.

ولك أن تعاود النظر فيما أجملنا بكتب التأريخ والأدب، ومصادر السِّير والتراجم، لترى ما يذهل العقول من الترف المسرف، في حين تجد الشعب المسلم بائساً فقيراً، محروماً، مضطهداً، لا يملك حولاً ولا طولاً في ظل تسلم منصب الخلافة المغتصبة بقوة السيف.

ولك بعد هذا أن تقارن هذا كله بتلك السيرة الوادعة العطرة للإمام علي الهادي(عليه السلام) لترى عظم صبره، وشدة ابتلائه، وطول محنته، وهو يشاهد هذه الأحوال الفظيعة.

د- الانحراف في استراتيجية الفتوح الإسلامية:

لو أخذنا حركات الفتح الإسلامي بإطارها التشريعي الأمثل، لوجدنا هدفها -مضافاً إلى الأهداف الجانبية- ينطلق من محورين أساسيين:

الأول: إعلاء كلمة الله في الأرض، بشهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله، وإعلان الإسلام ديناً، وتطبيق التعليمات الإسلامية في البلدان المفتوحة.

الثاني: تحرير الشعوب في تلك الأقاليم من الوثنية والعبادة الجاهلية، وتخليصهم من الظلم والاضطهاد والعبودية، ونشر العدل والحرية في تلك الربوع، وإنقاذها من الاستبداد الدكتاتوري الجارف.

كان هذان المحوران هدفين رئيسين في تشريع الفتوح والغزو في سبيل الله تعالى، وقد انهار هذا الهدف تماماً في عصر الطواغيت الذين عاصرهم الإمام علي الهادي(عليه السلام)، وعاد الهدف الأول وراء إرسال البعوث، وتجنيد الجيوش، وحركات الغزو، هدفاً مادياً صرفاً لا علاقة له من قريب أو بعيد بالمستوى الرفيع المعلن عن مسوغات تلك الحروب والمعارك، فقد كانت

البعوث المتحركة للتحرير في عصر الرسول الأعظم(ص)، والجيوش المتجحفلة للفتح الإسلامي أيام الخلافة الراشدة لا سيما ما كان فيها بإشراف أمير المؤمنين الإمام علي(ع)، وقادة تلك الفتوح من أوليائه وشيعته وأتباعه في أغلبهم... كانت تلقى التأييد المطلق والاستقبال العظيم من قبل الشعوب المحررة التي عاث بها حكّام الجور فساداً، فكانوا مع الفاتحين الزاحفين ضد حكوماتهم الظالمة، وقد يكون قسم كبير منهم يفضّل الانضمام إلى قوافل المجاهدين في سبيل تقريب ساعة الخلاص من الظلم والجبروت والاستعباد، في حين نجد الصورة مختلفة عن هذا في عصور بني أمية وبني العباس، سيما العصر الذي شهده الإمام علي الهادي(ع) في ظل القيادة التركية المتهورة، وإرادة السلاطين الجبابرة، دون النظر في المثل العليا التي دعت إلى مثل هذا النضال في سبيل نشر الإسلام وتحرير الشعوب.

لقد كان الهدف المادي والاستعلائي في العصر العباسي هو المسيطر على لغة الفتوح في أساليبها القمعية لغرض النهب والسلب والاستيلاء على الأموال والممتلكات، والاستغلال لغنائم الحرب في غير ما شرّعت له، وقتل الناس زرافاتٍ ووحداناً دون مسوّغٍ شرعي أو مبرر قانوني، وأنى نطالب بالشرع والقانونِ، ولا شرع ولا قانون في لغة الغاب.

لقد عادت الغنائم -وهي مكسب هامشي- هدفاً مركزياً وبؤرة محورية لدى قادة الجيوش الفاتحة، فهي لم تتمتع بأية صفة حضارية أو نظرة إنسانية شمولية، ولا تعي معنى الرحمة والعدل، وليس في قاموسها مفردات للرأفة وحقن الدماء، ولم تسمح لنفسها بعرض الإسلام ليقبله من قبل، وليدفع الجزية من أبى، وإنما كانت الفوضى التنافسية في السطو والإغارة بغية احتجاز المال والجواهر والمعادن الثمينة والأثاث والمقتنيات الفاخرة

فلسفة صارخة يعتمدها هؤلاء الفاتحون الأشاوس بقيادات تركية متغطرسة، فالأسرى يقتلون، والنساء تسبى، والغزو هو المحور بغض النظر عن مشروعية الأساليب في ذلك بين ما أباحه الإسلام وشجّع عليه بالعطف والمرحمة، وبين ما حرّمه وعاقب عليه في التجاوز والاجتراح.

ولو تصفحنا الموسوعات التأريخية بعامة لوقفنا على ما يندى له الجبين من المفارقات التي ينبذها الإسلام والشرع المبين، ولو أخذنا نموذجاً على ذلك القائد العباسي: العباس بن الفضل بن يعقوب، وقد خرج في جيوشه التركية إلى قلعة (ابن نور) لرأينا ابن الأثير يقول:

«فغنم وأسر وعاد فقتل الأسرى، وتوجه إلى مدينة قصريانة، فنهب وأحرق وخرّب»[1].

فالمنطلق عند هذا القائد الكمي ليس تحرير البلاد، ولا إنقاذ العباد، ولا إطلاق الحريات وإنما القتل والأسر والنهب والإحراق والتخريب، ولا ذكر للفتح بل التركيز على الانتقام، والتأكيد على نهب الممتلكات ومنطق التخريب.

وخرج نفسه للغزو عام ٢٣٨هـ حتى بلغ قصريانه. ومعه جمع عظيم، فغَنَم وخرَّب!! وأتى قطانية، وسرقوسة، ونوطس، ورخوس (وكلها قصبات رومية) فغنم من جميع هذه البلاد وأحرق[2].

هنا لا تجد ذكراً للفتح أو التحرير أو الإنقاذ بل تجد: غنم وأحرق. وكأن مهمته من الإغارة أو الغزو هو الغنم والإحراق.

وكرر العودة إلى غزوه غير المشروع، فسار في سنة ٢٤٣ إلى قصريانه، فخرج أهلها فلقوه وقاتلوه، فهزمهم، وقتل فيهم فأكثر، وقصد سرقوسة

(١) ابن الأثير / الكامل في التاريخ ٥/٢٨٩.
(٢) المصدر السابق نفسه.

وغيرها فنهب، وخرّب، وأحرق، ونزل على القصر الحديد، وحصره، وضيق على من به من الروم، فبذلوا له خمسة عشر ألف دينار، فلم يقبل وأطال الحصر، فسلموا إليه الحصن على شرط أن يطلق مائتي نفس، فأجابهم إلى ذلك وملكه، وباع كل ما فيه سوى مائتي نفس، وهدم الحصن[(١)].

وهنا لا تجد ذكراً إلا: قتل فأكثر، ونهب وخرّب، وأحرق، وملك الحصن وباع كل من فيه، وهدم الحصن.

أين الدعوة إلى الإسلام؟ أين تخليص الشعب من الاضطهاد؟ أين هو التحرير؟

وحينما لاحظ الروم مخلّفات هذا الغزو، قاموا هم بغزو البلاد الإسلامية، فقتلوا ونهبوا وخرّبوا، ردّة لذلك الصنيع الذي اقترفه القوّاد حينما حولوا الفتوح إلى بؤرة مادية تعتمد الغنيمة، وحركة انتقامية تسعى لسفك الدماء!!

وفي نموذج آخر نجد القائد التركي بازمار يغزو الروم ليقوم بمجزرة دموية ذهب ضحيتها سبعون ألفاً وعددٌ من أكابر القوّاد، وغنم من الروم «سبع صلبان من ذهب وفضة، وصليبهم الأعظم من ذهب مكلل بالجوهر، وأخذ خمسة عشر ألف دابة وبغل، ومن السروج، وغير ذلك، وأربع كراسي من ذهب، ومائتي كرسي من فضة، وآنية كثيرة، ونحواً من عشرة آلاف علم ديباج، وديباجاً كثيراً»[(٢)].

وهذا ما يفسر التداعي الخطير في ظاهرة الانقضاض على المبادئ الأساسية في البلاد المفتوحة، والانحراف عن خطّها في التحرير، وردّ المظالم، ونبذ الوثنية، وترفيه الشعوب، وانضمام البلاد والعباد إلى حظيرة الإسلام.

---

(١) المصدر السابق نفسه ٢٨٩/٥.

(٢) ابن الأثير / الكامل في التاريخ ٥٥/٦.

إذن: كانت الغنائم والسبايا واحتجاز الأموال، والقتل والتخريب محاور رئيسية في هذه العمليات الحربية لدى العباسيين، وحينما يتم ذلك يعود الجيش من حيث جاء محمّلاً بأوزار القوم، دون النظر في شأن تلك البلاد التي تركوا أهلها في عجيج وضجيج من المآسي.

بينما نجد الغنائم عنصراً هامشياً في برامج الفتوح الإسلامية الحقة!! وهكذا يكون الانحراف عن قصد السبيل.

❊ ❊ ❊



الفصل الثالث

الإمام علي الهادي في مملكة المتوكل

١. حذر المتوكل من الإمام.

٢. مراسم استدعاء الإمام إلى سامراء.

٣. الإمام علي الهادي في سامراء

٤. أجهزة الدولة تتعقب الإمام.

٥. التطاول اللامسؤول على شخصية الإمام.

٦. الاستفزاز الأمني في رقابة الإمام.

٧. تأثير الإمام في البلاط العباسي

٨. اعتقال الإمام

حذر المتوكل من الإمام

كانت شخصية جعفر المتوكل قلقة مضطربة في تكوينها النفسي، ينقم على كل أحد، ولا يثق بأي أحد، فهو ذو قرارات مرتجلة وأحكام استثنائية، تمثل المناخ الدكتاتوري في كل تفصيلاته، سيطرت شهوة الحكم على مشاعره وأحاسيسه، فخلقت منه غولاً في كل تصرفاته حتى وصف بأنه «نيرون العرب»[1] ولم تكن هذه التسمية اعتباطية، وإنما جاءت نتيجة لذلك السلوك المشين والاستبداد المطلق الذي اتسم به حكمه؛ فقد قتل ما شاء له القتل بمن شاء من الناس، وشرّد من شرّد من المسلمين والنصارى وأهل الكتاب دون حدود، وابتكر من الأحكام بما شاء له هواه، وتمرس الإرهاب الدموي في أبشع صوره، وكان من الضالعين به اقتداءً بالمنصور والرشيد من آبائه، وقد لقي التشجيع في هذا الاتجاه من قوّاده الأتراك والموالي، والتأييد من وعاظ السلاطين وفقهاء البلاط العباسي، إبقاءً على المصالح الذاتية ومنافع القوم المشتركة.

وكان المتوكل قد اضطلع في سياسة التفريق بين المسلمين، وانحاز في اضطهاده المنظّم ضد المذاهب الإسلامية، وعانى منه المعتزلة والمذاهب المعتدلة الشيء الكثير، يقول الدكتور دونالدسون: «إن خلافة المتوكل ما إن

---

(١) السيد أمير علي الهندي/ مختصر تأريخ العرب/ ٢٤٧ ترجمة الأستاذ: رياض رافت/ مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر/ القاهرة/ ١٩٣٨م.

بدأت حتى حدث في أثنائها ردّ فعل بارز ضد حرية الرأي والتفكير، ووضعت الخطة لاضطهاد منظّم ضد المعتزلة والشيعة، ولم يسلم منه سوى السنّة الأقحاح»[١].

بينما يتوسع في ذلك المستر ريتشاردكوك فيرى أن المتوكل كان:

«متطرفاً في تأييده لعقيدة السنّة، فألغيت بأمر منه في الحال جميع الأنظمة والتعليمات التحررية... وبدأت فترة من حكم الإرهاب الذي أصابت شروره الشيعة والمعتزلة واليهود والنصارى على حدٍّ سواء. وأخذ أتباع أحمد بن حنبل يرهبون الناس في بغداد، فكان ذلك بداية القصة الطويلة للفتن الدينية وعدم التسامح التي فعل تأثيرها السيئ في الأخير فعله في مصير مدينة السلام المحزن... ولقد كانت شخصية المتوكل من أسوأ الشخصيات وأنحسها، حتى أطلق عليه اسم «نيرون العرب»»[٢].

وفي هذا الضوء وسواه يبدو للبحث أن الإمام علياً الهادي(عليه السلام) قد عانى كثيراً من حقبة حكم المتوكل التي امتدت قرابة ستة عشر عاماً ما بين السنوات (٢٣٢هـ-٢٤٧هـ) وهي حقبة ليست قليلة في سنواتها العجاف.

وقد رافقت الإمام بمضاعفاتها الهائلة رغم ما اتسمت به أيامه من الهدوء النسبي وهو بالمدينة في عهدي المعتصم والواثق، إذ لم يحدثنا التأريخ بشيء ذي بال عن تعرض الإمام لسوء أيام حكمهما، عدا المحور العام في الرقابة فهي أمر مفروغ منه، وفيما عدا هذا نجد المستشرق الإنجليزي الدكتور دونالدسون يجزم بأن الإمام الهادي لم يسمع أنه «خلال السنوات السبع أو الثمان الباقية من ملك المعتصم بعد وفاة الإمام محمد

---

(١) ظ: جعفر الخياط/ موسوعة العتبات المقدسة/ سامراء في المراجع الغربية/ ٢٦٩ وانظر مصدره.

(٢) ظ: جعفر الخياط/ موسوعة العتبات المقدسة/ قسم سامراء ١/ ٢٥١ عن ريتشارد كوك/ بغداد مدينة السلام /٩١ وما بعدها.

النقي (الجواد) والسنوات الخمس الأولى من حكم الواثق أن أحداً تعرّض للإمام الشاب»[١].

وقد يقال في هذا الصدد إن الواثق قد سار على نهج أبيه وعمّه في اتباع سياسة التسامح واللين مع العلويين، فاشتمل عليهم، وبالغ في إكرامهم والإحسان إليهم[٢].

ولكن البحث لا ينفي هذا ولا يثبته لاحتياج الأمرين إلى دلائل حيّة في النفي والإثبات، وإن كان لا يخلو من وجه في أغلب الظن.

ومهما كانت الظروف التي مرّ بها الإمام علي الهادي في سلطنة المعتصم وملك الواثق، فهي لا تشكل حدود الخطر الجاد كما هي عليه الحال في عهد المتوكل.

فقد رأينا الإمام في المدينة المنوّرة ينعم بالاطمئنان في حدود كثيرة، ويجتمع إليه أولياؤه، يفتي ويوجّه ويعلّم ويتكرم، والرقابة حوله رقيقة الظل، أو بينَ بين، فلم يزعج عن وطنه، ولم يضيّق عليه في مأمنه، وكانت ممارساته القيادية باعتباره الإمام المفترض الطاعة جارية بين الكتمان العلن المتحفّظ، مما يوحي بعدم الضغط المكثّف عليه.

واختلفت الصورة عموماً وخصوصاً في أيام المتوكل، فقد ابتدع الكثير من الأساليب لأذى الإمام والاستهانة به والتضييق عليه، وتغريبه عن دياره ومقرّ آبائه.

ويعلل سبط ابن الجوزي ذلك بالسبب المتوارث لدى العباسيين، أن المتوكل «كان يبغض علياً وذريته»[٣].

---

(١) دونالدسون/ عقيدة الشريعة/ ٢٠٥.

(٢) ظ: أحمد عبد الباقي/ سامراء ١/٥٣٧.

(٣) سبط ابن الجوزي/ تذكرة الخواص/ ٣٧٣.

وكان الدليل على صحة هذا القول، وشاهد العيان عليه، منع المتوكل من زيارة مشهد أمير المؤمنين(ع) في النجف الأشرف، وهدم قبر سيد الشهداء الإمام الحسين، كما تقدم ذلك، وملاحقة الشيعة تحت كل حجر ومدر، حتى عادت التهمة بالتشيّع شبحاً مخيفاً يتراءى لأتباع أهل البيت من الشيوخ والشباب والأطفال والنساء.

ولهذا رأينا عداد المتوكل لأهل بيت النبوة وموضع الرسالة، يتعدى خطوط الأئمة الحمراء إلى أوليائهم وأتباعهم وأصحابهم قتلاً وتشريداً وسوء إيقاع، ونماذج ذلك كثيرة في ممارسات المتوكل اللاإنسانية، فقد كان يعقوب بن السكّيت إمام العربية وصاحب كتاب (إصلاح المنطق) الذي لم يكتب مثله في بابه، مؤدباً لولدي المتوكل والمعتزّ والمؤيّد، إذ سأله -وهما بين يديه- سؤالاً استفزازياً خطيراً خرج ابن السكيت فيه من الصمت إلى الحسم، قال له المتوكل: من أحبُّ إليك هما؟ -يعني المعتز والمؤيد- أو الحسن والحسين؟ فقال ابن السكيت: قنبر -يعني مولى أمير المؤمنين- خير منهما!!

فأمر الأتراك بسلّ لسانه فمات، وذلك في سنة ٢٤٤هـ[١].

بل ذهب المتوكل إلى أكثر من هذا، فهو يعاقب من يروي حديثاً في أهل البيت، أو يشيد من جلالة الحسن والحسين(عليهما السلام).

فقد روى أحمد بن حنبل عن جعفر بن محمد الصادق عن أبيه عن جده(عليهم السلام) قال: إن رسول الله(صلى الله عليه وآله) أخذ بيد حسن وحسين رضي الله عنهما، فقال: «**من أحبّني وأحبّ هذين وأمهما كان معي في درجتي يوم القيامة**»[٢].

---

(١) ظ: السيوطي/ تأريخ الخلفاء/ ٣٤٨.

(٢) احمد بن حنبل/ المسند ١/ ٧٧.

قال في تهذيب الكمال: قال عبد الله بن أحمد:

«لما حدّث نصر بن علي بهذا الحديث أمر المتوكل بضربه ألف سوط!! فكلّمه جعفر بن عبد الواحد، وجعل يقول له: هذا الرجل من أهل السنّة، ولم يزل به حتى تركه»[١] وأورده الذهبي، وزاد على ما في تهذيب الكمال، ما يأتي:

«قال الخطيب: ظنه المتوكل رافضياً، فلمّا علم أنه من أهل السنة تركه»[٢]. ولك أن تنظر في الحقد الدفين الذي يكنه المتوكل لأهل هذا البيت وأتباعهم في أكثر من مشهد، فحينما كثر الزائرون لضريح الإمام الحسين والتفوا حوله منع الناس من زيارته، وأمر بمعاقبة من يتمرد على المنع، وهدم القبر!!

قال السيوطي: وكان المتوكل معروفاً بالتعصب، فتألم المسلمون من ذلك، وكتب أهل بغداد شتمه على الحيطان والمساجد، وهجاه الشعراء، فمما قيل في ذلك:

تالله إن كانت أمية قد أتت ... قبر ابن بنت نبيِّها مظلوما

فلقد أتاه بنو أبيه بمثله ... هذا لعمرك قبره مهدوما

أسفوا على أن لا يكونوا شاركوا ... في قتله.. فتتبعوه رميما»[٣]

وهذا يعني خشية المتوكل من تعاظم خطر الحسين على النظام لكثرة زائريه، وإحياء شعائر أهل البيت(عليهم السلام) في ظل مرقده الشريف، وعسى أن يذكرهم ذلك بالدوافع التي قامت من أجلها ثورة الحسين(عليه السلام).

---

(١) تهذيب الكمال/ ٢٩/ ٣٦٠.

(٢) الذهبي/ تاريخ الإسلام ١٨/ ٥٠٧.

(٣) السيوطي/ تاريخ الخلفاء/ ٣٤٧.

ولعل السبب في هذا العداء السافر والإجراءات التعسفية هو علم المتوكل اليقيني بأحقيّة أهل البيت بمنصب الولاية العامة للأمة، فهو يحذر ذلك الالتفاف الجماهيري والاصطفاف الشعبي حولهم من خلال زيارة الإمام الحسين(ع)، ويذعر من مدى إخلاص أولياء أهل البيت لهم، وشدة تمسكهم بهم، وتقديسهم لأشخاصهم، لأنهم حَمَلَةُ القرآن وقادة الإيمان، بل مشعل الإسلام المتوهج بضيائه في مشارق الأرض ومغاربها، إذ لولاهم لانطفأت شعلة الدين الحنيف، ولخمدت تلك الجذوة المتوقدة مدى الأجيال، فهم الرعاة الحقيقيون لاستمرار الشريعة، وهم الموجهون لدفة الإسلام، شاء الحكّام ذلك أم أبوا، فليس لرضاهم وغضبهم أي تأثير في هذه المعادلة، وتلك هي نقطة المجابهة لذلك التيار الجارف الذي فجّره طغيان الحاكمين.

ومن هنا كان حذر المتوكل متزايداً من قيادة الإمام علي الهادي(ع)، فهو يعرف من هو؟ وهو يخشى على السلطان من أي تأثير خارجي مهما كان ضئيلاً، فكيف بهذا الموج المتلاطم من الرفض والاحتجاج والسلبية المطلقة إزاء دكتاتورية الحكم.

على أن الإمام علي الهادي(ع) لم يحاول قيد أنملة قط الاقتراب من التفكير في الاستيلاء على السلطة بأي شكل من الأشكال، فضلاً عن العمل من أجل ذلك. فهو معنيٌّ بإنقاذ الأمة اجتماعياً، وتثقيف الجماعة الإسلامية إيمانياً، وإشاعة العلم النافع بين أوليائه بخاصة والمسلمين بعامة، ولكن الهاجس النفسي لدى المتوكل وأتباع الخلافة العباسية هو الذي كمن وراء التحرك الفعلي لإزعاج الإمام، وتصديق أي نوع من أنواع الوشاية به، صغر ذلك أو كبر، ولعل بريحة العباسي هو أول من بدأ الحملة ضد الإمام علي الهادي حينما كتب من المدينة إلى المتوكل: «إن كان لك في الحرمين

حاجة، فأخرج علي بن محمد منها، فإنه قد دعا الناس إلى نفسه، واتّبعه خلف كثير...»[١].

وحينما يستمع أي حاكم غاشم إلى وشاية من هذا القبيل، فإنه يستطير لذلك غضباً، ويعود شعلة نار على خصمه، فإذا أضفنا لهذا ما حبّره عبد الله بن محمد بن داود الهاشمي -وكان يتولى للمتوكل في المدينة المنوّرة شؤون الحرب والصلاة- من الأكاذيب على الإمام، رأينا حتمية المنطلق للهجمات المتتابعة ضد الإمام من المتوكل.

يقول المؤرخون أن عبد الله بن محمد هذا قد سعى بأبي الحسن(عليه السلام) إلى المتوكل، وكان يقصده بالأذى، وبلغ أبا الحسن(عليه السلام) سعايته به، فكتب إلى المتوكل يذكر تحامل عبد الله بن محمد عليه، وكذبه فيما سعى به، فتقدم المتوكل بإجابته عن كتابه، ودعائه فيه إلى حضور العسكر على جميل من الفعل والقول[٢].

وكان طبيعياً أن يستقبل المتوكل كتاب الإمام بالغبطة والابتهاج، وأن ينتهز الفرصة به، وقد حان وقتها، فأسرع في إجابته، ووجه له الدعوة إلى زيارته في سامراء، وكان ذلك سلاحاً ذا حدّين، حقق بهما المتوكل الهدف السياسي إلى جانب الهدف الدبلوماسي في الخداع والتضليل، وبلوغ الغاية القصوى في جعل الإمام إلى جنبه أسيراً، وفي سامراء مراقباً ومعتقلاً، وقد خطط المتوكل لهذا الأمر تخطيطاً متكاملاً سيتحدث عنه المبحث الآتي.

* * *

(١) المجلسي/ بحار الأنوار ٥/٢٠٩ وانظر مصدره.

(٢) ظ: المفيد/ الإرشاد/ ٣٥٨، الأربلي/ كشف الغمة ٣/١٦٥، ابن شهرآشوب/ المناقب ٢/٤٥٤، ابن الصباغ/ الفصول المهمة/ ٢٦١.

مراسم استدعاء الإمام إلى سامراء

وكان المتوكل قد أخذ الأهبة في مراسم استدعاء الإمام علي الهادي(عليه السلام) في خطوات يكشف عنها هذا البحث وكان أول المشروع بكتاب المتوكل إلى الإمام:

بسم الله الرحمن الرحيم

أما بعد، فإن أمير المؤمنين عارفٌ بقدرك، راع لقرابتك، موجبٌ لحقّك، مؤثر من الأمور فيك وفي أهل بيتك ما يصلح الله به حالك وحالهم، ويثبت به عزّك وعزّهم، ويدخل الأمن عليك وعليهم، يبتغي بذلك رضا ربّه!! وأداء ما فرض عليه فيك وفيهم.

فقد رأى أمير المؤمنين صرف عبد الله بن محمد عمّا كان يتولى من الحرب والصلاة في مدينة الرسول، إذ كان على ما ذكرت من جهالته بحقك، واستخفافه بقدرك، وعندما قرفك به ونسبك إليه من الأمر الذي قد علم أمير المؤمنين براءتك منه، وصدق نيتك في برك وقولك، وأنك لم تؤهل نفسك لم قرفتَ بطلبه.

وأمير المؤمنين مشتاق إليك، يحب إحداث العهد بك والنظر إلى وجهك فإن نشطت لزيارته والمقام قبله، شخصت ومن اخترت من أهل بيتك ومواليك وحشمك على مهلة وطمأنينة، ترحل إذا شئت، وتنزل إذا شئت، وتسير كيف شئت، فإن أحببت أن يكون يحيى بن هرثمة مولى أمير

المؤمنين ومن بعده من الجند يرحلون برحيلك، ويسيرون بمسيرك فالأمر في ذلك إليك، فقد تقدمنا إليه بطاعتك.

فاستخر الله حتى توافي أمير المؤمنين، فما من أحد من إخوته وولده وأهل بيته وخاصته ألطف منك منزلة، ولا أحمد إثرة، ولا هو لهم أنظر وعليهم أشفق وبهم أبرّ وإليهم أسكن منه إليك».

والسلام عليك ورحمة الله وبركاته...

وكتب إبراهيم بن العباس في جمادى الأولى سنة ثلاث وأربعين ومائتين[1].

وأنت ترى المتوكل في هذا الكتاب قد بسط من نفسه، فتأنق بألفاظه واختيار عباراته، وأثنى على الإمام علي الهادي بما هو أهله، وصرف محمد بن عبد الله عن الحرب والصلاة في المدينة ذلك لما اقترفه من الافتراء بحق الإمام، وما علم براءته منه، وأظهر للإمام اشتياقاً، وأحب تجديد العهد به، ودعاه إلى الزيارة بل إلى المقام معه بسامراء، واختيار من يريد اصطحابه وإشخاصه من أهل بيته ومواليه، حتى شاء، وأنى شاء، في الحل والترحال، وتلطف ببعث يحيى بن هرثمة لهذه المهمّة، إذا أحبّ الإمام ذلك!! وكأن المسألة بإرادته وأمره، ويحيى والجند الذين معه يرحلون برحيله ويسيرون بمسيره، وقد جعل ذلك إلى الإمام في ظاهره، وطلب إليه استخارة الله في موافاته، فلا أحد من العباسيين أبر منه له.

وفي الكتاب لغة أدب ولغة سياسة وحبك إعلامي مزدوج الهدف، وهو فرض وأمر بالاستجابة في الأشخاص.

هذا بالنسبة للكتاب، وأما بالنسبة لمراسم التنفيذ، فقد بدأ المتوكل بانتداب يحيى بن هرثمة للمهمة، وقال له: «اختر ثلاثمائة رجل ممن تريد،

(١) ظ: الكليني/ الكافي ١/ ٥٠٢، المفيد/ الإرشاد/ ٣٥٨، الأربلي/ كشف الغمة ٢/ ١٧٥، ابن الصباغ/ الفصول المهمة/ ٢٦١، المجلسي/ بحار الأنوار ٥٠/ ٢٠٠-٢٠١.

واخرجوا إلى الكوفة، وخلّفوا أثقالكم فيها، واخرجوا عن طريق البادية إلى المدينة، وأحضروا عليّ بن محمد الرضا إليّ مكرّماً معظّماً مبجّلاً»[١].

وهذا يعني أن استدعاء المتوكل للإمام كان أمراً مفروضاً، وقضية حتمية، وليس شأناً اختيارياً، لأن المتوكل قد أحكم أمر ذلك، وهيأ أسبابه ومتطلباته بدقة متناهية.

وأسرع يحيى بن هرثمة لتنفيذ المهمة بكل عزم وإصرار، وتوجه فوراً إلى المدينة المنوّرة، وانتهى إلى دار الإمام علي الهادي(عليه السلام) رغم الاحتجاج الصارخ من قبل أهل المدينة، يقول هو نفسه: «فلما صرت إليها ضجّ أهلها وعجوا ضجيجاً وعجيجاً ما سمعت مثله، خوفاً على الإمام علي الهادي، لأنه كان محسناً إليهم، ملازماً للمسجد، ولم يكن عنده ميل إلى الدنيا، فجعلت أسكّنهم وأحلف لهم أني لم أؤمر فيه بمكروه، وأنه لا بأس عليه، ثم فتشت منزله فلم أجد (أُصب) فيه إلاّ مصاحف وأدعية وكتب العلم، فعظم في عيني»[٢].

ومن خلال هذا النص نلمس مدى شعبية الإمام عند أهل المدينة، وحبهم العميق له، وإعجابهم الشديد بهديه وسيرته، وإشفاقهم أن يصاب بسوء، حتى ضجوا بها ضجيجاً لم يسمع بمثله، وذلك لأمرين:

الأول: أن الإمام كان محسناً لهم ورحيماً بهم، مضافاً إلى منزلته الكبرى في النفوس، فهم يعلمون بأنه الإمام المفترض الطاعة.

الثاني: معرفتهم الحقيقية بطغيان بني العباس وعدائهم لأهل هذا البيت، فهم يحذرون من الغدر بالإمام بشتى الطرق.

والأمر الذي يلفت الانتباه تفتيش منزل الإمام وجرد محتوياته، فإذا كانت الدعوة له ودّية الأبعاد كما يشير المتوكل لهذا برسالته للإمام، فما

---

(١) الأربلي/ كشف الغمة ٣/١٦٩، المجلسي/ البحار ٥٠/١٤٢.

(٢) المسعودي/ مروج الذهب ٤/١١٣، سبط ابن الجوزي/ تذكرة الخواص/ ٣٧٣، المجلسي/ بحارا لأنوار ٥٠/٢٠٧.

معنى هذا الإجراء، ذلك يعني أن تقارير أجهزة الدولة تشير إلى وجود السلاح والعتاد والعدّة في منزل الإمام لمجابهة النظام، إلاّ أن الذي رآه يحيى هو المصاحف وكتب الأدعية وكتب العلم، فعظم في عينه، ويبدو أن الإمام(ع) كان يحسب حساب هذه المداهمات فيخفي ما قد يعتبره النظام مستمسكاً ضده، فليس في دار الإمام أموال من الحقوق الشرعية، ومعنى هذا أنه أخفاها عند من يثق به، وليس في دار الإمام رسائل أصحابه وأوليائه الذين اعتادوا أن يفزعوا للإمام في كل أمر مشكل في أمور دينهم ودنياهم، ولا تخلو دار الإمام من هذه الرسائل عادة، فيحتمل قوياً أن الإمام قد أخفاها عند أهل ثقته، وأمّا السلاح الذي تلوّح فيه تقارير مخابرات النظام فموضوع لا أصل له.

ويواصل يحيى بن هرثمة تنفيذ الأمر السلطاني فيدخل على الإمام، ويكشف عن مهمته، ويخبره بما جاء به، فيقول له الإمام: «**انزلوا فليس من جهتي خلاف**» وينظر إلى يحيى فيقول له: «**يا يحيى، اقضوا وطركم من المدينة في هذا اليوم، واعمل على الرحيل غداً في هذا الوقت**»[1].

ولا ريب أن الإمام الهادي(ع) قد علم من كتاب المتوكل إليه إرادة شخوصه إلى سامراء حتماً جزماً، ولم يفوّض الأمر إليه، فهو يستعجله ويحثه على المسير بدليل قيادة ابن هرثمة للجند معه، وهم ثلاثمائة رجل.

ولم يكن للإمام خيار في الأمر، فلو امتنع عن الذهاب لرمي بالخلاف وأخذ قسراً، فكان من الإيجابية السياسية أن يوافق الإمام على الرحيل وبسرعة فائقة وخلال يوم واحد، مما كشف أن كتاب المتوكل كان ملزماً للإمام من قبله على السفر إلى سامراء، وإن أظهر فيه التقدّم بصورة عرض غير ملزم!!

---

(١) الأربلّي/ كشف الغمة ٣/١٨٤، المجلسي/ البحار ٥٠/١٤٢.

ومهما يكن من أمر فقد استعد الإمام(عليه السلام) للرحلة، وجهّز نفسه بما تمليه عليه ظروفه الموضوعية التي نظر إليها بلمح الغيب كما سترى ذلك في موقعه من هذا الكتاب.

ويتحدث يحيى بن هرثمة عن جزء من مسيرة هذه الرحلة، فيقول: «فأشخصته وتوليتُ خدمته، وأحسنت عشرته... فلمّا قدمت إلى مدينة السلام بدأت بإسحاق بن إبراهيم الطاهري، وكان على بغداد، فقال:

يا يحيى! إن هذا الرجل -يعني الإمام الهادي- قد ولده رسول الله(صلى الله عليه وآله)، والمتوكل من تعلم، وإن حرّضته عليه قتله، وكان رسول الله(صلى الله عليه وآله) خصمك، فقلت: والله ما وقفت منه إلاّ على كل أمر جميل»[1]. وكان إسحاق هذا رجلاً عاقلاً ومنصفاً، إذ عرّف ابن هرثمة بأن الإمام قطعة من رسول الله بل هو ولده حقيقةً، وحذره من أن يحرض المتوكل عليه، فيكون خصمه رسول الله(صلى الله عليه وآله) ويبدو للبحث ركوب إسحاق لاستقبال الإمام في بغداد، ووصل بركبه إلى موضع يقال له الياسرية لتلقي الإمام «فرأى تشوّف الناس إليه، واجتماعهم لرؤيته، فدخل به في الليل، فأقام ببغداد بعض تلك الليلة، ثم أنفذه إلى سر من رأى»[2].

ويبدو أن الناس قد تتبعوا رحلة الإمام منذ مغادرته المدينة حتى دخوله إلى بغداد ليلاً من أجل التكتم الشديد في وصوله لئلا يجتمع الخلق حوله، فيكون ذلك إعلاماً مضاداً للدولة، لما يتمتع به الإمام من منزلة كبرى لدى الأمّة، وهذا ما ترفضه الدولة فهي تريد التعتيم على وصوله، وتسعى إلى عدم الاحتفاء بقدومه، ومع هذا الكتمان والإخفاء فقد علم أغلب الناس بموعد وصوله، فخفوا إلى استقباله صامتين، وتشوفوا إلى رؤية طلعته

---

(١) المسعودي/ مروج الذهب ١١٤/٤، سبط ابن الجوزي/ تذكرة الخواص/ ٣٧٤.

(٢) اليعقوبي/ التاريخ ١٩٨/٣.

المباركة مغتبطين، كما يروي هذا مشاهدةً وميدانياً الخضرُ بن محمد البـراز، فيقول:

«خرجت في حاجة حتى انتهيت إلى الجسر، فرأيت النـاس مجتمعـين، وهم يقولون: قد قدم ابن الرضا(عليه السلام) من المدينة، فرأيته وقد عبر من الجسر على شهري تحته كبير، يسير عليه سيراً رفيقاً، والناس بين يديه وخلفه»[1].

يقول يحيى بن هرثمة: «ثم صرت إلى سامراء، فبدأت بوصيف التركي، وكنت من أصحابه، فقال لي: والله لئن سقط من رأس هذا الرجـل شـعرة لا يُطالبُ بها سواك!! قال: فتعجبت كيف وافق قوله قول إسحاق»[2].

وبهذا تنتهي هذه الرحلة الشاقة من المدينة فبغداد وسامراء.

وفي وصول الإمام إلـى سـامراء تبـدأ مرحلـة جديـدة مـن المتاعـب، وسلسلة من الأحوال العصيبة التي رافقت الإمام في حياة عانى فيها الضغط، والترصد، والإقامة الجبرية، والرقابة المفروضة، والاعتقال، وقد استمر ذلـك في مملكة المتوكل حتى استشهاده في أيام المعتزّ.

❋ ❋ ❋

(١) المسعودي/ إثبات الوصية/ ١٩٨.

(٢) المجلسي/ بحار الأنوار ٥٠/٢٠٨.

الإمام علي الهادي في سامراء

وصل ركب الإمام علي الهادي(عليه السلام) إلى سامراء بعد رحلة مضنية، وبادر يحيى بن هرثمة بالدخول على المتوكل، لينبئه بوصول الإمام، يقول يحيى:

«فلمّا دخلت على المتوكل، سألني عنه، فأخبرته بحسن سيرته، وسلامة طريقته، وورعه وزهده، وأني فتشت داره فلم أجد فيها غير المصاحف وكتب العلم. وأن أهل المدينة خافوا عليه!!»[(١)].

وكان العرف الدبلوماسي والسياق الأخلاقي أن يستثمر المتوكل هذه المناسبة، فيخفّ إلى استقبال الإمام والترحاب به، لو عقل التصرف الأمثل، ولو كان حسن النيّة تجاه الإمام، إلاّ أنه تقدم: «بأن يحجب عنه في يومه، فأنزل في خان يقال له: (خان الصعاليك)»[(٢)].

وكان إنزال الإمام علي الهادي ومعه ولده الحسن العسكري في خان الصعاليك على مرأى ومسمع من الناس، قد أثار استغراباً كبيراً، وأحدث ضجةً صامتة في النفوس، وكان له الأثر السَّيِّئ في الإنكار السري والعلني على المتوكل، إذ أراد الاستهانة بمنزلة الإمام، والاستخفاف بمشاعر الناس التي تعرف مكانة الإمام الكبرى، وتحسب لأهميته ألف حساب.

---

(١) سبط ابن الجوزي/ تذكرة الخواص/ ٣٧٤.

(٢) ظ: المفيد/ الإرشاد/ ٣٥٩، الأربلّي/ كشف الغمة ٣/١٧٦، ابن الصباغ/ الفصول ٢٦٣.

وقد وقع هذا الحدث وقوع الصاعقة على أولياء الإمام، وقصده إلى خان الصعاليك أماثلهم، ومنهم صالح بن سعيد إذ قال:

«دخلت على أبي الحسن(ع) يوم وروده فقلت له:

جعلتُ فداك؛ في كل الأمور أرادوا إطفاء نورك!! والتقصير بك!! حتى أنزلوك هذا المكان الأشنع (خان الصعاليك)؟

فقال الإمام عليّ الهادي(ع) هاهنا أنتَ يا ابن سعيد! ثم أومأ بيده -(ع)- فإذا أنا بروضات أنيقات، وأنهار جاريات، وجنات فيها خيّرات عَطِرات، وولدان كأنهم اللؤلؤ المكنون. فحار بصري، وكثر عجبي، فقال(ع):

حيث كنّا فهذا لنا يا ابن سعيد!! لسنا في خان الصعاليك!!»[1].

وكأن ابن سعيد قد أشفق أن ينزل الإمام على عظمته في هذا الخان، وقد استشاط لذلك غضباً وحنقاً، فأراد الإمام أن يخفف من وقع الحدث عليه، وأن يكشف عن الملحظ الروحي الذي يحياه الإمام بما أراه من المشاهد الحسيّة على نحو من اللمح الغيبي عياناً.

«ثم تقدّم المتوكل بإفراد دار له، فانتقل إليها»[2].

وهناك رواية يتحدث فيها المسعودي أن المتوكل «وجّه لأبي الحسن(ع) بثلاثين ألف درهم يستعين بها في بناء دار»[3].

ولا يستبعد هذا بعد أن طرق لسمع المتوكل إنكار الناس واستهجانهم فعلته بإنزال الإمام في خان الصعاليك، فاراد أن يخفف من النكير، وأن يتلافى إساءته المتعمدة، فبادر لذلك.

---

(١) ظ: الكليني/ الكافي ١/٢٩٨، المفيد/ الإرشاد/ ٣٥٩ وسواهما.

(٢) المفيد/ الإرشاد/ ٣٥٩، الشبلنجي/ نور الأبصار/ ١٥١، ابن الصبّاغ/ الفصول/ ٢٦٣.

(٣) المسعودي/ إثبات الوصية/ ٢٠١.

وظهر للبحث أن الإمام(عليه السلام) قد ابتاع لسكناه داراً من دليل بن يعقوب النصراني، كما في بعض النصوص[١].

وقد تكون هذه الدار نفسها هي التي اتخذها الإمام مقراً لسكناه في حياته، وموضعاً لدفنه بعد وفاته.

وهكذا استدعي الإمام(عليه السلام) إلى سامراء ليقيم فيها (عشر سنين وأشهراً)[٢].

أو إحدى عشرة سنة كما يرى ذلك ابن الصباغ المالكي[٣].

وهو يوافق ما جاء بتأريخ استدعاء المتوكل للإمام بتاريخ: جمادى الأولى سنة ثلاث وأربعين ومائتين[٤].

وقد كانت وفاة الإمام إجماعاً سنة أربع وخمسين ومائتين من الهجرة وذهب الطبري (ت٣١٠هـ) أن مقام الإمام علي الهادي(عليه السلام) بسر من رأى منذ وصوله إليها حتى وفاته كان عشرين سنة[٥].

وتبعه على هذا ابن خلّكان قائلاً: «وأقام بها عشرين سنة وتسعة أشهر»[٦] وهذا القول لا يوافق عليه البحث لاصطدامه بتأريخ رسالة المتوكل إلى الإمام(عليه السلام)، ولنصي الشّيخ المفيد وابن الصباغ كما تقدم.

ومهما يكن من أمر، فقد كتب على الإمام(عليه السلام) أن يغادر مدينة جده رسول الله(صلى الله عليه وآله)، ويقيم في سامراء عاصمة الخلافة بين جدران البيوت تارة، وفي البلاط العباسي استدعاءً تارة أخرى، وفي غياهب السجود سواهما.

---

(١) ظ: الخطيب البغدادي/ تأريخ بغداد ١٢/ ٥٧.

(٢) المفيد/ الإرشاد/ ٣٥٩.

(٣) ابن الصباغ/ الفصول المهمّة/ ٢٦٥.

(٤) ظ: الكليني/ الكافي ١/ ٥٠٢، المفيد/ الإرشاد/ ٣٥٨، الأربلّي/ كشف الغمة ٢/ ١٧٥.

(٥) ظ: الطبري/ التأريخ ٩/ ١٦٣.

(٦) ابن خلّكان/ وفيات الأعيان ٢/ ٤٣٥.

ومن هنا يظهر أن حياة الإمام في سامراء لم تكن هادئة ولا مستقرة، فقد صاحبتها إجراءات متهوّرة، فقد هجم عليه ليلاً بتهمة تواجد السلاح في داره، وتعرض لمداهمات الأجهزة الأمنية باعتباره الإمام الذي يقول به أتباع أهل البيت، وقد تم اعتقاله ردحاً من الزمان، وكانت ملاحقته بالرصد وعيون النظام متتابعة، ومحاولة تصفيته جسدياً حائمة، عدا أساليب التهديد وصنوف الاضطهاد الأخرى.

كان هذا كله في عهد المتوكل الذي خصصنا له هذا الفصل.

* * *

أجهزة الدولة تتعقّب الإمام(عليه السلام)

وكان أشدّ ما عاناه الإمام(عليه السلام) من المتوكل استماعه للوشاة والسعاة والمتزلفين للنظام، مما جعله محاطاً إحاطةً شاملة بمخابرات الحكم المتمثلة بالحجّاب والكتّاب والوزراء وقادة الجند. وهؤلاء رهط كبير من العاملين بالسلطة، ولهم تأثيرهم في القرار، والإمام في تيار عميق من الإشاعات والأخبار الكاذبة التي تتوارد على المتوكل من هنا وهناك.

وكان الحقد الأسود الذي انطبعت به نفسية المتوكل قد أعماه عن التدقيق في مختلف التهم، فلم تكن لديه مضافاً إلى ذلك خبرة سياسية لنقد الأنباء وتمحيصها، بل هو على العكس من ذلك إذ يطير هلعاً ورعباً كلما وصلت إليه من دون تمييز بين صدقها وكذبها، ولا دراسة فاحصة لمصادرها، وكان الاتهام للإمام هو الأصل، فهو متّهم لديه حتى تثبت براءته، وقد ثبتت في عدة مشاهد وحوادث، ولم يتحرر المتوكل إزاء ذلك من عقدته النفسية تجاه الإمام حتى في بديهات الأمور وجزئيات الأحداث.

فقد اتفق أن مرض المتوكل مرضاً أشرف به على الموت، فنذرت أمه إن هو عوفي أن تحمل للإمام علي الهادي(عليه السلام) مالاً جليلاً، فلما وافاها الخبر بشفائه حملت إلى أبي الحسن الهادي عشرة آلاف دينار تحت ختمها[1].

---

(١) ظ: المفيد/ الإرشاد/ ٣٥٤.

ولم يكن هذا النذر من أم المتوكل اعتباطياً وأنى اتفق، بل كان أمره إيراد لأنها تعلم علماً يقينياً بأن الإمام الهادي هو صاحب الأمر في الولاية الإلهية، وهو الخليفة واقعاً من دون مظاهر خلفاء العصر. لقد اتخذ هذا المال المرسل للإمام ذريعة للوشاية على الفور «فلما كان بعد أيام سعى البطحائي بأبي الحسن(ع) إلى المتوكل، وقال: عنده أموال وسلاح، فتقدم المتوكل إلى سعيد الحاجب أن يهجم عليه ليلاً، ويأخذ ما يجده عنده من الأموال والسلاح ويحمل إليه، وينفذ سعيد الحاجب الأمر ويقول:

صرت إلى دار أبي الحسن بالليل، ومعي سلّم، فصعدت إلى السطح، ونزلت من الدرجة إلى بعضها في الظلمة، فلم أدرِ كيف أصل إلى الدار، فناداني أبو الحسن من الدار: يا سعيد مكانك حتى يأتوك بشمعة، فلم ألبث أن آتوني بشمعة فنزلت، فوجدتُ عليه جبّة صوف وقلنسوة منها، وسجادته على حصيرة بين يديه، وهو يقبل على القبلة، فقال لي: دونك البيوت!! فدخلتها وفتشتها فلم أجد فيها شيئاً، ووجدت البدرة مختومة بخاتم أم المتوكّل وكيساً مختوماً معها.

فقال لي أبو الحسن: دونك المصلّى، فرفعته فوجدتُ سيفاً في جفن ملبوس، فأخذت ذلك وصرت إليه، فلمّا نظر إلى خاتم أمّه على البدرة بعث إليها فخرجت إليه، فسألها عن البدرة... فقالت: نذرت في علّتك إن عوفيت أن أحمل إليه عشرة آلاف دينار فحملتها إليه، وهذا خاتمي على الكيس ما حرّكه... فأمر أن يضم البدرة بدرة أخرى، وقال لي: احمل ذلك إلى أبي الحسن وأردد عليه السيف والكيس بما فيه، فحملت ذلك إليه، واستحييت منه، فقلت:

يا سيدي: عزّ عليّ دخولي بغير إذنك، ولكني مأمور، فقال لي: ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾[1].

---

(١) المفيد/ الإرشاد/ ٣٥٤، الأربلّي/ كشف الغمة ٣/١٧١، ابن الصباغ/ الفصول المهمة/ ٢٦٣-٢٦٤.

ومع وضوح الصورة على براءتها، وانجلاء الأمر على حقيقته، فما هدأت الجلبة ولا سكن غلّي المرجل ضد الإمام، بل توالت السعايات، وكان المتوكل سمّاعاً لها، كثير العناية بها إلى حدّ الهوص. فقد اخبر من قبل الوشاة عن الإمام:

أن في منزله سلاحاً وكتباً وغيرها من شيعته، فوجه إليه ليلاً من الأتراك وغيرهم من هجم عليه في منزله على غفلة ممن في داره، فوُجد في بيت وحده مغلق عليه، وعليه مدرعة من شعر، ولا بساط في البيت إلاّ الرملُ والحصى، وعلى رأسه ملحفة من الصوف متوجهاً إلى ربه يترنم بآيات من القرآن في الوعد والوعيد.

فأُخذَ على ما وجد عليه وحمل إلى المتوكل في جوف الليل، فمثل بين يديه، والمتوكل يشرب وفي يده كأس، فلمّا رآه أعظمه وأجلسه إلى جنبه، ولم يكن في منزله شيءٌ مما قيل فيه، ولا حالة يتعلل عليه بها، فناوله المتوكل الكأس الذي في يده!! فقال: يا أمير المؤمنين ما خامر لحمي ودمي قطّ، فأعفني منه، فأعفاه، وقال: أنشدني شعراً أستحسنه!! فقال الإمام: إني قليل الرواية للأشعار!!

فقال المتوكل: لا بد أن تنشدني: فأنشده:

باتوا على قلل الأجبال تحرسهم ... غلب الرجال، فما أغنتهم القللُ
واستنزلوا بعد عزٍّ عن معاقلهم ... فأودعوا حفراً يا بئس ما نزلوا
ناداهم صارخٌ من بعد ما قُبروا ... أين الأسرّة والتيجان والحللُ؟
أين الوجوه التي كانت منعّمةً ... من دونها تضرب الأستار والكللُ؟
فأفصح القبر عنهم حين ساءلهم ... تلك الوجوه عليها الدود يقتتلُ
قد طالما أكلوا دهراً وقد شربوا ... فأصبحوا بعد طول الأكل قد أكلوا

وطالمــا عمّــروا دوراً لتحــصنهم ... ففارقوا الدور والأهلين وانتقلــوا

وطالما كنزوا الأمــوال وادّخــروا ... فخلفوها على الأعداء وارتحلــوا

أضــحت منــازلهم قفــراً معطّلــةً ... وساكنوها إلى الأجداث قد رحلوا

«فأشفق من حضر على علي (الهادي) وظنوا أن بـادرة تبـدر منـه إليـه، والله لقد بكى المتوكل بكاءً طويلاً حتـى بلـت دموعـه لحيتـه، وبكـى مـن حضره، ثم أمر برفع الشراب، وردّه إلى منزله من ساعته مكرماً»[1].

وكان الإمام علي الهادي قد نهد بتكليفه الـشرعي فـي وعـظ المتوكـل وتبكيته على عمله الشائن في مجلس شراب متهتك، ويدعو فيه الإمـام(ع) إلى مشاركته.. تطاولاً على منزلته، واستهتاراً بكل أصـول اللياقـة والـشرف!! فيعتذر الإمام(ع) عن ذلك جازماً، ويعفيه المتوكل طالباً إليه إنـشاد الـشعر، فينشده هذا الشعر الذي له وقع الـصاعقة علـى الطغـاة والمتجبـرين، حتـى أشفق على الإمام من حضر ذلك الندي حذراً من بطش الطاغية.

وليس بعيداً أن المتوكل كان عامداً بطلب إنشاد الشعر من الإمام، ليوهم الآخرين أن الإمام على منهج رواة عـصره مـن الأدبـاء، فقـد أعيتـه صـنعته الروحيانية، وتقديس المسلمين له، وتصاعد هيبته الاجتماعية، فأراد بـشكل وآخر زجّ الإمام في أمر لا شأن له فيه، ولذلك كان يزدلف للإمام بـالإحراج بما لا يناسب مقام الإمامة، فقد سأل المتوكل علـي بـن الجهـم: مـن أشـعر الناس؟ فذكر شعراء الجاهلية والإسلام، ثم سأل الإمام الهادي بذلك، فقـال: الحماني أشعر حيث يقول:

لقد فاخرتنا من قـريشٍ عـصابةٌ ... بمـطّ خـدودٍ.. وامتـداد أصـابعِ

فلمّا تنازعنـا المقـال قـضى لنـا ... عليهم بما يهوى نـداءُ الـصوامع

(١) المسعودي/ مروج الذهب ٤/٤٤-٤٥، المجلسي/ بحار الأنوار ٥٠/٢١١-٢١٢.

ترانا سكوتاً... والشهيد بفضلنا عليهم جهير الصوت في كل جامع

فإن رسول الله أحمد جدُّنا ونحن بنوه كالنجوم الطوالعِ

قال المتوكل: وما نداء الصوامع يا أبا الحسن؟

قال الإمام: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله(ﷺ)، جدّي أم جدّك؟ فضحك المتوكل ثم قال: هو جَدّك لا ندفعك عنه[1].

وطبيعي أن الإمام كان قاصداً في رواية هذا الشعر في مجلس المتوكل، فما فيه من دلالة ما أشار إليه كون رسول الله(ﷺ) جده.

أمّا ضحك المتوكل، فكان ضحك المغبون الذي لا يحير جواباً. وكان هذا الجواب وأمثاله مما يشحن صدر المتوكل غيظاً وحقداً على الإمام، ويزيد من حدة الكراهية له، لهذا نجد المتوكل يتحين الفرص للحطّ من مكانة الإمام والغض من منزلته الكبرى كما سنرى في المبحث الآتي.

❊ ❊ ❊

(١) ظ: ابن شهرآشوب/ المناقب ٤/ ٤٠٦.

التطاول اللامسؤول على شخصية الإمام (عليه السلام)

وسعى المتوكل في تطول لا أخلاقي مشين للغض من منزلة الإمام، وأخذ يترصد ذلك من كل وجه، عسى أن يسجل شيئاً يلفت النظر في سلوك الإمام، أو يلمس أثراً ولو جزئياً يجسد هذا الغرض، بيد أنه يعود صفر الكفين في هذا التردد الخائب، ولم يستطع تحقيق الهدف بصورة مباشرة على الإطلاق، ولكنه حاول أن يتناول الموضوع بصورة غير مباشرة، وما تسنى له ذلك أيضاً، وأخذ يشكو الأمر إلى بطانته الخاصة، ويعلنه جهاراً بين حاشيته، عسى أن يدبروا الحيلة بوجه ما ولو كان ضئيلاً للمسّ من شخصية الإمام المثالية.

ونفذ صبر المتوكل، فصرّح يوماً لأولئك النفر من أجهزة النظام ومستشاريه بقوله:

«ويحكم قد أعياني أمر ابن الرضا، وجهدت أن يشرب معي وينادمني فامتنع، وجهدت أن آخذ فرصة في هذا المعنى فلم أجدها!!

فقالوا له: فإن لم تجد من ابن الرضا في هذه الحال، فهذا أخوه موسى: قصّاف عزّاف، يأكل ويشرب ويتعشق. قال: ابعثوا إليه وجيئوا به حتى نموّه على الناس، ونقول: ابن الرضا!!

فكتب إليه، وأشخصه مكرماً، وتلقاه جميع بني هاشم والقواد والناس، على أنه إذا وافى أقطعه قطيعة، وبنى له فيها، وحوّل الخمّارين والقيان إليه، ووصله وبرّه، وجعل له منزلاً سوياً حتى يزوره هو فيه.

فلما وافى تلقاء أبي الحسن(ع) في فنظرة وصيف!! وهو موضع يُتلقّى فيه القادمون، فسلّم عليه ووفّاه حقه، ثم قال له:

إنّ هذا الرجل قد أحضرك ليهتك ويضع منك، فلا تقرّ له أن تشرب نبيذاً قط!!

فقال موسى: فإذا كان دعاني لهذا فما حيلتي؟

قال الإمام: فلا تضع من قدرك ولا تفعل، فإنما أراد هتكك، فأبى عليه، فكرر عليه القول والوعظ، وهو مقيم على خلافه، فلمّا رأى أنه لا يجيب قال:

أمّا إن هذا مجلس لا تجتمع أنت وهو عليه أبداً!! فأقام موسى ثلاث سنين يبكّر كل يوم، فيقال: قد تشاغل اليوم فَرُحْ فيروح، فيقال قد سكر فبكّر، فيبكر، فيقال: قد شرب دواءً!!

فما زال على هذا ثلاث سنين حتى قتل المتوكل، ولم يجتمع معه عليه»[(١)].

والتجأ المتوكل بعد هذا إلى التطاول على الإمام من وجه آخر قد يجد فيه تخفيفاً مما يعانيه من الحقد والغيظ، في محاولة للقضاء عليه، بحجة اطلاعه على تقارير أمنية توحي بأن الإمام يطعن في دولته، ويتأمر على مملكته، والإمام بطبيعة الحال بعيد عن هذا التوجه.

«حدّث أبو العباس الكاتب عن أبيه أحمد بن إسرائيل أنه دخل على المتوكل، ووجهه يتغير ساعة بعد ساعة، ويقبل على الفتح بن خاقان ويقول: هذا الذي تقول فيه ما تقول!! ويردد القول، والفتح يقبل عليه يسكّنه ويقول: مذكوبٌ عليه يا أمير المؤمنين، وهو يتلظّى ويقول: والله لأقتلن هذا المرائي الزنديق!! وهو يدّعي الكذب، ويطعن في دولتي، ثم قال: جئني بأربعة من

---

(١) ظ: الكليني/ الكافي ١/٥٠٢، المفيد/ الإرشاد/ ٣١٢، ابن شهرآشوب/ المناقب ٤/٤٠٩، المجلسي/ البحار ٥٠/١٥٩.

الخزر، فجيء بهم، ودفع إليهم أربعة أسياف، وأمرهم أن يرطنوا بألسنتهم إذا دخل أبو الحسن، ويقبلوا عليه بأسيافهم فيخبطوه، وهو يقول: لأحرقنه بعد القتل!!

فما لبث إلاّ ودخل الإمام علي الهادي... فلما بصر به الخزر خروا سجداً مذعنين، فلما خرج دعاهم المتوكل ثم أمر الترجمان أن يخبره بما يقولون، ولِمَ لم يفعلوا ما أمروا به؟ قالوا: شدة هيبته؛ رأينا حوله أكثر من مائة ألف سيف لم نقدر أن نتأملهم، فمنعنا ذلك عمّا أمرتَ به، وامتلأت قلوبنا من ذلك...»[1].

وهذا الإجراء من المتوكل يثيره حقد عميق، ويشير إلى تمكّن الإشاعات منه، وارتداد الخزر عن تنفيذ أوامره نتيجة هيبة إلهية أضفيت على الإمام، ولعل هناك ملحظاً إعجازياً منع من التنفيذ.

* * *

(١) المجلسي/ بحار الأنوار ٥٠/١٩٦-١٩٧ باختصار.



الاستفزاز الأمني في رقابة الإمام (عليه السلام)

كان الإمام(عليه السلام) محاطاً بسامراء بأجهزة متعددة من الرقابة، وهي تستفزّه بين حين وآخر، وتعكر صفو حياته باستمرار، فقد تمنع دخول أوليائه عليه، وقد تقرر أن يحضر الإمام مجالس القوم، وقد يفرض عليه الغدو إلى البلاط العباسي، والإمام في مرونته الاجتماعية صابر ومحتسب، يصدر عن تكليفه الشرعي في الرفض والاستجابة في ضوء ديبلوماسية اختطّها لنفسه وسار على نهجها في تلك الفترات العصيبة.

لقد روى خادم الإمام القول:

«كان المتوكل يمنع الناس من الدخول إلى علي بن محمد، فخرجت يوماً وهو في دار المتوكل، فإذا جماعة من الشيعة جلوس خلف الدار!! فقلت: ما شأنكم جلستم هنا؟ قالوا: ننتظر انصراف مولانا لننظر إليه، ونسلّم عليه، وننصرف»[(١)].

هذا النص يعني أن التقاءهم بالإمام محظور عليهم، فهم يقابلونه لدى رواحه إلى دار الخلافة، أو عند خروجه منها، أو في وقت يغفل فيه الرقيب.

وكان المورد المالي ضرورة حيوية لإدارة شؤون الإمام ومتطلبات حياته الشخصية والعامة، وإن أولياء أهل البيت يوصلون الحقوق الشرعية للإمام بحذر وتكتم شديدين، وفي ذلك من الضغط والمخاطرة بما فيه؛ فقد قال

(١) المجلسي/ بحار الأنوار ١٤٨/٥٠ وانظر مصدره.

الفتح بن خاقان لأحد أصحابه أن المتوكل قد ذكر خبر مال يجيء من قم إلى الإمام، وقد أمرني أن أرصده لأخبره به؛ فقل لي من أي طريق يجيء حتى أجتنبه؟

يقول: فجئت إلى الإمام علي بن محمد وأخبرته بذلك!!

فأخبره الإمام أن المال يجيء في تلك الليلة، ولن يصلوا إليه، فكان أن حصل ما أخبر به الإمام في حدث مشهور[1].

ويبتكر المتوكل أساليب استفزاز الإمام، فيعمل على ما به جلب ذلك والإيغال به بشكل وآخر.

«فقد ذكر زرافة حاجب المتوكل وكان يتشيع: أن المتوكل أراد بيان أهمية وزيره الفتح بن خاقان، فامر أهل مملكته من الأشراف والأمراء والوزراء والقوّاد والعساكر ووجوه الناس، أن يزيِّنوا أحسن تزيين، ويخرجوا مشاةً بين يديه، وأن لا يركب إلا هو والفتح؛ فأخرجوا الناس في يوم شديد الحرّ، وفي جملة الأشراف الإمام علي الهادي(ﷺ)؛ فأقبلت إليه، وقلت له: يا سيدي يعزّ عليّ ما تلقى من هذه الطغاة، وما تكلفته من المشقّة، وأخذت بيده، وقال: يا زرافة؛ ما ناقة صالح عند الله بأكرم مني!! وقال: بأعظم قدراً مني!! ولم أزل أسائله وأستفيد منه، وأحادثه إلى أن نزل المتوكل من الركوب، وأمر الناس بالانصراف...

وركب الإمام إلى داره، وودعته وانصرفت إلى داري، ولولدي مؤدّب يتشيع من أهل العلم والفضل...

فذكرت له ما شاهدته من أبي الحسن علي بن محمد(ﷺ)، وما سمعته منه في قوله:

«ما ناقة صالح عند الله بأعظم قدراً مني».

---

(١) ظ: ابن شهرآشوب/ المناقب ٤/ ٤١٣، المجلسي/ البحار ٥٠/ ١٢٥.

وكان المؤدب يأكل معي فرفع يده، وقال: بالله إنك سمعت هذا اللفظ منه؟ فقلت له: والله إني سمعته يقوله؟؟ فقال لي: اعلم أن المتوكل لا يبقى في مملكته أكثر من ثلاثة أيام ويهلك!! فانظر في أمرك... فقلت له: من أين لك ذلك؟ فقال: أما قرأت القرآن في قصة الناقة وقوله تعالى: ﴿**تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ**﴾[١] ولا يجوز أن تبطل قول الإمام.

قال زرافة: فوالله ما جاء اليوم الثالث حتى هجم المنتصر ومعه بغا ووصيف والأتراك على المتوكل فقتلوه وقطعوه...

فلقيت الإمام أبا الحسن(عليه السلام)، فأخبرته بقول المؤدب، فقال: صدق، إنه لما بلغ مني الجهد رجعت إلى كنوز نتوارثها من آبائنا هي أعزّ من الحصون والسلاح والجنن، وهو دعاء المظلوم على الظالم، فدعوت به عليه فأهلكه الله..»[٢].

وكان استفزاز الإمام من قبل المتوكل ظاهرة في سلوك المتوكل اللاإنساني، وطبيعة جُبِلَ عليها لا يستطيع الخلاص منها، فقد تناهى إليه قول الإمام(عليه السلام): لا تعرض لهم السباع!! فقال علي بن الجهم: جرّب هذا على قائله!! فأجيعت السباع ثلاثة أيام، ثم دعا بالإمام(عليه السلام) وأخرجت السباع، فلمّا رأت الإمام لاذت وتبصبصت بأذنابها، فلم يلتفت الإمام(عليه السلام) إليها، وصعد السقف، وجلس عند المتوكل ثم نزل من عنده، والسباع تلوذ به، وتبصبص حتى خرج(عليه السلام)، وقال:

قال النبي(صلى الله عليه وآله): «**حُرِّمَ لحوم أولادي على السباع**»[٣].

---

(١) سورة هود/ ٦٥.

(٢) ظ: المجلسي/ بحار الأنوار ٥٠/١٩٢-١٩٣ وانظر مصدره.

(٣) ابن شهرآشوب/ المناقب ٤/٤١٦.

وما أفاق المتوكل من سكرته مع كل هذه الدلائل، فلجأ إلى آخر ما أراد من الاستفزاز بزعمه أن يرهب به الإمام، فأمر العسكر وهم تسعون ألف فارس من الأتراك الساكنين بسامراء أن يملأ كل واحد مخلاة فرسه من الطين الأحمر، ويجعلوا بعضه فوق بعض في وسط تربة واسعة هناك ففعلوا، فلما صار مثل جبل عظيم واسمه تل المخالي (واسمه اليوم تلّ العليق) صعد فوقه، واستدعى أبا الحسن واستصعده، وقال: استحضرتك لنظارة خيولي، وقد كان أمرهم أن يلبسوا التجافيف، ويحملوا الأسلحة، وقد عُرضوا بأحسن زينة وأتمِّ عدّة وأعظم هيبة، وكان غرضه أن يكسر قلب كل من يخرج عليه، وكان خوفه من أبي الحسن(عليه السلام) أن يأمر أحداً من أهل بيته أن يخرج على الخليفة.

فقال له أبو الحسن(عليه السلام): «وهل أعرض عليك عسكري؟ قال: نعم. فدعا الله سبحانه، فإذا بين السماء والأرض من المشرق والمغرب ملائكة مدججون، فغشي على الخليفة، فلما أفاق، قال أبو الحسن:

«نحن لا نناقشكم (ننافسكم) في الدنيا، نحن مشغولون بأمر الآخرة، فلا عليك شيء مما تظن»[١].

وكانت هذه المناورات في صخبها وضجيجها تمثل ذلك الجانب المأساوي في سجلّ معاصرة الإمام للمتوكل، وهي أحداثٌ جسامٌ كادت أن تودي بحياة الإمام في لحظات متقاربة، إلا أن لله أمراً هو بالغه، ولا يحول على أمره شيء.

* * *

(١) ظ: المجلسي/ بحار الأنوار ٥٠/١٥٥-١٥٦ وانظر مصدره.

تأثير الإمام في البلاط العباسي

وقد يتملكك العجب بينما تلمس تأثير الإمام علي الهادي(عليه السلام) وهو يخترق بلاط المتوكل الذي يُحضر فيه الإمام خشية تحركه المضادّ وفيما يتوهم، ونتيجة تردد الإمام ضمن الحصار الأمني المفروض عليه -إلى القصر العباسي بدأت الأنظار تتجه إلى هذا الإنسان الملائكي في تصرفاته وحياته العامة، إذ استطاع الإمام(عليه السلام) بمسلكيته الوادعة أن يهيمن على طائفة من روّاد القصر وحواشيه روحياً، وأن يجذب قسماً منهم إليه فطرياً، وهذه الشرائح من حضّار القصر مختلفة المشارب والمسالك، ومع هذا كله فقد يأخذها الانبهار من كرامات الإمام، ويصاحبها الذهول من هيبته ووقاره، ومن هنا كان تأثير الإمام الخاص في حياة البلاط تأثيراً له ذائقته الخاصة، إذ بدا الإمام في ذلك المزيج المختلط نمطاً جديداً لا عهد لهم به، لهذا فقد عاد الإمام أثيراً بصورة جادّة ومتصاعدة لدى الكثير من حاشية السلطان، وقد بدا هذا واضحاً بما يقابل به من الاحترام والإجلال بين مختلف تلك الطبقات، وفيهم الوزير والكاتب والحاجب والقائد وصاحب الحسبة وولاة القضاء والمناصب الإدارية مضافاً إلى الخدم والحشم والقائمين بشؤون الخدمات، وقد جوبهوا جميعاً بأن هيبة الإمام تخترق العمق النفسي تلقائياً ودون أي تأثير خارجي من خوف أو رجاء أو سلطان، وتلك ميزة لم تتوافر أبعادها إلاّ من خلال شخصية الإمام في جاذبيتها البنّاءة.

وكانت الرقابة المفروضة عليه إلى جنب حضوره مجالس القوم وأروقة البلاط تنحلّ في النهاية إلى مزيد من الاعتقاد الداخلي بالإمام وعلو قدره، لا سيما حينما تبدو له كرامة أو مأثرة أو فضيلة، وما أكثر ذلك[١].

وكان ظهور الدلائل على يديه داعية إلى إيمان من لم يكن على هذا الأمر، بل ممن كان يعيب أهل القول بالإمامة عيباً شديداً ويتبعهم بالذم والشتم، وحينما فاجأهم الإمام علي الهادي بمآثره الكبرى استبصروا واسترشدوا بعد ضلال، كما حصل هذا المعنى لأبي العباس خال كاتب إبراهيم بن محمد عندما كان في الوفد الذي أحضر الإمام من المدينة إلى سامراء[٢].

وكان من عائدية هذا المناخ في تفصيلاته الكثيرة أن الموكلين المأمورين بقتل الإمام من الجلاّدين الغلاظ قد يذهلون وهم القوة التنفيذية بيد السلطة حينما تبهرهم هيبة الإمام، فيتهافتون بين يديه سجداً مذعنين، وهذا منتهى التأثير النفسي[٣].

وأراد المتوكل أن يمشي الإمام علي الهادي(عليه السلام) راجلاً يوم السلام، فقال له وزيره: إن في هذا شناعة عليك وسوء قالة فلا تفعل. قال: لا بد من هذا!! قال: فإن لم يكن بد، فتقدم بأن يمشي القوّاد والأشراف كلهم، حتى لا يظن الناس أنك قصدته بهذا من دون غيره[٤].

فانظر إلى تأثير الإمام حتى في وزير المتوكل، إذ يمنع المتوكل -وهي جرأة كبيرة- من التصرف بما يبدو من الاستخفاف بمنزلة الإمام، حتى أن الوزير ليحذر من ظن الناس أن عمل المتوكل هذا كان المقصود به الإمام ليس غير.

---

(١) ظ: على سبيل المثال: المجلسي/ بحار الأنوار ٥٠/١٢٧-١٥٠.

(٢) ظ: المصدر السابق نفسه ٥٠/١٥٦.

(٣) ظ: المصدر السابق نفسه ٥٠/١٩٧.

(٤) ظ: المصدر السابق نفسه ٥٠/١٤٧.

والوزير آنذاك يعني رئيس الوزراء في عرفنا اليوم.

وهذا الوزير عبيد الله بن خاقان يصف الإمام علي الهادي(عليه السلام) لولده أحمد حينما شاهد تعظيمه لولده الإمام الحسن العسكري، يقول لولده: «ولو رأيت أباه لرأيت رجلاً (جزلاً) جليلاً نبيلاً خيِّراً فاضلاً» يعني بذلك الإمام الهادي[(١)].

ولقد امتدّ نفوذالإمام الهادي إلى داخل البلاط العباسي من حيث لا يعلم الملوك، فتنذر له النذور، ويستوصف منه العلاج والدواء، ولا أدلّ على ذلك من اعتقاد أم المتوكل في ذلك، فترسل له الأموال نذراً وتكريماً، وهذا يعني امتداد تأثير الإمام إلى حريم البلاط[(٢)].

وهذا اللون من النفوذ الروحي في بحبوحة القصر العباسي قد عاد شائعاً، وأثره واضحاً، ودلائله كثيرة، فقد قال أحد أركان المتوكل للمتوكل:

«ما يعمل أحد بك ما تعمله بنفسك في علي بن محمد (يعني الإمام الهادي) فما في الدار إلا من يخدمه، ولا يتعبونه بشيل الستر لنفسه. فأمر المتوكل بترك الستر... فرفع صاحب الخبر أن علي بن محمد دخل الدار، فلم يخدم، ولم يشل أحد بين يديه الستر، فهبَّ هواء فرفع الستر حتى دخل وخرج، فقال: شيلوا له الستر بعد ذلك، فلا نريد أن نشيل له الهواء»[(٣)].

وإذ قد عرفت هذا كله من أثر الإمام وتأثيره في البلاط العباسي، فلك أن تندهش أن يمتد هذا التأثير إلى رأس النظام شعر بذلك أو لم يشعر، فهذا المتوكل، وقد مرض مرضاً شديداً، فأشرف على التلف، فنصحه الفتح بن خاقان أن يبعث إلى الإمام الهادي(عليه السلام)، فربما كان عندهُ صفة شيء يفرّج الله به عنك!!

---

(١) الشيخ الصدوق/ كمال الدين ١/٤٢.

(٢) ظ: الشيخ المفيد/ الإرشاد/ ٣٠٩، المجلسي/ البحار/ ٥٠/١٩٩.

(٣) ظ: ابن شهرآشوب/ المناقب ٤/٤٠٦.

فقال المتوكل: ابعثوا إليه، فبعثوا إليه، فوصف الدواء للمتوكـل، وعـوفي من وقته[1].

ولم تكن هذه الشواهد التي توافرنا عليها باعتبارها نمـاذج حيّـة لتمنـع السلطات من الاعتداء على الإمام، بل كانت ذريعة لاتخاذ إجراءات تعـسّفيّة ظالمة ضد الإمام، فيحتجز حيناً، ويعتقل حيناً آخر.

* * *

(١) ظ: الكليني/ الكافي ١/٤٩٩، المفيد/ الإرشاد/ ٣٠٧، الطبرسي/ إعلام الورى/ ٣٤٤.

اعتقال الإمام (عليه السلام)

والذي يحزّ في النفس حقاً أن تجتاح الإمام موجة جديدة من الآلام كلّما ضاق المتوكل ذرعاً به استجابة منه لبواعث نفسية في الحقد والكراهية مع رؤيته الدلائل، وعلمه ببراءته مما ينسب إليه في محاولة السلطان أو الرغبة بالحكم، أو العمل من أجل ذلك، ولكن هاجساً غامضاً بين جوانح المتوكل يلوح لديه هو الذي يدعوه إلى اتخاذ إجراءات لا مسؤولة تجاه الإمام في حين ينعم سواه بالاستقرار من الذين يتآمرون عليه أو يأتمرون به من القوّاد والأتراك وأصحاب القرار السياسي.

لقد أمر بالإمام إلى السجن في فترات متقاربة لا لشيء، بل لأنه الإمام الهادي فحسب، محاولاً فيها أو في بعضها اغتيال الإمام والأمر بقتله، ولكن الأمر لله من قبل ومن بعد.

فعن الصقر بن أبي دلف الكرخي، قال:

«لما حمل المتوكل سيدنا أبا الحسن العسكري(عليه السلام)، جئت أسأل عن خبره!! فنظر إليّ الزرافي وكان حاجباً للمتوكل.. قال: يا صقر ما شأنك؟ وفيم جئتَ؟ قلت: لخير ما، فقال: لعلك تسأل عن خبر موت مولاك؟

قلت: من مولاي؟ مولاي أمير المؤمنين!!

فقال: اسكت مولاك هو الحق فلا تحتشمني فإني على مذهبك!!

فقلت: الحمد لله.

قال: أتحب أن تراه؟ قلت: نعم، قال: اجلس حتى يخرج صاحب البريد من عنده. قال: فجلست فلمّا خرج قال لغلامه: خذ بيد الصقر وأدخله إلى الحجرة التي فيها العلوي المحبوس، وخلّ بيني وبينه!!

قال: فأدخلني إلى الحجرة وأومأ إلى بيت فدخلت، فإذا هو جالس على صدر حصير، وبحذاه قبر محفور!!

قال: فسلمتُ، فردّ علي ثم أمرني بالجلوس.

ثم قال لي: يا صقر ما أتى بك؟

قلت: سيدي جئت أتعرف خبرك!! ثم نظرت إلى القبر فبكيت، فنظر إليَّ فقال: يا صقر لا عليك لن يصلوا إلينا بسوء الآن»[1].

واستبد المتوكل استبداد الطواغيت وهو كذلك، فسجن الإمام مرة أخرى، وأمر سعيداً الحاجب أن يقتله، فعن ابن أرومة، قال:

«خرجت أيام المتوكل إلى سر من رأى، فدخلت على سعيد الحاجب، ودفع إليه المتوكل أبا الحسن ليقتله، فلما دخلت عليه قال: أتحب أن تنظر إلى إلهك؟؟

قلت: سبحان الله الذي لا تدركه الأبصار.

قال: هذا الذي تزعمون أنه إمامكم!!

قلت: ما أمرهُ ذلك.

قال: ما أكره ذلك.

قال: قد أمرت بقتله!! وأنا فاعله غداً؛ وعنده صاحب البريد فإذا خرج فادخل إليه، ولم ألبث أن أخرج، قال: أدخل، فدخلت الدار التي كان فيها محبوساً، فإذا بحياله قبر يحفر، فدخلت وسلّمت وبكيت بكاءً شديداً!!

(١) ظ: الشيخ الصدوق/ معاني الأخبار/ ١٢٣، الطبرسي/ أعلام الورى/ ٤١١، المجلسي/ البحار ٥٠/ ١٩٤.

فقال: ما يبكيك؟ قلت: ما أرى.

قال: لا تبكِ لذلك، لا يتم لهم ذلك. فسكن ما كان بي، فقال: إنه لا يبلث أكثر من يومين حتى يسفك الله دمه ودم صاحبه الذي رأيته!!

قال: فوالله ما مضى غير يومين حتى قتل...»[١].

والإمام حينما ينبئ بقتل المتوكل وحاجبه فهو ينطلق من لمح غيبي أتاه علمه، وليست هذه المرّة الأولى التي يفيض بها بهذه الحقيقة، فقد حدث هذا من قبل ومن بعد، فقد حدث هذا الملحظ ذاته في سجن آخر للإمام، بما حدّث به الحسين بن محمد العمي، قال: كان لي صديق مؤدّب لولد بغا أو وصيف، شك فيَّ، فقال لي الأمير منصرفه من دار الخليفة: حبس أمير المؤمنين هذا الذي يقولون: ابن الرضا اليوم، ودفعه إلى عليّ بن كركر، فسمعته يقول: أنا أكرم على الله من ناقة صالح، ﴿**تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ ذلكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ**﴾[٢].

وليس يفصح بالآية ولا بالكلام، أيُّ شيء هذا؟ قال: قلت أعزك الله توعّد!! انظر ما يكون بعد ثلاثة أيام فلمّا كان من الغد أطلقه واعتذر إليه، فلمّا كان في اليوم الثالث وثب عليه: ياغر، ويغلون، وتامش، (قوّاد أتراك) وجماعة معهم، فقتلوه، وأقعدوا المنتصر ولده خليفة[٣].

وكان على الإمام بعد هذه الاستفزازات المتعددة والرفاية المختلفة الأطراف، أن يحتاط لأمته في القيادة، وأن يتحرك في خط جديد يحفظ به التوازن لمجريات الأحداث، فلا يستسلم لليأس، ولا يندفع بإصرار، وإنما يتخذ بين ذلك سبيلاً، وهذا ما حدث، فأصل «نظام الوكلاء» وجعله وسيطاً بينه وبين قواعده الشعبية في شتى الشؤون مما يتناسب مع قيادة الأمة، فكان ذلك.

---

(١) ظ/ المجلسي/ بحار الأنوار ٥٠/ ١٩٥-١٩٦ وانظر مصدره.

(٢) سورة هود/ ٦٥.

(٣) ظ: الطبرسي/ إعلام الورى/ ٣٤٦.

الفصل الرابع

نظام الوكلاء في مجابهة التحديات

١. الإمام الهادي يسعى إلى التغيير الجذري.

٢. الإمام الهادي وتشريع نظام الوكلاء.

٣. نظام الوكلاء ضرورة قيادية للتخطيط المستقبلي.

٤. أئمة أهل البيت يمهّدون لنظام الوكلاء.

٥. الإمام الهادي يضطلع بتأصيل نظام الوكلاء.

٦. وكلاء الإمام الهادي في ميدان العمل.

الإمام الهادي يسعى إلى التغيير الجذري

في مثل هذا المناخ الذي يمثل عصور الفراعنة في الطغيان والجبروت، وحياة (ألف ليلة وليلة) في اللهو والإسراف والمجون، كان الإمام الهادي(عليه السلام) في صمته الرهيب بليغ النطق، وهدوئه العجيب دائب الحركة، وإعراضه عن الحكم كبير المسؤولية، فقد أشفق على الأمة من الضياع والتدهور، وحاذر على الشريعة من الانحراف وبدع الحاكمين، وحامى عن ثوابت الإسلام بكل ما يستطيع من قوة، وكان الصراع على أشدّه بين قوى الخير العاملة وقوى الشر المتسلطة، فحدب على التغيير الجذري في ضمير الإنسان المسلم، وتلك هي نقطة الانطلاق التي يبدأ بها العمل الإصلاحي في البعث والإحياء، وكان له من يستعين به في هذا المشروع الضخم من ذوي الجدّ والنشاط والمثابرة في العمل، أولئك الذين شمَّروا عن سواعدهم بأمانة وصدق لمتابعة نشاط الإمام الاجتماعي، وتنفيذ أوامره، ونشر مبادئه، وهؤلاء هم أتباعه المخلصون.

واستطاع الإمام بثباته المدهش وبأوليائه الهداة أن يشق طريق المعالجة بحكمة وأناة رغم العقبات الكبرى «لأن ما كان يمتاز به من هدوء الطبع وكرم النفس وقوة الصبر والاحتمال قد ساعده على الاحتفاظ بمنزلته، رغم حذر الخلفاء منه وفرضهم الرقابة عليه»[1].

(١) أحمد عبد الباقي/ سامراء ١/٥٤٤.

وهذا ما دعا المستشرق الدكتور دونالدسن أن يعبّر عن الإمام علي الهادي(ع) بالأسير تارة، وبالسجين تارة أخرى، إلاّ أنه يستدرك شيئاً من ذلك فيقول أنه:

«كان يتمتع في أكثر الأحيان بحرّية شخصية... فيلقى أصحابه، ويجلس بحضرة الخليفة، إلا أنه كان محاطاً بالجواسيس»(١).

ومن الطريف أن الإمام الهادي(ع) مع ما أحيط به من رصد خانق كان منبسط النفس في سامراء رغم كل المضايقات وظواهر الإقامة الجبرية التي لا اختيار له معها، فهو يقول لبعض أصحابه:

«يا أبا موسى؛ أخرجت إلى سر من رأى كرهاً، ولو أخرجت عنها أخرجت كرهاً!! فقلت: ولِمَ يا سيدي؟

فقال: لطيب هوائها، وعذوبة مائها، وقلّة دائها»(٢).

فالإمام نظراً لثباته المتواصل لا يرى المثبطات التي تطبق عليه عائقاً من أن يذكر محاسن سر من رأى، وأن يتجاوز بأفقه الواسع معالم التضييق التي تدور حوله.

وكان قد اتخذ من سامراء منبراً لبثٍّ تعاطفه مع طبقات الأمة، وذلك بتعميم إرشاداته الفذَّة بين كوكبة صالحة من أصحابه، ممن يعي حمل الرسالة، وكانوا ساعده الأيمن في التبليغ والدعوة بين شتى الشرائح الاجتماعية من أتباعه وهم يعدّون يؤمئذ بالملايين في شرق الدنيا وغربها، إذ انتشر التشيّع وضرب بأطنابه في أنحاء الجزيرة العربية والأقاليم المجاورة لها، وكانت الدعوات الخيّرة تصدر منه بانتظام ودقة متناهية سراً وعلناً لتبلّغ إلى المسلمين في بقاع الإسلام، وهي تلقى آذاناً صاغية، وتستقبل بالقبول،

---

(١) دونالدسن/ عقيدة الشيعة/ ٢١٩.

(٢) ابن شهرآشوب/ المناقب ٢/٤٥٤، المجلسي/ البحار ٥٠/١٢٩.

وقد تمخض هذا التخطيط في إيجابياته عن قيام «نظام الوكلاء» الذي ترعرع في أحضان الإمام متبرعماً، وأعطى ثماره، حينما شبَّ مستطيلاً لملء الفراغ الناجم عن حصار الإمام السياسي، فالالتقاء بوكلائه في فترات متواصلة بشتى المناسبات والأساليب، قد عالج ظاهرة الحصار المفروض، فالإمام يدفع بآرائه وتوجهاته القيادية إلى تلك الصفوة المختارة وهم يتوزعون في أقطار وقصبات كثيرة، متزودين بالفتاوى ولباب العلم، ومخولين بالقبض والصرف لما يعود لمنصب الإمامة من أموال وحقوق، مما يعني جعلهم وسائط بينه وبين شيعته الأبعدين، أو الأقربين المحاطين برقابة ما، وقد تداعى وتتابع بهذه الطريقة المثلى هدف الرسالة في حسن التأتي والأداء.

وكان التطلّع المعمّق للإمام يقضي بتربية أوليائه أولاً على الابتعاد عن الأثرة والحقد والبغضاء، والالتزام ثانياً بالتواصل والتراحم فيما بينهم، واعتزال الحكومة إلى ولاة السوء والقضاة، والعمل بعد هذا على حلّ مشكلاتهم فيما بينهم ليتفرغوا للدفاع عن قيم الإسلام ومآثر الإيمان وجوهر العقيدة بعيداً عن الأنانية والغطرسة والانتفاخ كما هو شأن الحاكمين.

وكانت هذه التوجيهات بأصالتها ردّة فعل إيجابية تجاه جميع مشاهد التخلف وسلبيات النظام الحاكم، وفي إطار الحفاظ التام على روح الإسلام من الانحلال والاضمحلال.

ومن هنا يتبلور مبدأ الولاية الإلهية للإمام علي الهادي(ﷺ) باعتباره الحلقة المفقودة التي يضع البحث يده على وجدانها في خضم التضبيب المكثّف على هذا المنصب، ويكون التوافر عليه توصلاً منطقياً للواقع الذي لا يخامره تردد على الإطلاق، فذلك هو الحقيقة التي تنطق بها شواهد العيان، بل هو المؤشر النابض بالحركة والحياة على أحقيّة مشروع أهل

البيت في تعيين الإمام والنصّ عليه، وتسميته قائداً للجماعة الإسلامية الحائز على مواصفات التأهيل المنصوص عليها في الآداب السلطانية.

ومن هنا ننتظر من الإمام علي الهادي(ع) أن يجد الطريق البديل في التحرك الميداني للعمل، في محاولة للتغيير الجذري قدر المستطاع، ومجابهة تلك التحديات في ابتكار أسلم السبل وأجداها نفعاً لتنفيذ تطلعاته المستقبلية للدين والأمة رغم تصاعد التيار المضادّ، بحيث يستبعد الخطر المحدق به، ويغني متطلبات المرحلة الجديدة في التبليغ الواعي، ويشيع روح الاطمئنان في نفوس المضطهدين من أتباعه، ومن حيث يكون الإعداد لمنهج جديد يتجاوز حدود المألوف خطوة ضرورية لإنقاذ الموقف من التداعي والانحطاط، وقد وجد الإمام(ع) تبعاً لآبائه المعصومين -كما سترى- أن احتواء الأمر بصورة جدّية يحتم استخدام البدائل الناجحة في استمرارية العمل. وكان ذلك هو «نظام الوكلاء» الذي سنقف عنده في بيان معالمه، وبدايات ابتكاره، وعائدية معطياته، وتأصيل برامجه.

❊ ❊ ❊

الإمام الهادي وتشريع نظام الوكلاء

لقد اعتاد أتباع أهل البيت الارتباط بالأئمة(عليهم السلام) على نحو مباشر في الأعمّ الأغلب، حتى إذا كان عصر الإمام محمد الجواد(عليه السلام)، ومن بعده عصر ولده الإمام علي الهادي(عليه السلام)، كان التخطيط الرسالي يقتضي تدريب أولياء أهل البيت الاتصال بمن ينصبهم الإمام وكلاء عنه تمهيداً لعصر الغيبة الذي سوف يحجبون فيه عن الالتقاء بالإمام، مما يعني أن الخطوة المباركة التي كتبت للإمام علي الهادي(عليه السلام) بالريادة الجادّة في هذا المضمار كانت لها دلالتها القيادية بعد أن مهد لها من ذي قبل أبوه الإمام محمد الجواد(عليه السلام).

وكلما اقترب الأمر إلى الإمام الثاني عشر كلما اشتدت الحاجة إلى إيجاد البدائل عن الاتصال بالإمام إلى من ينوب عنه، لتعتاد الأمة مرجعية الوكلاء، ومن ثم الفقهاء لاستمرارية مبدأ أهل البيت في الأخذ والعطاء، واستقلاله عن السلطة في الفتيا والقضاء، وسدّ منطقة الفراغ لدى غيبة الإمام(عج).

وقد نهد الإمام علي الهادي(عليه السلام) بهذه المهمة على نطاق واسع، وقام بدور ريادي في إعداد جيل من العلماء والرواة والوكلاء ينهضون بعبء الإمامة، ويتحملون ثقل الرسالة بثبات وعزم وإصرار في مرحلة بالغة الصعوبة.

وكان الإقدام على هذا النوع من التخطيط المستقبلي خطوة جبّارة تستأهل الإعجاب لأنها تنبعث من صميم احتياجات الأمة في درء المخاطر الكبرى التي تحيط بها من كل جانب ومكان، فهي إذن بحاجة إلى من يعي همومها، ويفكّر في حلٍّ مشكلاتها، ويعينها على مواصلة المسيرة في درب يكثر عثاره.. وتتشعب مسالكه.. أفكار مضللة.. أهواء متبعة.. شبهات محدقة.. فقهاء البلاط.. وعاظ السلاطين.. زعامات منحرفة.. قيادات مستهترة.. مذاهب متعددة.. خطوط متعارضة.. مؤامرات متجددة.. انهيار القيم العليا.

كانت هذه مفردات مما حفل به عصر الإمام علي الهادي(عليه السلام)، وكان عليه أن يقف وجهاً لوجه أمام مهامه القيادية بعد هذا الانحراف الذي سيّره البلاط العباسي، فترك الشعب المسلم في متاهات من التخبط والانحدار.

وبرز الإمام علي الهادي(عليه السلام) عملاقاً بمستوى الظروف والأحداث، فكان رجل المهمّات الصعبة، وفارس الميدان المجلّي فيما مارس من نشاط، وما أصّل من إعداد، وما هيّأ من دور تأسيسي صان به كيان الأمة من التداعي، وقوّم أركان الرسالة من التردي في عملية تغيير ممنهجة، وخطوة تخطيط مبرمجة، دعا فيها العاملين بخط أهل البيت(عليهم السلام) إلى التجمّع واليقظة والاحتراز، فكانت كوكبة من المؤهلين رسالياً جنباً إلى جنب من تطلعات الإمام الريادية.

وقد حظي هذا الإعداد بتأييد كبير من الأولياء، واستغراب مبهم من المناوئين، وتصوّر غامض من بني العباس!!!

وفد على الإمام أحد متكلمي الشيعة البارزين، وكان قد بلغه أنه حاجج ناصبياً فأفحمه وتغلّب عليه!! فسرَّ الإمام بذلك، وحينما قابل الإمام منحه حبّه ورضاه، وكرّمه واحتفى به، وكان مجلس الإمام على دست، وأقبل عليه

يحدثه ويسأله عن حاله سؤالاً حفيّاً، وشق ذلك على بعض الهاشميين، فالتفتوا للإمام، وقالوا له:

كيف تقدمه على سادات بني هاشم؟

وكان هذا المنحنى من الاعتراض والاحتجاج على تكريم الإمام لأحد العلماء نابعاً من الاستغراب الأناني اللاإنساني، ناظراً إلى مكانة النسب من الكيان الاجتماعي، غير حافل بالمؤهلات الثقافية لدى الإنسان، لكن الإمام قابل ذلك بالتأنيب المؤدب، والرّد المنطقي في ضوء القرآن الكريم، قال الإمام:

إياكم أن تكونوا من الذين قال الله تعالى فيهم:

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيباً مِنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ وَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾[١].

أترضون بكتاب الله عز وجل حكماً؟

فقالوا جميعاً: بلى يا ابن رسول الله!!

قال الإمام: أليس الله قال:

﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللهُ لَكُمْ وَإِذا قِيلَ انْشُزُوا فَانْشُزُوا يَرْفَعِ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجاتٍ وَاللهُ بِما تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾[٢] فلم يرض للعالم المؤمن إلاّ أن يرفع على المؤمن غير العالم، كما لم يرض للمؤمن إلاّ أن يرفع على من ليس بمؤمن. أخبروني عنه؟

قال الله تعالى: **﴿يَرْفَعِ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجاتٍ﴾** أوقال: الذين أوتو شرف النسب درجات؟؟

---

(١) سورة آل عمران/ الآية ٢٣.

(٢) سورة المجادلة/ الآية ١١.

أوليس قال الله: ﴿هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ﴾[1] فكيف تنكرون رفعي لهذا لما رفعه الله؟

إنَّ كَسْرَ هذا لفلان الناصبي بحجج الله التي علّمه إياها لأشرف من كل شرف في النسب[2]..

لم يكن هذا الحدث شأناً عابراً، بل كان درساً تعبوياً وأخلاقياً في هدف مزودج، فهو يكرّم العلماء بعناية إعداد جيل من العلماء وهو يربي أصحابه على احتضان هذه القيم.

وحينما يقول الإمام بتربية جيله المعاصر له على جوهر هذه المفايهم فإنما يلقنهم درساً في التوجيه الصحيح، وهم يتلقون ذلك بالغبطة والرضا، ويبلّغون إخوانهم في الدين ذلك المنهج لاتّباعه بكل حرص وتأكيد وفاعلية.

وكان الانفتاح على العلم من قبل الإمام(ع) قد أوجد حركة دائبة أثرت في تنمية الحضارة الإنسانية للأجيال القادمة، إذ كان وكلاء الإمام وتلامذته يمارسون نشاطاً ثقافياً هادفاً يحتضن رسالة السماء التي ابتعد عنها المناخ السياسي واستبدلها بأنظمة طاغوتية لا تمثل الإسلام.

وعلى الرغم من التعتيم الإعلامي على ما أعطاه منهج الإمام في «نظام الوكلاء» من نتائج إيجابية في الإعداد والحصانة الفكرية، وإغفال التأريخ لوقائعه الكبرى، فقد انتشر نبأ هذا الإعداد بين أولياء أهل البيت ببركة جهود الإمام المضنية في هذا السبيل، إذ كانت الهيمنة للإمام في الجانب التعبوي علمياً وفكرياً تتمتع بالرصيد الأعلى في قوّتها المؤثرة في مشاعر الأمة وأحاسيسها، وبذلك كسب الإمام الجولة رغم كل الإفرازات السياسية المكثفة العاملة على إطفاء هذا الوهج المتلألئ.

---

(١) سورة الزمر/ الآية ٩.

(٢) ظ: الطبرسي/ الاحتجاج ٢/٢٥٩.

إذن كان لا بد للإمام علي الهادي(عليه السلام) في هذا الضوء أن يتدرّع بالحذر التام وهو يصعّد من هذا الانعطاف التأريخي في مسيرة جماعة أهل البيت نحو مفاهيم جديدة تنطلق بركاب الإمامة وتستمد منها بعداً تنظيمياً في الإعداد لمهمة أوسع، وليس بين يديه إلاّ هذا القدر من الصفوة الممتازة تلامذة وأصحاباً وأولياء، فلا يفرط فيهم من جهة، ولا يدع من جهة أخرى مجالاً للتساؤل والإثارة في صفوف الطغاة الذين يتربصون به وبأوليائه الدوائر، فلا أقلّ من تفويت الفرصة عليهم بكثير من الكتمان والسرّية لتحقيق الغرض وراء هذا التحرك الجديد.

وكانت المهمة الأساسية لذلك استباق الزمن في التمهيد للإمام المهدي المنتظر، ولادةً، وغيبةً دون ضجيج، فأحيط -كما يبدو- بزواج الإمام الحسن العسكري(عليه السلام) بكتمان شديد، لا يعلم به إلاّ عدد يسير من الموثوقين، وحتى النص على إمامة الحسن العسكري جرى بأساليب متعددة فيها شيء من الإبهام والتورية وعدم التصريح، بذكر الكنية تارة، وبالأكبر من ولدي تارة أخرى، وفيه إيهام واضح ففي حياة السيد محمد نجل الإمام الهادي كان هو الأكبر، وبعد وفاته كان العسكري، ولم يأتِ النص متكاملاً على إمامة العسكري إلا قرب وفاة الإمام الهادي.

فعن يحيى بن يسار القنبري، قال:

«أوصى أبو الحسن إلى ابنه الحسن قبل مضيّه بأربعة أشهر، وأشهدني على ذلك وجماعة من الموالي»[1].

وهذا لا يعني إخفاء إمامة ولده الحسن العسكري عن كل أحد، ولكنه بإزاء تخطيط مستقبلي أودع سرّه عند من أراد من أصحابه الثقات ليعلن فيما بعد كما في روايات أخر[2].

---

(١) الكليني/ الكافي ١/٣٢٥.

(٢) ظ: على سبيل المثال: الكليني/ الكافي ١/٣٢٥-٣٢٦، المسعودي/ إثبات الوصية/ ٢٠٨-٢٠٩.

وتتجلى مهمة هذا التمهيد في نص فريد للإمام(ع)، اشتمل على جوامع الكلم في الإقرار لأئمة أهل البيت(ع) بالمنزلة التي وضعهم الله فيها، كما سيأتي في وصف بعض أولايائهم لهم، وتعقيب الإمام الهادي على ذلك في النص على العسكري والمهدي من جهة، والإطراء لعقيدة السائل والمستفيد ذلكم من جهة أخرى.

فعن الشيخ الصدوق(قده)، قال:

حدثنا علي بن أحمد بن موسى الدقّاق، وعلي بن عبد الله الورّاق(رض)؛ قالا: حدثنا محمد بن هارون الصوفي، قال: حدثنا أبو تراب عبد الله بن موسى الروّياني، عن عبد العظيم بن عبد الله الحسني، قال: دخلت على سيدي علي بن محمد(ع)، فلما بصر بي، قال لي: مرحباً بك يا أبا القاسم أنت ولينا حقاً!!

قال: فقلت له: يا ابن رسول الله! إني أريد أن أعرض عليك ديني، فإن كان مرضيّاً ثبتُّ عليه حتى ألقى الله عزّ وجل.

قال: هات يا أبا القاسم، فقلت، إني أقول أن الله تبارك وتعالى واحد ليس كمثله شيء، خارج عن الحدّين حدّ الإبطال وحدّ التشبيه، وإنه ليس بجسم ولا صورة، ولا عرض ولا جوهر، بل هو مُجَسِّمُ الأجسام ومُصَوِّرُ الصور، وخالق الأعراض والجواهر، وربُّ كل شيء ومالكه وجاعله ومحدثه، وأن محمداً(ص) عبده ورسوله خاتم النبيين فلا نبي بعده إلى يوم القيامة، وإن شريعته خاتمة الشرائع فلا شريعة بعدها إلى يوم القيامة.

وأقول: إن الإمام والخليفة وولي الأمر بعده أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، ثم الحسن، ثم الحسين، ثم علي بن الحسين، ثم محمد بن علي، ثم جعفر بن محمد، ثم موسى بن جعفر، ثم علي بن موسى، ثم محمد بن علي، ثم أنتَ يا مولاي.

فقال(عليه السلام): ومن بعدي الحسن ابني، فكيف للناس بالخلف بعده؟ قال: قلت: وكيف ذلك يا مولاي؟

قال: لأنه لا يرى شخصه، ولا يحل ذكره باسمه، حتى يخرج فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً.

قال: فقلت: أقررت وأقول: إن وليهم ولي الله، وعدوهم عدو الله، وطاعتهم طاعة الله، ومعصيتهم معصية الله.

وأقول: إن المعراج حقّ، والمساءلة في القبر حقّ، وأن الجنة حقّ، والنار حقّ، والميزان حقّ و﴿**أَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لا رَيْبَ فِيها وَأَنَّ اللهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ**﴾[١].

وأقول: إن الفرائض الواجبة بعد الولاية: الصلاة والزكاة والصوم والحج والجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

فقال علي بن محمد(عليه السلام):

يا أبا القاسم هذا والله دين الله الذي ارتضاه لعباده، فاثبت عليه ثبتك الله بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة[٢].

وفي هذا البيان من الإمام اعتداد في الذروة بقيادة أئمة أهل البيت(عليهم السلام)، وإقرار كما أبداه السائل من مسائل اعتقادية محضة، وكان تعقيب الإمام التأمين عليها، وذكر ولده العسكري بالإمامة، وبالبشارة بالإمام المنتظر بما يناسب بلاغة التعبير عنه.

وهنا تلمس اقتراب الإمام من المهمة الأساسية في حديث لا يخلو من الإلماح للحجة(عليه السلام)، والتصريح بإمامة العسكري، بينما لم يحدده بنصوص أخرى إمعاناً بالكتمان، وتدريباً على مقتضيات الغيبة بالإشارة، فحينما كتب إليه جماعة من الشيعة يسألونه عن الإمام الآخر، كتب(عليه السلام):

---

(١) سورة الحج/ الآية ٧.

(٢) الشيخ الصدوق/ كمال الدين/ ٣٧٩.

«الأمر لي ما دمت حياً، فـإذا نزلـت مقـادير الله تبـارك وتعـالى أتـاكم الخلف مني. فأنى لكم بالخلف بعد الخلف؟؟»[1].

وقد يكون هذا من قبيل إثارة الأمر قبل وقوعه للالتزام به عند الوقـوع، وهو تدريب نفسي للمران على شؤون الغيبة فيما بعد.

* * *

(١) الطبرسي/ إعلام الورى ٢/٢٤٧.

نظام الوكلاء ضرورة قيادية للتخطيط المستقبلي

سبق للبحث أن أشار إلى عصر الطواغيت الذين مني الإمام بمعاصرتهم في مقرّ إقامته الجبرية في سامراء، وقد حفلت هذه الحقبة بتسارع الأحداث السياسية، ونشوب كثير من النزاعات الدموية، وتصاعد الانتفاضات الشعبية في الأقاليم، وتورط الجند بالبعوث في البلدان وعلى الحدود، وتمحور الاضطراب الداخلي بعاصمة النظام، وعزل القضاة وتولية آخرين، وقتل الوزراء والكتاب ومصادرة الأموال، واستبداد الأتراك في إدارة الدولة، واشتراك الغرباء في المؤامرات، وطغيان المتوكل وهدمه لقبر سيد الشهداء الإمام الحسين بن علي(عليه السلام)، وعدائه للطالبيين بخاصة ولشيعة أهل البيت بعامة، واستهتار المستعين بالدماء وتبذير المال العام، وملاهي المعتزّ وتلاعبه بمقدرات الأمة، وكل أولئك عوامل مؤثرة في اهتزاز مركز الخلافة وضعف سيطرتها، ونشوء طبقة حاكمة من قادة الجيش وزعماء الجند من غير العرب، وكان نفوذ هذه الطبقة الضخمة متصاعداً في تجاوز الحد الأقصى للصلاحيات بحيث كان الخليفة يعزل بأمرهم، أو يقتل، أو يخلع نفسه جراء التهديد، ويعين هؤلاء خلفاً له مسخراً بأهوائهم، وليس له من الأمر إلاّ الاسم؛ وقد يكون بعض هؤلاء المتسلطين أشد عداوة وأعظم ضراوة لخط أهل البيت من العباسيين أنفسهم، وهما معاً يجدان في هذا الخط مصدر الخطر الذي يقض مضاجعهم، ويتعارض مع مصالحهم،

ويرون فيه من القوة الشعبية ما يجلعهم بين حذر دائم وتوجّس قائم، سيما أن أتباع أهل البيت ينتشرون في أغلب أقاليم الدولة، ويرون في تواجدهم جبهة رافضة للظلم أو معارضة للحكم.

وفي هذا الضوء كانت هناك مهمتان رئيسيتان:

الأولى: مهمّة الدولة؛ وتعنى جاهدة بتفريق التجمّع حول قيادة أهل البيت، والعمل على عزل قواعدها الشعبية عن شؤون الدولة العامة في الانتساب أو التوظيف أو المشاركة في أدنى مجالات الحكم، وحصرهم في دائرة ضيقة من الإهمال المتعمّد، وإحاطتهم بالرقابة الصارمة التي تحول بينهم وبين أي نشاط يثير الشكوك، أو أيٍّ تفاعل اجتماعي يستفزّ السلطة، إضافة إلى حرمانهم من حقوقهم المشروعة.

الثانية: مهمّة الإمام، وتعنى هذه المهمّة بالأسلوب المتزن الواعي الذي انتهجه الإمام علي الهادي(عليه السلام) في مجاملة رموز الدولة، واتّباع سياسية اللين مع رجال البلاط العباسي، وهم لفيف كبير من قادة الجيش والوزراء والولاة والقضاة والحجّاب والكتّاب والحاشية، من دون أن يمسّ ذلك بالإطار العام لمنصب الإمامة، ومن دون أن يتسم تصرفه بممالأة السلطات، وكانت الغاية التي تكمن وراء هذا السلوك المرن تتمثل بالحفاظ على البقية الباقية من حملة لواء الإسلام من أتباعه وأوليائه المخلصين، وحمايتهم الفعلية من الاختطاف العشوائي والتصفية الجسدية قدر المستطاع.

وفي ظل هذه السياسة المتوازنة للإمام استطاع العمل على خلق جيل يقظ يتم التعامل معه بسرّية تامة، وأن يوجهه توجيهاً حركياً قائماً على أساس الرمزية في الخطاب حيناً، والتصريح بصورة سرّية حيناً آخر، ومعنى هذا أن الأمور تجري بينه وبين خلّص أصحابه بكتمان وحذر يصعب التسرّب إليه أو اختراق خطوطه السرّية.

وكان هذا السبيل معلماً قيادياً لدى الإمام في عدم إثارة السلطة من جهة، وفي السعي لإنقاذ أوليائه من براثن الخوف والاضطهاد ولو جزئياً من جهة أخرى، وبذلك تمّ له تدريب أصحابه على نحو خاص من التنظيم في المراجعة والالتقاء به وعدمه، وتلقي التعليمات بشكل وآخر، مما يعتبر نشاطاً اجتماعياً خفيّاً، أو هو بين بين، ولكن لا تعلق به الشبهات غالباً، وبذلك أعطى الإمام حلولاً جيدة لمشكلات شيعته فيما يمتلك أصحابه من مؤشرات رسمها لهم لتبليغ الإمامية في الجهات المختلفة من العالم الإسلامي، وكان هؤلاء الأصفياء وسطاءه في شتى الشؤون الإفتائية والمالية والعقائدية، فقد ألقى على كواهلهم أعباء جزء كبير من قيادة الأمة في ضوء تعليماته من خلال النظام الجديد -تبعاً لآبائه- في الدعوة والتنظيم وتنفيذ المهمات الصعبة بأمانة وإخلاص.

وكان لابتعاد هذه الصفوة عن المسرح السياسي أثره الفاعل في إسناد الأعمال الكبيرة إليهم، فالإمام -مثلاً- بوساطة هؤلاء يتسلم الأموال التي فرضها النظام الإسلامي حقوقاً شرعية، وهو يعطي من يشاء من ثقاته لتفقد أحوال الرعية، أو القيام بالمشاريع الضخمة على نحو من الهبات والعطايا التي لا تثير التساؤل والتي تفسر عادة بالإغراق في الكرم والسخاء لا أكثر ولا أقل، بينما التمحيص بهذا النوع من العطاء يكشف أن الإمام يمارس قيادته للأمة من خلال سدّ الاحتياجات العامة والضرورية عن هذا الطريق الذي لم تحسب السلطة له حساباً، فالإمام على سبيل المثال يأمر وكيله عثمان بن سعيد العمري أن يعطي لأحمد بن إسحاق الأشعري، وعلي بن جعفر، وله مثل أحدهم مبلغ تسعين ألف دينار[1] وهو مبلغ ضخم في حينه، ويغلب على الظن قوياً أن التكرم بمثل هذا المبلغ كان تسديداً

(١) ظ: ابن شهرآشوب/ المناقب ٥١٢/٣، المجلسي/ البحار ١٧٣/٥٠.

لحسابات ضرورية في عمق اجتماعي هو بحاجة إليه، وليس ذلك على المستوى الشخصي لسدّ دين أو قضاء حاجة إفرادية، وإنما كان لمصالح أكبر ومشاريع أعظم، فهي إذن نفقات بإزاء المصلحة العامة.

وقد كان الإمام دقيقاً في هذا الملحظ، فقد تصدر عنه النفقات العظيمة ولا يعلم تأويلها حتى خلّص أصحابه، وقد يستغربون عطاءً من هذا القبيل، وقد يسألون الإمام، فيمنعهم من التدخل في هذا الشأن!!

فقد حدث أبو جعفر العمري قال: حج أبو طاهر بن بلال فنظر إلى علي بن جعفر الهمّاني وهو ينفق النفقات العظيمة، فلمّا انصرف كتب بذلك إلى الإمام علي الهادي(ع)، فوقّع في رقعته قد كنّا أمرنا له بمائة ألف دينار، ثم أمرنا له بمثلها فأبى قبولها إبقاءً علينا، ما للناس والدخول في أمرنا فيما لم ندخلهم فيه.

قال: ودخل على أبي الحسن العسكري فأمر له بثلاثين ألف دينار[1].

ولا يمكن للنقد التأريخي لمثل هذه الأخبار أن يقف موقف المسلّم بها من دون تحليلها، فهذه المبالغ الجزيلة لا علاقة لها باحتياج الأفراد، فهي مرتبطة بالمناخ الاجتماعي العام.

وإذا تركنا هذا الجانب إلى سواه لرأينا مهمات الوكلاء في نظامهم تتجاوز هذه الحدود إلى التقاضي والتحاكم وتبليغ الأحكام الشرعية الفرعية وتوحيد الصف والعمل الدائب لنشر الدعوة وتحصين الأمة بالصبر والعلم والإيمان مما ستجده في موقعه من البحث.

* * *

(١) الكليني/ الكافي ١/ ٣٢٥.

أئمة أهل البيت(عليهم السلام) يمهدون لنظام الوكلاء

لم يكن نظام الوكلاء جديداً على حياة الإمام علي الهادي(عليه السلام)، وإن كان جديداً باستثماره بصورة جديّة وفاعلة من قبله، مضافاً إلى شموليته بحيث يتسع إلى قضايا مترامية الأهداف فقد بدأه آباؤه الأئمة المعصومون بشكل وآخر بحيث لم يكن مجهولاً تماماً، وكان ذلك منهم تمهيداً لإقراره متكاملاً في حقبة الأئمة الثلاثة تباعاً: الإمام علي الهادي وولده الإمام الحسن العسكري وولده المهدي المنتظر(عليه السلام).

لقد كانت عناية أمير المؤمنين الإمام علي(عليه السلام) متواجدة منذ عهد مبكر بثقاته من أصحابه، وإناطة ما يرى من الأعمال بهم، وإلقاء بعض المهمّات الخاصة على عواتقهم، بغية أن تتسع دائرة العمل، وتتوزع المسؤوليات بين أكبر عدد ممكن من الصفوة المختارة، وقد لا تبوح الوثائق التأريخية بنوعية هذه المهمات أو تفصيلاتها، مما يعني أن أغلبيتها كانت سرّية تتسم بطابع الكتمان.

فعن علي بن إبراهيم بسنده إلى أمير المؤمنين(عليه السلام) أنه دعا كاتبه عبد الله بن أبي رافع فقال: أدخل إليّ عشرة من ثقاتي.. فقال: سمّهم لي يا أمير المؤمنين؛ فقال: أدخل أصبغ بن نباتة، وأبا الطفيل عامر بن واثلة الكناني، وزرّ بن حبيش، وجويرية بن مسهر، وخندف بن زهير، وحارث بن مصرف، والحارث الأعور، وعلقمة بن قيس، وكميل بن زياد، وعمير بن زرارة[1].

---

(١) علي الكوراني/ المعجم الموضوعي لأحاديث الإمام المهدي/ ١٠٠٢ وانظر مصدره.

وعن الإمام الرضا(ع) من كتاب له إلى المأمون تبدو عبارات الثناء العاطر على طبقة من الصحابة المنتجبين الذين ساندوا أمير المؤمنين، ومضوا على منهاج نبيهم(ص) ولم يغيروا ولم يبدلوا، أمثال: سلمان الفارسي، وأبي ذرّ الغفاري، والمقداد بن الأسود، وعمّار بن ياسر، وحذيفة بن اليمان، وأبي الهيثم التيهان، وسهل بن حنيف، وعثمان، وأخويه، وعبادة بن الصامت، وأبي أيوب الأنصاري، وخزيمة بن ثابت ذي الشهادتين، وأبي سعيد الخذري، وأمثالهم رضي الله عنهم، والولاية لأتباعهم، والمهتدين بهدايتهم السالكين منهاجهم[١].

وتعداد أمثال هذه الطبقة في كلتا الروايتين يعني وثاقتهم المتكاملة، وإذا حصلت الوثاقة حصل الاطمئنان لانتدابهم من قبل الأئمة في أية مهمة رسالية، ومعنى هذا هو التمهيد عينه لهذا النظام الذي ألقى بأعبائه على كاهل الإمام الهادي(ع) ليكون أساساً فيما بعد لأخطر مرحلة في تأريخ الأمة، وهي الوكالة لصاحب الأمر(عج).

ونحن نجد الثناء في عهد الصادقين(ع) على طبقة كبيرة من المحمودين عندهم، الحاملين لأسرارهم، أمثال: حمران بن أعين، وأبي بصير، وهشام بن الحكم، والمفضّل بن عمر، والمعلّى بن خنيس، ومحمد بن مسلم. وأضرابهم فقد ذكر الحر العاملي(قده) أصحاب الإجماع وأصحاب الأصول، والجماعة الذين وثقتهم الأئمة، وأثنوا عليهم، وأمروا بالرجوع إليهم، والعمل بروايتهم، والذين عرفت عدالتهم بالتواتر، قال الكشي: أجمعت العصابة على تصديق هؤلاء الأولين من أصحاب أبي جعفر وأبي عبد الله(ع)، وانقادوا لهم بالفقه فقالوا:

---

(١) علي الكوراني/ المعجم الموضوعي لأحاديث الإمام المهدي/ ١٠٠٢ وانظر مصدره.

أفقه الأولين ستة: زرارة، ومعروف بن خربوذ، وبريد، وأبو بصير الأسدي، والفضيل بن يسار، ومحمد بن مسلم الطائفي، وأفقه الستة زرارة، ثم عدد طبقة ثانية دون أولئك الستة، وهم ستة نفرٍ أيضاً: جميل بن دراج، وعبد الله بن مسكان، وعبد الله بن بكير، وحمّاد بن عيسى، وحمّاد بن عثمان، وأبان بن عثمان، قالوا: وزعم أبو إسحاق الفقيه يعني: ثعلبة بن ميمون أن أفقه هؤلاء جميل بن درّاج[1].

وهم أحداث أصحاب أبي عبد الله(عليه السلام)، ومنهم من تولّى وكالة الأئمة في نقل الفتوى، وفي الشؤون العامة، كبدايات أولية ذات دلالة معنية لهذا المبدأ الجديد.

وقال الحر العاملي صريحاً: «وأمّا الجماعة الذين وثقتهم الأئمة(عليهم السلام) وأثنوا عليهم، وأمروا بالرجوع إليهم والعمل برواياتهم و(نصبوهم وكلاء) وجعلوهم مرجعاً للشيعة، فهم كثيرون، ونحن نذكر جملة منهم، وأكثرهم مذكور في كتاب الغيبة للشيخ الطوسي... فبعد ذكر السفراء الأربعة الذين سيأتي الحديث عنهم في موقعه من البحث، ذكر من أجلائهم طائفة كبيرة مثل: نصر بن قابوس، وعبد الرحمن بن الحجاج، وعبد الله بن جندب، وصفوان بن يحيى، ومحمد بن سنان، وزكريا بن آدم، وسعد بن سعد، وعبد العزيز المهتدي، وعلي بن مهزيار، وأيوب بن نوح، وعلي بن جعفر الهمّاني، وأبي علي بن راشد، وبني فضال وزرارة، وبريد العجلي، وأبي بصير ليث بن البختري، وأبي بصير الأسدني، ومحمد بن مسلم، والحارث بن المغيرة، وإبان بن ثعلب، وإبان بن عثمان، ويونس بن عبد الرحمن، وعلي بن حديد، ومحمد بن جعفر الأسدي، وأحمد بن إسحاق الأشعري، وإبراهيم بن محمد الهمّاني، وأحمد بن حمزة بن اليسع، وحاجز بن يزيد،

---

(١) الحرّ العاملي/ وسائل الشيعة ٢٠/ ٧٩.

ومحمد بن علي بن بلال، والعاصمي، ومحمد بن شاذان النيسابوري وأخوه الفضل والحارث المرزباني، وغيرهم»[١].

وهناك نصوص أخرى يتجلى بها ذكر الوكالة نصاً، فنصر بن قابوس اللخمي، روي أنه كان وكيلاً لأبي عبد الله الصادق عشرين سنة، ولم يُعلم أنه وكيل، وكان خيّراً فاضلاً[٢].

وهذا يعني أن هذا المنصب لا يُعطى جهاراً أحياناً، بل فيه إخفاء، فنصر هذا استمرت وكالته عشرين عاماً، ولا يُعلم أنه وكيل، والحفاظ على هذه السرّية له ثماره الإيجابية في الحرص على التحرك المنظّم.

وكان عبد الرحمن بن الحجاج وكيلاً لأبي عبد الله الصادق(عليه السلام) ومات في عصر الرضا(عليه السلام) على ولايته.

وكان عبد الله بن جندب اليحلي وكيلاً لأبي إبراهيم (موسى بن جعفر) وأبي الحسن الرضا(عليه السلام)، وكان عابداً رفيع المنزلة لديهما.

وقد روى أبو طالب القمي، قال: دخلت على أبي جعفر الثاني (الإمام الجواد)(عليه السلام) في آخر عمره فسمعته يقول: جزى الله صفوان بن يحيى، ومحمد بن سنان، وزكريا بن آدم، وسعد بن سعد عني خيراً فقد وفوا لي.

وهذا النص كاف فأمانتهم فيما حُمّلوا به من قبل الإمام محمد الجواد(عليه السلام)، ومن الوكلاء المحمودين: عبد العزيز بن المهتدي القمي الأشعري، وعلي بن مهزيار الأهوازي، وأيوب بن نوح بن دراج، وعلي بن جعفر، وأبو علي بن راشد وأضرابهم[٣].

وكان إبراهيم بن عبده النيسابوري وكيلاً عن الإمام علي الهادي، فقد كتب الإمام رسالة إلى إسحاق بن إسماعيل سلّم فيها على إبراهيم بن عبده،

---

(١) المصدر السابق نفسه ٢٠/٨٨.

(٢) الشيخ الطوسي/ الغيبة/ ٣٤٥.

(٣) ظ: المصدر السابق نفسه في أسماء هؤلاء الوكلاء/ ٣٤٥ وما بعدها.

ونصبه وكيلاً عنه في قبض الحقوق الشرعية، وقد بعثه إلى عبد الله بن حمدويه البيهقي، وزوّده برسالة جاء فيها:

«وبعد فقد بعثت لكم إبراهيم بن عبده، ليدفع النواحي، أهل ناحيتك حقوقي الواجبة عليكم إليه، وجعلته ثقتي وأميني عند موالي هناك، فليتقوا الله وليراقبوا وليؤديوا الحقوق، فليس لهم عند في ترك ذلك ولا تأخيره، ولا أشاقهم الله بعصيان أوليائه، ورحمهم الله -وإياك معهم- برحمتي لهم، إن الله واسع كريم»[١].

ويستنتج من هذه الرسالة ثلاثة مؤشرات:

الأول: بيان مكانة إبراهيم لدى الإمام بحيث جعله ثقته وأمينه.

الثاني: تشدد الإمام في دفع الحقوق الشرعية، فلا عذر لأوليائه بترك ذلك في الدنيا والآخرة، وأن الامتناع عن إعطائها يشكل معصية موبقة يكتب لهم مع ارتكابها الشقاء.

الثالث: تأكيده على منزلة الإمامة بالدعاء لهم أن يرحمهم الله برحمة الإمام لهم، وهذا منتهى التصريح بأسرار الإمامة.

ومن الوكلاء المعتمدين بعد الاختبار إبراهيم بن مهزيار، وهو من أصحاب الإمامين الجواد والهادي معاً، فقد روى الكشي عن ولده محمد قوله: «إن أبي لما حضرته الوفاة دفع إليّ مالاً، وأعطاني علامة، ولم يعلم بها أحد إلا الله عز وجل، وقال: من أتاك بهذه العلامة فادفع إليه المال، قال: فخرجت إلى بغداد ونزلت في خان، فلما كان في اليوم الثاني جاء شيخ فطرق الباب، فقلت للغلام، انظر من في الباب، فخرج ثم جاء وقال: شيخ في الباب، فأذنت له بالدخول، فقال: أنا العمري، هات المال الذي عندك وهو كذا وكذا، ومعه العلامة، فدفعت له المال»[٢].

---

(١) الخوئي/ معجم رجال الحديث ١/ ٢٣٢.

(٢) العلامة/ خلاصة الأقوال/ ٥٥.

وكانت هذه الوكالات لهؤلاء الأمناء هي الأساس العملي في بناء صـرح «نظام الوكلاء» في عصر الضغط السياسي، وهي السبيل إلى اختراق الأجواء المفعمة بالأرصاد لتحركات الإمام علي الهادي وهو يخطط لهـذا المـشروع تمهيداً لأحداث الغيبة وما يرافقها من انتداب السفراء الأربعة لنيابة صـاحب الأمر، وقد قرب ميعاد ميلاده!!

❊ ❊ ❊

الإمام الهادي يضطلع بتأصيل نظام الوكلاء

كانت الخلافة العباسية في أواخر النصف الأول من القرن الثالث الهجري قلقة الاستقرار لاقتراب موعد ميلاد الإمام المنتظر، فها هو الإمام العاشر علي الهادي لا يفصل بينه وبين القائم بالأمر إلا إمام واحد هو ولده الإمام الحسن العسكري، وها هو معه في سامراء، وينبغي أن يكون الحجة المنتظر من ولده العسكري لتكتمل عدة الاثني عشر إماماً. والعباسيون أعلم من غيرهم بصدق هذه الحقيقة التأريخية، فقد تابعوها من مصادرهم الأولى، وحذرهم أسلافهم من ذلك، وأخبر بها أكثر من واحد من خلفائهم، وتداول ذلك أبناؤهم، فعن الفضل بن شاذان بسند صحيح أن الإمام الحسن العسكري قد قال:

«وضع بنو أمية وبنو العباس سيوفهم علينا لعلتين:

إحداهما أنهم كانوا يعلمون أنه ليس لهم في الخلافة حقٌّ، فيخافون من ادعائنا إياها وتستقرّ في مركزها.

وثانيهما: أنهم قد وقفوا من الأخبار المتواترة على أن زوال ملك الجبابرة والظلمة على يد القائم منا، وكانوا لا يشكّون أنهم من الجبابرة والظلمة»[1].

وكانت الأرهاصات بميلاد الإمام المهدي(عج) والتحدث عن أزوف موعده يدور على ألسنة الناس، وكان للأئمة(عليهم السلام) قواعدهم الشعبية المنتشرة

(١) الحر العاملي/ إثبات الهداة ٣/ ٥٧٠.

في العالم الإسلامي. وهذه القواعد تعلم من أمر حجة آل محمد ما تعلم، والبشائر فيما بينهم قائمة، وقد أمعنت السلاطة في مناهضتهم قتلاً وسجناً وتعذيباً وتغريباً، وهي تنظر أن المحرر لهم هذا الوليد المرتقب، وذلك ما يشكّل الخطر المحدق بالنظام الحاكم.

ولم يكن الأئمة(ع) بمعزل عن هذا الزخم الجماهيري وهم يعيشون آماله وآلامه من قريب، إذ لا فواصل تحول بين أي إمام وبين شيعته، وهم يعلمون ما يكابد أتباعهم من الاضطهاد والقسوة وحلمات الإبادة الجماعية، فيهدّئون من روعهم، ويحاولون التخفيف من شدة الضغط عليهم بما يطمئنهم من عواقب الصبر، فأئمتهم نصيبهم الأوفى من تلك الممارسات سجناً وسماً وقتلاً، بما حفل به تأريخهم الحاكي لأشتات المآسي الإنسانية، وقد ثبتوا كالجبال الرواسي لا تزيلها العواصف.

وهنا نجد دور الإمام علي الهادي(ع) دوراً قيادياً بارزاً في تأصيل نظام الوكلاء باعتباره من الضروريات الملحّة التي تتطلّبها استمرارية العطاء الإمامي في بعث الحياة بين أوصال الأمة التي فرقتها ظواهر الإرهاب الدموي، وحملات الاعتقال السياسي، وإذ علمنا أن الإمام ذاته قد أحاطت به عصابة من أجهزة المخابرات العباسية تحصي عليه أنفاسه، علمنا مدى خطورة هذا المنطلق الكبير فيما ينبغي أن يسلكه الإمام لتذليل الصعوبات الحائمة حول تنفيذ هذا المشروع الضخم.

والإمام علي الهادي لم يكن يطمح إلى حكم، ولا يسعى إلى سلطان، بل ولا يمتلك أدنى مقومات العمل لذلك، فهو في حجر مستمر، وقد قضى شطراً من حياته مع المتوكل العباسي، وهو من أشدّ أعداء آل محمد، وكان يراقبه مراقبة تامة، ويريد الإيقاع به كيفما اتفق، وقد حدد نشاطه وألزمه الحضور في البلاط، فهو يجلس مجلسه، ويحضر في قصره، ويمشي في

موكبه، يركب إذا ركب، وينزل إذا نزل محاطاً بعيون السلطة، ولا مجال له في بيان الرأي بسياسة القوم، لا سيما أن الانحراف في مفردات الكيان السياسي يستوعب كل الممارسات البعيدة عن المناخ الإسلامي، وبدأ الاتجاه المعاكس للإسلام يفرض سيطرته من خلال القادة والوزراء والجيش والقضاة وبيدهم الحل والعقد، والخليفة من ورائهم.

والإمام في مسؤوليته الكبرى كان يرفض هذا النوع المنحدر من الحكم وينكره بحسب ظروفه الاجتماعية: لدى الثقات من أصحابه، أو المقربين من أتباعه، ويقف منه موقفاً سلبياً.

وكانت مهمة الإمام في تخفيف حدّة هذه المضاعفات أن استمر في خلق القيادات التبليغية لترسيخ ثوابت الدين الحنيف، ودعم مبدأ الوكالة القاضي باستمرارية مبدأ أهل البيت، هذا فضلاً عن مجابهته للباطل ما استطاع إلى ذلك سبيلاً، ومشاركته في النقد السياسي لكثير من تبعات الخلافة.

وكان انتشار التشيّع في أنحاء البلاد، والضغط على الإمام، وانفلات الأمر السياسي، والمجانبة لأحكام الإسلام، مبرراً استراتيجياً لتأصيل مبدأ الوكالة.

وكان هذا الاتجاه هو المتنفس الوحيد الذي استطاع الإمام استثماره لأداء الرسالة من دون التنازل أمام أية ضغوط طارئة، ومن دون أن تبوء عملية الدعاة لمبدأ أهل البيت بالانتكاس، وكان هذا التدبير من الإمام ناجحاً في خطين؛ الأول: الحيلولة دون تشتت أوليائه يميناً وشمالاً. الثاني: تهيأة الأذهان لتقبل مبدأ غيبة الإمام المنتظر في مستقبل الأيام. وكلا الخطين يدوران في فلك التخطيط المستقبلي بما يحقق قيام الحجة في الإبلاغ، وتحصين الأمة من الانحراف، والالتزام بمبدأ أهل البيت بالقيادة الاستمرارية للأمة.



وكلاء الإمام الهادي في ميدان العمل

وتسلّم منصب الوكالة عن الإمام الهادي كوكبة صالحة من أعيان ثقاته ممن عرفوا بالزهد والورع والتقوى، كان أبرزهم الثقة الأمين: أبو عمرو عثمان بن سعيد العمري، وقد باشر خدمة الإمام(ﷺ) وعمره أحد عشر عاماً، ثم كان وكيله المؤتمن، وأقرّه الإمام الحسن العسكري على الوكالة، بعد ذلك نهد بأمر صاحب الزمان سفارة: وكانت توقيعاته وجواب المسائل تخرج على يديه(١).

وكانت شخصيته متأنقة في حسن التأتي للأمور، ومتصفة بالإخبات لله تعالى والتواضع للناس.

وكان يتظاهر ببيع السمن، فسمي السمّان حيناً، والدّهان حيناً آخر، وكان عمله هذا من أجل التغطية والتعمية لوكالته عن الإمام، وتستراً على ما يقبض من الحقوق الشرعية ليوصلها إلى الإمام في زقاق السمن وأوانيه؛ فيتسلمها الإمام منه، أو يوجهه في مصرفها.

ويستظهر من النصوص التي تحدثت عنه أهمية الرجل في إخلاصه لعمله وكيلاً لثلاثة من أئمة أهل البيت، ومدى الثقة العليا التي أولاها له هؤلاء الأئمة(ﷺ). فقد أورد الشيخ الطوسي بسنده؛ قال:

---

(١) ظ: الطبرسي/ الاحتجاج ٢/ ٢٦١.

«حدثنا أحمد بن إسحاق بن سعد القمي، قال: دخلت على أبي الحسن علي بن محمد(عليه السلام) في يوم من الأيام، فقلت: أنا أغيب وأشهد، ولا يتهيأ لي الوصول إليك إذا شهدت في كل وقت، فقول مَنْ نقبل؟ وأمر من نمتثل؟ فقال لي صلوات الله عليه: هذا أبو عمرو الثقة الأمين، ما قاله فعني يقوله، وما أدّاه إليكم فعنّي يؤديه.

فلمّا مضى أبو الحسن(عليه السلام)، وصلت إلى أبي محمد ابنه الحسن العسكري(عليه السلام) ذات يوم، فقلت له(عليه السلام) مثل قولي لأبيه!! فقال لي: هذا أبو عمرو الثقة الأمين، ثقة الماضي وثقتي في المحيا والممات، فما قاله لكم فعني يقوله، وما أدّى إليكم فعنّي يؤديه.

قال أبو محمد هارون: قال أبو علي: قال أبو العباس الحميري: فكنّا كثيراً ما نتذاكر هذا القول، ونتواصف جلالة محل أبي عمرو»[١].

وهذان النصّان يكشفان عن القطع الجازم بالثقة بالرجل قولاً وعملاً، فلمّا مات الإمام الحسن العسكري «حضر غسله عثمان بن سعيد رضي الله عنه وأرضاه، وتولّى جميع أمره في تكفينه، وتحنيطه، وتقبيره، مأموراً بذلك، للظاهر من الحال التي لا يمكن جحدها ولا دفعها إلاّ بدفع حقائق الأشياء عن ظواهرها»[٢].

وكانت صلة عثمان بن سعيد بالإمام علي الهادي منذ عهد مبكر، وله إليه عهد معروف، وله إحدى عشرة سنة[٣].

وقد أورد سيدنا الأستاذ الخوئي قول مولانا الإمام العسكري فيه:

«فإنه الطاهر الأمين العفيف القريب منّا وإلينا، فكل ما يحمله إلينا من شيء من النواحي فإليه يصير آخر أمره، ليوصل ذلك إلينا، والحمد لله كثيراً».

---

(١) الطوسي/ الغيبة/ ٣٥٣ وما بعدها.

(٢) المصدر نفسه والصفحة نفسها.

(٣) المصدر نفسه/ ٣٨٩، الخوئي/ معجم رجال الحديث ١٢/ ١٢٢.

قال السيد الخوئي بعد ذكر ذلك «سند التوقيع قويٌّ، وفيه تصريح بجلالة العمري وعظمته فضلاً عن وثاقته»[١].

وهناك من الوكلاء من شهد له الإمام بالجنّة بين أصحابه، فعن عمرو بن سعيد المدائني -كان فطمياً- قال: كنت عند أبي الحسن العسكري(عليه السلام) بصرياً، إذ دخل أيّوب بن نوح بن درّاج، ووقف قدّامه فأمره بشيء ثم انصرف، والتفت إليّ أبو الحسن(عليه السلام) وقال: «يا عمرو إن أحببت أن تنظر إلى رجل من أهل الجنة، فانظر إلى هذا»[٢].

وكان ثقة الإمام ووكيله، وقد أمره الإمام بالتحرز والتكتم، والاستقلال بعمله، وأن لا يلتقي بسواه من الوكلاء، وكتب إليه هذه الرسالة:

«وأنا آمرك يا أيوب بن نوح أن تقطع الإكثار بينك وبين أبي علي (أبو علي بن راشد) وأن يلزم كل واحد منكما ما وكّل به، وأمر القيام فيه بأمر ناحيته. فإنكم إن انتهيتم إلى كل ما أمرتم به استغنيتم بذلك عن معاودتي، وأمرك يا أبا علي بمثل ما آمرك به يا أيوب، أن لا تقبل من أحدٍ من أهل بغداد والمدائن شيئاً يحملونه، ولا تلي لهم استيذاناً عليّ، ومرْ من أتاك بشيء من غير أهل ناحيتك أن يصيره إلى الموكّل بناحيته، وآمرك يا أبا علي بمثل ما أمرت به أيوب، وليقبل كل واحد منكما ما أمرته به»[٣].

وأنت ترى الإمام في هذه الرسالة ينظّم شؤون وكلائه، ويحدد مسؤولية كل منهم في ناحيته التي وكّل فيها، وأن لا يتجاوز حدود ذلك، وأن لا يتسلم شيئاً من غير أهل ناحيته، وهو يأمر أبا علي بن راشد بمثل ما أمر به أيوب بن نوح. وفي ذلك تخطيط احترازي دقيق.

---

(١) الخوئي/ معجم رجال الحديث ٧/ ١٥٤.
(٢) الطوسي/ الغيبة/ ٢٢٦.
(٣) الكشي/ الرجال/ ٤٣٣.

وكان الإمام علي الهادي(ع) قد أقام أبا علي بن راشد مقام (علي بن) الحسين بن عبد ربه، وذلك ما حدّث به محمد بن عيسى اليقطيني، قال: كتب(ع) (يعني الإمام علي الهادي) إلى علي بن بلال في سنة اثنين وثلاثين ومائتين:

«بسم الله الرحمن الرحيم

أحمد الله إليك، وأشكو طوله وعوده، وأصلي على محمد النبي وآله، صلوات الله ورحمته عليهم، ثم إني قد أقمت أبا علي مقام (علي بن) حسين بن عبد ربه، فأئتمنته على ذلك بالمعرفة بما عنده، الذي لا يقدمه أحد، وقد أعلم أنك شيخ ناحيتك، فأحببت إفرادك وإكرامك بالكتاب بذلك، فعليك بالطاعة له والتسليم إليه جميع الحق قبلك، وأن تخصّ موالي على ذلك، وتعرفهم من ذلك ما يصير سبباً إلى عونه وكفايته، فذلك توفير علينا، ومحبوب لدينا، ولك به جزاء من الله وأجر، فإن الله يعطي من يشاء أفضل الإعطاء والجزاء برحمته، أنت في وديعة الله.

وكتبته بخطي، وأحمد الله كثيراً»[١].

وفي هذا الكتاب لمحة من سياسة الإمام مع أوليائه، وتطييب لخواطرهم، وبيان لمقاماتهم، واعتناء بهم، فهو قد نصب أبا علي بن راشد وكيلاً عنه في بغداد والمدائن والسواد وما يليها، وكان علي بن بلال فيما يبدو من الكتاب شيخ تلك النواحي ورئيسها، فأفرده الإمام بالكتابة إليه، إكراماً لمقامه من جهة، وإلزاماً له بالطاعة من جهة أخرى، وأمره بدفع الأموال المستحقة للوكيل الجديد، وأوصاه بحضّ مواليه على عونه وكفايته من خلال تعريفه لهم، وفي ذلك الجزاء من الله تعالى.

---

(١) الكشي/ الرجال/ ٤٣٢.

وما اكتفى الإمام بذلك، بـل زوّد ابـن راشـد بكتـاب إلـى أهـل تلـك النواحي مؤكداً على وكالته، ومشيراً إلى وثاقته، ومبيّناً لمنزلته، وكانت نسخة الكتاب مع ابن راشد إلى تلك القصبات كالآتي:

«أحمد الله إليكم ما أنا عليه من عافية وحسن عائدته، وأصلي على نبيه وآله أفضل صلواته وأكمل رحمته ورأفته.

وإني أقمت أبا علي بن راشد مقام (علي بن) حسين بن عبد ربه، ومـن كان قبله من وكلائي، وصار في منزلته عندي، ووليته ما كان يتولاه غيره من وكلائي قبلكم، ليقبض حقي، وارتضيته لكم، وقدمته في ذلـك، وهـو أهلـه وموضعه. فصيروا رحمكم الله إلى الدفع إليه ذلك وإليّ، وأن لا تجعلـوا لـه على أنفسكم علة، فعليكم الخـروج عـن ذلـك، والتسرّع إلـى طاعـة الله، وتحليل أموالكم والحقـن لـدمائكم **﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلا تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللهَ...﴾**[1].

لعلكم ترحمون.. **﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعاً..﴾**[2].

﴿وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾[3].

فقد أوجبت في طاعته طاعتي، والخـروج إلـى عـصيانه الخـروج إلـى عصياني، فألزموا الطريق يأجركم الله ويزيدكم من فضله، فإن الله بمـا عنـده واسع عليم، متطوّل على عباده رحيم، نحن وأنتم في وديعة الله وحفظه.

وكتبته بخطي والحمد لله كثيراً»[4].

---

(١) سورة المائدة/ الآية ٢.

(٢) سورة آل عمران/ الآية ١٠٣.

(٣) سورة آل عمران/ الآية ١٠٢.

(٤) الكشي/ الرجال/ ٤٣٣.

«ومن الوكلاء المعروفين علي بن جعفر الهمّاني، وقد أثنى عليه الشيخ الطوسي، وقال عنه أنه: كان فاضلاً مرضيّاً من وكلاء أبي الحسن وأبي محمد(عليهما السلام)»[١].

وكان ينفق النفقات العظيمة من الحقوق والأموال في مشاريع الإمامين العامة، وعلى الضعفاء والمحرومين كما سبق ذكر ذلك.

وقد تكبد جملة من هؤلاء الوكلاء كثيراً من المآسي في سبيل إعلاء كلمة الله في الأرض، فقد روى محمد بن يعقوب رفعه إلى محمد بن فرج قال: كتبت إليه (يعني الإمام علي الهادي(ع)) أسأله عن أبي علي بن راشد، وعن عيسى بن جعفر، وعن ابن بند، وكتب إلي: «ذكرت ابن راشد رحمه الله، إنه عاش سعيداً ومات شهيداً»، ودعا لابن بند والعاصمي.

وابن بند ضرب بعمود وقتل.

وابن عاصم ضرب بالسياط على الجسر ثلاثمائة سوط، ورمي به في دجلة[٢].

ومن وكلائه جعفر بن سهيل الصيقل، وسوى هؤلاء ممن اقتضت ظروف التقية والكتمان والحرص على عدم إذاعة أسمائهم، وإلاّ فثقات الإمام كثيرون، ولعل قسماً منهم من وكلائه ولا نعلم ذلك. «ومن أصحابه: داود بن زيد، وأبو سليمان زنكان، والحسين بن محمد المدائني، وأحمد بن سليمان اليقطيني، وبشر بن بشار النيشابوري الشاذاني، وسليم بن جعفر المروزي، والفتح بن يزيد الجرجاني، ومحمد بن سعيد بن كلثوم وكان متكلماً، ومعاوية بن حكيم الكوفي، وعلي بن معبد البغدادي، وأبو الحسن ابن رجا العبرتائي»[٣]. وهؤلاء وأمثالهم من المحمودين هم حملة الإسلام

---

(١) ظ: الطوسي/ الغيبة/ ٢٢٦.

(٢) ظ: الكشي/ الرجال/ ٥٠٢، الطوسي/ الغيبة/ ٢٢٧.

(٣) ابن شهرآشوب/ المناقب ٤/٤٠٢.

المنقّى، ومحل ثقة الأئمة في التبليغ والأداء، وكانوا من الأدب والسمع والطاعة والامتثال والتنفيذ على مكان عظيم.

ومع هذا كلّه، فقد مرق من بين هؤلاء من ركن إلى الدنيا، وخان الأمانة، وفي مقدمتهم: فارس بن حاتم بن ماهويه الفزويني، وكان قلق الشخصية ضعيف اليقين، لم يحتمل أسرار آل محمد، ولم يطق السير على النهج الصحيح، حتى تبرأ الإمام منه، ودعا أصحابه إلى البراءة منه، والجدّ في لعنه وهتكه.

لقد روى عبد الله بن جعفر الحميري هذا المعنى، فقال:

«كتب أبو الحسن العسكري(عليه السلام) إلى علي بن عمرو القزويني بخطه: اعتقد فيما تدين الله به أن الباطل عندي حسب ما أظهرت لك فيمن استنبأت عنه، وهو فارس لعنه الله، فإنه ليس يسعك إلا الاجتهاد في لعنه، وقصده، ومعاداته، والمبالغة في ذلك بأكثر ما تجد السبيل إليه، ما كنت آمر أن يدان الله بأمرٍ غير صحيح، فجدّ وشدّ في لعنه وهتكه، وقطع أسبابه، وسدّ (صدّ) أصحابنا عنه، وإني سائلكم بين يدي الله عن هذا الأمر المؤكد، فويلٌ للعاصي وللجاحد.

وكتبت بخطي ليلة الثلاثا لتسع ليال من شهر ربيع الأول سنة خمسين ومائتين»[١].

وقد لعنه الإمام علي الهادي مع اثنين من الغلاة الذين افتروا الكذب على الإمام، فقد قال نصر بن الصباح:

«الحسن المعروف بابن بابا، ومحمد بن نصير النميري، وفارس بن حاتم القزويني، لعن هؤلاء الثلاثة علي بن محمد العسكري(عليه السلام)»[٢].

---

(١) الطوسي/ الغيبة/ ٢٢٨، المجلسي/ البحار ٥٠/٢٢٢.
(٢) ظ: الطوسي/ رجال الطوسي ٢/٨٠٥.

وهؤلاء طبقة ألحدت -والعياذ بالله- في دين الله، وانحرفت عن الخط المستقيم، وكان لهم أصحاب وأتباع ومؤيدون، وقد يساندهم المسؤولون في النظام الحاكم لقلب الموازين، واتخاذ ذلك ذريعة للطعن على الأئمة، والأئمة منهم براء، فقد حدث العبيدي قال: كتب إلي العسكري(ع) ابتداءً منه:

«أبرأ إلى الله من الفهري والحسن بن محمد بن بابا القمي، فابرأ منهما، فإني محذرك وجميع موالي، وإني ألعنهما عليهما لعنة الله، مستأكلين يأكلان بنا الناس، فتانين مؤذين آذاهم الله، وأركسهم في الفتنة ركساً، يزعم ابن بابا أني بعثته نبياً، وأنه باب!! عليه لعنة الله، سخر منه الشيطان فأغواه، فلعن الله من قَبِل منه ذلك.

يا محمد: إن قدرت أن تشدخ رأسه بالحجر فافعل، فإنه قد آذاني آذاه الله في الدنيا والآخرة»[١].

وكان محمد بن نصير النميري قد ادّعى أنه نبي رسول!! وأن علي بن محمد العسكري(ع) أرسله!!! وكان يقول بالتناسخ والغلو في أبي الحسن الإمام الهادي(ع)، ويقول فيه بالربوبية!!! ويقول بإباحة المحارم... وكان محمد بن موسى بن الفرات رئيس الوزراء يقوّي أسبابه ويعضده[٢].

وكافح الإمام الهادي أفكار هؤلاء، وأعلن البراءة منهم على رؤوس الأشهاد، وحذّر شيعته من الاغترار بهم، بل أمرهم بلعنهم، حتى بلغ به الحال أن دعا إلى قتل فارس بن حاتم القزويني، وقد ضمن لمن قتله الجنة، فقد قال: «هذا فارس يعمل... فتّاناً داعياً إلى البدعة ودمه هدر لكل من قتله، فمن هذا الذي يريحني منه ويقتله، وأنا ضامنٌ له على الله الجنة».

---

(١) الطوسي/ رجال الطوسي ٢/٨٠٦.

(٢) ظ: الخوئي/ معجم رجال الحديث ١٨/٣١٧، علي الكوراني/ الفهرست الموضوعي لأحاديث الإمام المهدي/ ١٠٥٨ وانظر مصدره.

فقتله أحد شيعة الإمام واسمه [أبو] الجنيد[١].

ويفصّل أبو الجنيد هذا الأمر فيقول:

«أمرني أبو الحسن العسكري بقتل فارس بن حاتم القزويني، فناولني دراهم وقال: اشترِ بها سلاحاً واعرضه عليَّ!! فذهبت واشتريت سيفاً فعرضته عليه، فقال: ردّ هذا وخذ غيره!! قال: فرددته وأخذت مكانه ساطوراً فعرضته عليه، فقال: هذا نعم.

فجئت إلى فارس، وقد خرج من المسجد بين الصلاتين المغرب والعشاء الآخرة، فضربته على رأسه فسقط ميتاً، ورميت الساطور، واجتمع الناس، فأُخذت إذ لم يوجد أحدٌ غيري، فلم يروا معي سلاحاً ولا سكيناً ولا أثر الساطور، ولم يروا بعد ذلك، فخلّيت»[٢].

وقد يعود سبب انحراف هؤلاء عن خط الإمام العام إلى عاملين، الأول: حب الظهور وإسدال هالة من التقديس للذات بحيث تعطى لدى بعضهم أهمية ما فوق العادة، فيشتغل ذلك المنصب الديني المحاط بالزهد والورع، فينحرف به إلى الجاه والتعالي والغلو والادعاء بما لم ينزل الله به سلطاناً، فتنقلب المهمّة في اتجاه معاكس، فيهبّ الإمام لإعلام شيعته بانحراف هذا النفر.

الثاني: الإغراء المالي، ويتمثل ذلك بالأموال الطائلة التي يحصل عليها بعض هؤلاء الوكلاء، والتي يجب أن تبعث للإمام، أو تصرف بتوجيهه في مصالح الأمة وتلبية الاحتياجات الملحّة.

فيعمد هذا النفر الضال إلى احتجان ذلك المال واقتطاعه نتيجة عدم الحريجة في الدين، فيلجأ هؤلاء إلى الابتعاد عن حوزة الإمام، ويحرّفون بالغلو والتناسخ والأباطيل حباً للعاجلة.

---

(١) ظ: العلامة الحلي/ خلاصة الأقوال ٧/ ٢٨٧.

(٢) ابن شهرآشوب/ المناقب ٤/ ٤١٧، المجلسي/ بحار الأنوار ٥٠/ ٢٠٥.

علماً بأن الإمام علي الهادي(ع) كان شديداً على الغلاة والمتطرفين، وشقّ عليهم حملة ضارية فيما بين أوليائه، وأمرهم أن يبلّغوا عن انحرافهم، وبطلان ما يدعونه من الأقاويل التي ينسبونها للأئمة زوراً وبهتاناً، فعن أحمد بن محمد بن عيسى، قال: كتبت إلى الإمام الهادي(ع) في قوم يتكلمون ويقرأون أحاديث ينسبونها إليك وإلى آبائك، فيها ما تشمئز منه القلوب... وأشياء من الفرائض والسنن والمعاصي تأولوها... فإن رأيت أن تبين لنا، وأن تمنّ على مواليك بما فيه سلامتهم ونجاتهم من هذه الأقاويل التي تصيرهم إلى العطب والهلاك!! فما تقول في القبول منهم جميعاً؟

فكتب الإمام علي الهادي(ع): «ليس هذا ديننا فاعتزله»[(١)].

وكما حذّر الإمام من هذه الفتن، فقد حذّر شيعته من المحن أيضاً، وعم ذلك على شيعته، فقد سخّر العباسيون أبواقهم بامتحان الأمة في مسألة خلق القرآن، فما كان من الإمام(ع) إلاّ أن شجب الحديث بهذا الأمر على طريق ثقاته ووكلائه، لأنه من أحابيل السياسة العباسية التي لم يرد فيها إلا ضرب المسلمين بعضهم ببعض، وخلق مناخ مضطرب تصفو به للحاكمين الأمور.

فقد روى محمد بن عيسى بن عبيد اليقطيني، قال:

كتب علي بن محمد بن علي بن موسى الرضا(ع) إلى بعض شيعته ببغداد:

بسم الله الرحمن الرحيم

«عصمنا الله وإياك من الفتنة، فإن يفعل فأعظم بها نعمة، وإلاّ يفعل فهي الهلكة.

نحن نرى أن الجدال في القرآن بدعة اشترك فيها السائل والمجيب، فتعاطى السائل ما ليس له، وتكلّف المجيب ما ليس عليه، وليس الخالق إلاّ

---

(١) الكشي/ الرجال/ ٥١٧.

الله وما سواه مخلوق، والقرآن كلام الله لا تجعل له اسماً من عندك فتكون من الضالين. جعلنا الله وإياك من الذين يخشون ربهم بالغيب وهم من الساعة مشفقون»[١].

واصطرع الناس في هذه المحنة، وسلم أتباع أهل البيت منها بفضل توجيه الإمام(عليه السلام) لوكلائه.

وينبغي -ونحن على أبواب ختام هذا المبحث- أن نشير بأن الإمام علي الهادي قد أوضح فلسفة «نظام الوكلاء» في تأسيسه والغاية منه تمهيداً لعصر الغيبة، فقال في هذا الصدد:

«لولا من يبقى بعد غيبة قائمكم عليه الصلاة والسلام من العلماء الداعين إليه، والدالّين عليه، والذّابين عن دينه بحجج الله، والمنقذين لضعفاء عباد الله من شباك إبليس ومردته، ومن فخاخ النواصب، لما بقي أحدٌ إلاّ ارتدّ عن دين الله، ولكنّهم الذين يمسكون أزمة قلوب ضعفاء الشيعة كما يمسك أصحاب السفينة سكّانها، أولئك هم الأفضلون عند الله عز وجل»[٢].

ومن هنا يتضح الدور الرائد لنظام الوكلاء للتمهيد التخطيطي لعصر الغيبة، والذي انبثق وفي عرضه نظام السفراء الأربعة للحجة المنتظر عجل الله فرجه وبقية وكلائه، والذي أدّى بدوره إلى توافر أعداد العلماء والفقهاء للإمامية، والذي انفرجت ظاهرة قيام «نظام المرجعية» بوصية من صاحب الأمر(عليه السلام)، بما صدر عنه من التوقيع الرفيع لدى بداية الغيبة الكبرى، فقال(عليه السلام): «وأما الحوادث الواقعة فارجعوا فيها إلى رواة أحاديثنا، فإنهم حجتي عليكم، وأنا حجة الله عليهم»[٣].

---

(١) الشيخ الصدوق/ الأمالي/ ٤٨٩.

(٢) الطبرسي/ الاحتجاج/ ١٨، التفسير المنسوب للإمام العسكري/ ٣٤٤.

(٣) الكليني/ الكافي ٣/٥٥.

فبقوله(ع) «فارجعوا» نشأ مبدأ المرجعية عند الإمامية، اشتقاقاً من اللفظ، فكان الفقهاء حجة الإمام على الناس، وكان الإمام حجة الله على الفقهاء، وبذلك كتبت الاستمرارية المطردة لمبدأ أهل البيت(ع) في كل زمان ومكان لتوافر هذا المنصب في كل العصور حتى اليوم وإلى قيام صاحب الزمان(ع)، لأنه يحظى بتسديد الإمام من الزلل والخطل، ولهذا فلا يمكن -بحسب التجربة- على الإطلاق فرض مرجعية أي أحد ليس بأهل للمرجعية، فقد صان الله تعالى ذلك إتماماً لحجته على العباد، والتأريخ المرجعي خير شاهد على ذلك.

❊ ❊ ❊

الفصل الخامس

حياةُ الإمام علي الهادي (عليه السلام) العلمية

١. مصادر علم الإمام علي الهادي.

٢. ظاهرة اللمح الغيبي في علم الإمام.

٣. سيرورة علم الإمام رغم عقبات الطريق.

٤. قبساتٌ من القرآن العظيم.

٥. لقطات من فتاوى الإمام الهادي.



مصادر علم الإمام علي الهادي

في نصٍّ فريد قال الإمام علي بن محمد الهادي(عليه السلام):

«حدثني أبي محمد بن علي.

قال: حدثني أبي علي بن موسى.

قال: حدثني أبي موسى بن جعفر.

قال: حدثني أبي جعفر بن محمد.

قال: حدثني أبي محمد بن علي.

قال: حدثني أبي علي بن الحسين.

قال: حدثني أبي الحسين بن علي.

قال: حدثني أبي علي بن أبي طالب(عليه السلام).

قال: قال لي رسول الله(صلى الله عليه وآله):

يا علي اكتب، فقلتُ: ما أكتب؟ فقال: اكتب؛ بسم الله الرحن الرحيم، الإيمان ما وقر في القلوب وصدقته الأعمال. والإسلام: ما جرى على اللسان، وحلّت به المناكحة.

قال أبو دعامة: فقلت يا ابن رسول الله ما أدري أيهما أحسن؟ الحديثُ أم الإسناد؟

فقال: **إنها لصحيفة بخط علي بن أبي طالب(ع) وإملاء رسول الله، نتوارثها صاغراً عن كابر»**[1].

هذا النصُّ يشير أن الطريق الطبيعي لمصادر علم الإمام هو الرواية المتصلة بآبائه(ع) إلى جده رسول الله(ص)، وهو ما يفسر لنا كون الإمام لم يتناول العلم عن أساتيذ وشيوخ ورواة ومحدثين كما هو الأمر المطّرد في سنن التعلم والتعليم. وهذا العلم قد يتلقاه الإمام عن طريق هذه الصحيفة التي أشار إليها الإمام، وهي بخطِّ أمير المؤمنين(ع) وإملاء رسول الله(ص)، وهي من نفائس المدّخرات والكنوز الثمينة كما أثبتنا ذلك في مباحثنا السابقة بموسوعة أهل البيت الحضارية، وقد يكون ذلك عن طريق الرواية عن الآباء والأجداد حتى ينتهي إسناد ذلك إلى رسول الله(ص)، كما حدث هذا في نص حديث الإمام الهادي إلى الواثق العباسي لدى التقائه به، فقد أوضح له طريق ذلك في الإسناد بقوله:

«إن أبي حدثني عن جدي عن أبيه عن جده»[2].

وهنا يتجلى بوضوح مصدر علم الإمام الكسبي الموروث عن طريق ما هو مكتوب، أو ما هو مرويٌّ، عن آبائه متسلسلاً عن رسول الله(ص).

ومن تهيأ له هذا المصدر العظيم كان في غنىً عن المدارسة والمباحثة مع الشيوخ والأساتيذ، وفي مثل هذا الأنموذج الرائع يكون هؤلاء الأساتيذ جميعاً عيالاً عليه في التعلم منه والاستناد عليه. يقول الأستاذ باقر شريف القرشي دام علاه:

«وشرح الله صدر الإمام الهادي للعلم، وأوسع قلبه للمعارف، فقد تفتحت له أسرار الحقائق وغوامض الأمور بغير طلب أو جهد... وقد تسالم

---

(١) المسعودي/ مروج الذهب ١١٤/٤، المجلسي/ البحار ٢٠٨/٥٠ وانظر مصادره.

(٢) الخطيب البغدادي/ تاريخ بغداد ٥٦/١٢.

العلماء والفقهاء على الرجوع إلى رأيه المشرّف في المسائل المعقّدة والغامضة في أحكام الشريعة الإسلامية»[١].

وكان من أمارات هذا الملحظ توسع الإمام علي الهادي(ع) منذ صباه المبكّر حتى شبابه المزدهر في تأصيل المبادئ الأساسية -تبعاً لآبائه(ع)- في التوحيد، والتفسير، وعلوم القرآن، والحديث الشريف، والفقه، والكلام، والفلسفة، والسلوك، والرياضة، والعرفان، وحياة العقل بعامة، حتى أشير إليه بالبنان، وكان ملتقى العلماء والمفكرين في عصره بالرواية والمشافهة والحوار والمناظرة والإيضاح.

يقول الأستاذ محمد حسن آل ياسين طاب ثراه:

«فقد تعلم العلم على يدي أبيه محمد الجواد -وهو البحر المعترف له بالغزارة وعمق الغور- وتخرّج عليه وأسند عنه الحديث، فاستغنى بهذا المنهل العذب الفرات عن الحضور في حلقات علماء السلطة وقضاة دار الخلافة في عصره، مكتفياً عن جميع هؤلاء بأسانيده الزاهية المتلألئة الحلقات بدءاً بأبيه العظيم وانتهاءً بجده الأعلى أمير المؤمنين(ع)، وحسبها في دنيا الأسانيد عظمةً وثقلاً، وشأناً وشموخاً»[٢].

وينبغي أن نشير أن مصدر العلم التكسبي عند الإمام علي الهادي(ع) لا يختلف عمن سبقه من أئمة أهل البيت(ع)، وهذا المصدر إمّا أن يكون استنباطاً من الكتاب فهم أهله وهم عدل القرآن، وإمّا أن يكون من السنّة النبوية وهم ورثتها روايةً ومشافهةً وتدويناً.

---

(١) باقر شريف القرشي/ حياة الإمام علي الهادي/ ٦٥.

(٢) محمد حسن آل ياسين/ الإمام علي بن محمد الهادي/ ٧٤.

وهذا يعني أن هذا الأصل من العلم له موردان رئيسيان هما الكتاب والسنة، فهو علم يتدارسه الإمام في ظل السابقين له من الأئمة(ع) في سلسلة تتصل برسول الله(ص).

ومن هنا فقد كان الإمام أحمد بن حنبل (ت٢٤١هـ) زعيم الحنابلة شديد الإعجاب بما يرويه عن الإمام موسى بن جعفر، فيقول: «حدثني موسى بن جعفر، قال: حدثني أبي جعفر بن محمد، قال: حدثني أبي محمد بن علي، قال: حدثني أبي علي بن الحسين، قال: حدثني أبي الحسين بن علي، قال: حدثني أبي علي بن أبي طالب، قال حدثني رسول الله(ص)».

ثم قال أحمد بن حنبل بعد إيراد هذه الرواية بهذا السند بالحرف الواحد: «هذا إسنادٌ لو قرئ على المجنون لأفاق»[(١)].

فإذا تجاوزنا هذا المصدر إلى المصدر الموهبي الذي أتيح للإمام علي الهادي رأينا مصدراً مشرقاً من جنس آخر، خص الله به المعصومين إفاضةً وإلهاماً، وبطرق أخرى غير خاضعة للمقياس البشري.

وكنّا قد فصّلنا القول في هذا المورد بفصل خاص من كتابنا عن الإمام الصادق(ع)[(٢)].

ولمّا كانت رسالة السماء عالمية الدلالة، إنسانية العطاء، وكانت الإمامة امتداداً طبيعياً للنبوة، كان لا بد لهذه الرسالة أن تتخطى البعد الإقليمي إلى عالم الكون بما يقتضي هذا التوسع من استيعاب وشمولية، وكان ميدان هذا التجاوز في الآفاق أن يتوّج العلم المعرفي العام والخاص بإمدادات غيبية لدنيّة تضاف إلى التعليم التقليدي في الكسب والمدارسة وتتجه إلى مناخ

---

(١) ابن شهرآشوب/ المناقب ٣/٤٣١-٤٣٢.

(٢) ظ: المؤلف/ الإمام جعفر الصادق/ زعيم مدرسة أهل البيت/ الباب الثاني/ الفصل الأول/ موارد علم الإمام الصادق.

جديد، يتعدى وسائل الأطاريح البشرية المعروفة في التعليم إلى آفاق غير طبيعية ذات بعد فريد لا يُحتاج معه إلى آليّة تعليمية فيما يتعاطاه العلماء عادة.

وهذه حقيقة واقعة مما آتاه الله تعالى عباده المُخلَصين.

وليس هذا بدعاً من القول، بل هو نابع من خلال قوله تعالى -فيما اقتصّ من خبر موسى بن عمران(عليه السلام) مع العالم الذي يعرف بالخضر-: **﴿فَوَجَدا عَبْداً مِنْ عِبادِنا آتَيْناهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنا وَعَلَّمْناهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْماً﴾**[1]. فهو علم لَدنيٌّ يهبه الله لمن يشاء من عباده الصديقين، وكان أئمة أَهل البيت(عليهم السلام) من أبرز مصاديق هؤلاء العباد في الحسّ والتجربة وشواهد الأحوال، وفي شتى المجالات.

والإمامية لا تستكثر إمداد العلم الموهبي لأئمة أهل البيت، ويشاركهم في هذا ذوو النظر العقلي في الإسلام، وأدلته متوافرة. قال الإمام جعفر بن محمد الصادق(عليه السلام) لعبد الله النجاشي:

«والله إن فينا من ينكث في قلبه، وينقر في أذنه، وتصافحه الملائكة». فقلت: اليوم، أو كان قبل اليوم؟

فقال الإمام: **«اليوم والله يا ابن النجاشي»**[2].

وهذا ما يفسر لنا قول الإمام موسى بن جعفر(عليه السلام):

«مبلغ علمنا على ثلاثة وجوه: ماضٍ، وغابرٌ، وحادثٌ، فأما الماضي فمغس، وأما الغابر فمزبور، وأما الحادث فقذف في القلوب ونقر في الأسماع»[3].

(١) سورة الكهف/ الآية ٦٥.
(٢) الأربلّي/ كشف الغمة ٢/٤١٦.
(٣) الكليني/ الكافي ١/٢٦٤.

وهذا النوع هو الذي سيّره الإمام علي الهادي(ع) في إنباءاته الغيبية التي أخبر بها مما ستراه.

وليس ذلك من العلم الغيبي المختصّ بالله تعالى، بل هو من العلم بالغيب إفاضةً أو إخباراً، لا مطلق علم الغيب بحد ذاته مما يتفرد به الله وحده، وإنما هو من ذلك الباب الذي يخصّ به الله من يشاء من رسله وأصفيائه بالنظر في قوله تعالى:

﴿عالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلى غَيْبِهِ أَحَداً * إلاَّ مَنِ ارْتَضى مِنْ رَسُولٍ..﴾[(١)]. ولا شك أن رسول الله(ص) في طليعة من ارتضاه الله عز وجل، ولا مانع أن يفيض رسول الله ببعض الغيب على أمير المؤمنين(ع)، وأن يحدّث أمير المؤمنين به أبناءه ممن عاصروه من المعصومين، وأن يتحدثوا هم لأبنائهم متسلسلاً.

وليس هذا العلم من قبيل الوحي، ولكنه يتأتى بوسائط عدا الأنباء والأخبار المسبق، فالقذف في القلوب، والنقر في الأسماع، والإلهام اليقيني الخالص.. كل أولئك من مفردات هذا العلم فيما يبدو.

فعن علي بن يقطين، قال: قلت لأبي الحسن موسى(ع):

«علم عالِمكم؛ سماعٌ أم إلهام؟

فقال: قد يكون سماعاً، ويكون إلهاماً، ويكونان معاً»[(٢)].

وقد سئل الإمام الصادق(ع) عن الإمام: يعلم الغيب؟ فقال: «لا، ولكن إذا أراد أن يعلم الشيء، أعلمه الله»[(٣)].

وهذا الطرح الموضوعي من قبل الأئمة(ع) يوحي بصريح القول: أن علم الغيب خاصة إلهيّة، ولكن الله تعالى قد يفيض من هذا الرافد على

---

(١) سورة الجنّ/ الآيات من ٢٦-٢٧.

(٢) المفيد/ الاختصاص/ ٢٨٦.

(٣) الكليني/ الكافي ١/ ٢٥٣.

رسوله(ﷺ)، ورسول الله(ﷺ) يفيض على أهل بيته، وأهل بيته قد يتحدثون بجزء منه بضرس قاطع، فينبئون عن الحدث المستقبلي بلغة الحتم، وهذا ما تؤكده شواهد العيان(١).

وقد كان أمير المؤمنين الإمام علي(عليه السلام) دقيقاً للغاية في الرّد على من نسب إليه علم الغيب، فقال(عليه السلام):

«ليس هو بعلم غيب، وإنما هو تعلّمٌ من ذي علم، وإنما علم الغيب علم الساعة، وما عدده الله بقوله: **﴿إِنَّ اللهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ ما فِي الأَرْحامِ وَما تَدْرِي نَفْسٌ ماذا تَكْسِبُ غَداً وَما تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾**(٢).

وما سوى ذلك فعلم علمه الله نبيه فعلمنيه، ودعا لي أن يعيه صدري، وتضطمّ عليه جوانحي»(٣).

وأمير المؤمنين(عليه السلام) بهذا العرض البليغ قد كشف حقيقة الأمر، وأبطل كثيراً من الشبهات العالقة بأذهان جمهرة من الساذجين أو المعاندين، ووضع الحق في نصابه بما لا يقبل التأويل أو التعليل أو الجدل، فهو واضح الدلالة.

وهذه الحقيقة هي التي أثارت هلع الطغاة وهواجس الحاكمين، فهم يخشون ما خبأ لهم الغيب، ويتحسسون من علم الأئمة وهم يحيطون بمستقبل أيامهم، وقد يتحدثون بشيء من مصائرهم!!

روى أبو القاسم البغدادي عن زرافة، قال: «أراد المتوكل أن يمشي علي بن محمد بن الرضا(عليه السلام) يوم السلام، فقال له وزيره:

---

(١) ظ: المؤلف/ الإمام موسى بن جعفر/ ضحية الإرهاب السياسي/ ٦١.

(٢) سورة لقمان/ الآية ٣٤.

(٣) محمد عبده/ شرح نهج البلاغة للإمام علي/ ٢٣٩/ طبعة دار الأندلس/ بيروت.

إن في هذا شناعة عليك وسوء قالة فلا تفعل؛ قال: لا بد من هذا.

قال: فإن لم يكن بدٌّ من هذا فتقدم بأن يمشي القوّاد والأشراف كلهم حتى لا يظن الناس أنك قصدته بهذا من دون غيره!! ففعل ومشى(ع)، وكان الصيف فوافى الدهليز، وقد عرق.

قال الوزير: فلقيته (يعني الإمام) ومسحت وجهه بمنديل وقلت: ابن عمّك لم يقصدك بهذا من دون غيرك!! فلا تجد عليه في قلبك.

فقال الإمام: إيهاً عنك: ﴿**تَمَتَّعُوا فِي دارِكُمْ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ ذلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ**﴾[1].

قال زرافة: وكان عندي معلّم -لولدي- يتشيّع، وكنت كثيراً ما أمازحه بالرافضي، فانصرفت إلى منزلي وقت العشاء، وقلت: تعال يا رافضي!! حتى أحدثك بشيء سمعته اليوم من إمامكم!! قال لي: وما سمعته؟ فأخبرته بما قال!!

فقال: أقول لك فاقبل نصيحتي، قلت: هاتها، قال: إن كان علي بن محمد قال ما قلت، فاحترز واخزن كل ما تملكه، فإن المتوكل يموت أو يقتل بعد ثلاثة أيام!!

فغضبت عليه، وشتمته، وطردته من بين يدي، فخرج فلمّا خلوت بنفسي، تفكّرت وقلت: ما يضرني أن آخذ بالحزم؟ فإن كان من هذا شيء فقد أخذت بالحزم، وإن لم يكن لم يضرني ذلك!!

قال: فركبت إلى دار المتوكل فأخرجت ما كان لي فيها، وفرّقت كل ما كان في داري إليّ عند أقوام أثق بهم، ولم أترك في داري إلاّ حصيراً أقعد عليه!!

---

(١) سورة هود/ الآية ٦٥.

فلمّا كانت الليلة الرابعة قتل المتوكل، وسلمت أنا ومالي، وتشيّعت عند ذلك، فصرت إليه، ولزمت خدمته، وسألته أن يدعو لي، وتواليته حقّ الولاية..»[١].

ولما كان هذا الباب مستطيلاً في نظائره، فقد لمسنا فيه إمداداً معرفياً جديداً نهد به الإمام علي الهادي في استقرار الغيب لأسباب موضوعية تؤكد إلقاء الحجة، وتدعو إلى هداية البشر، تحرص على إقامة صرح الدين، ومن هنا يتجلى فضل الإمام.

ولئلا يقع الناس في الغلو والالتباس، فقد خاطب الإمام أولياءه وأصحابه بحقيقة هذا النوع من العلم ليكونوا على بصيرة من أمرهم؛ قال(عليه السلام):

«إن الله لم يظهر على غيبه أحداً إلا من ارتضى من رسول... وكل ما اطلع عليه الرسول فقد اطلع أوصياؤه عليه، لئلا تخلو أرضه من حجة يكون معه علم يدلّ على صدق مقالته.. عسى الشيطان أراد اللبس عليك فأوهمك... حتى إذا أراد إزالتك عن طريق الله وصراطه المستقيم، فقلت: هم أرباب!! معاذ الله، إنهم مخلوقون مربوبون مطيعون لله داخرون راغبون، فإذا جاء الشيطان من قبل ما جاءك، فاقمعه بما أنبأتك به»[٢].

هذا ما دعانا إلى إفاضة الحديث في هذا الملحظ لبيان أصله وأسبابه ودواعيه وعائديته، وذكر الحكمة من الإشارة إلى الأحداث المتوقعة، بل الواقعة بشكل حتمي.

وسينهد المبحث الآتي بتناول أبعاد هذا الموضوع بين النظرية والتطبيق.

* * *

---

(١) ظ: المجلسي/ بحار الأنوار ٥٠/ ١٤٧-١٤٨.

(٢) المسعودي/ إثبات الوصية/ ١٩٧، الأربلي/ كشف الغمة ٣/ ١٨٠-١٨١، المجلسي/ بحار الأنوار ٥٠/ ١٧٩.



ظاهرة اللمح الغيبي في علم الإمام (عليه السلام)

وكلما اقترب أجل الظاهرة المهدوية من الحدوث، كلّما رأينا الأئمة (عليهم السلام) يشرون إلى الأحداث المترقبة والوقائع المستقبلية بنوع من اللمح الغيبي، تثبيتاً للقلوب، وإلزاماً بالحجة، وتطميناً لنفوس أوليائهم، بأن ما سيحدث من أمر الإمام المهدي (عليه السلام) هو حقيقة تأريخية واقعة بالدليل الحسّي غير قابلة للشك.

وقد سبق لنا في عمل مستقل عن الإمام محمد الجواد (عليه السلام) باستقراء تمرسه بالانتماء الغيبي في أسرار ودلائل وخفايا عدة أماط عنها اللثام بلغة اليقين، وكان كل أولئك من علائم إمامته، ودواعي حجته، وترصين ولايته.

وما قيل هناك يقال هنا في معاييره التي خرقت قوانين الطبيعة، وتحدّت مقاييس الكون، وهي جميعاً من ذلك الباب الذي علّمه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لأمير المؤمنين من العلم، ففتح له من كل باب ألف باب من العلم، فأضطمت عليه جوانحه، فأفاض به على بنيه من الأئمة المعصومين، وكان مصدر ذلك الإمداد هو ما عبّر عنه الإمام بقوله: «**إنها لصحيفة بخط علي بن أبي طالب (عليه السلام) وإملاء رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) نتوارثها صاغراً عن كابر**»[(١)].

وبهذا يتضح لنا مورد هذا العلم من ينابيعه الأولى التي هي أمالي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وتدوين علي أمير المؤمنين (عليه السلام).

---

(١) المسعودي/ مروج الذهب ٤/ ١١٤.

«ومن البداهة بمكان أن من تهيأت له هذه الأمالي الغالية المحتوى، لا يحتاج إلى تلقّف ما يتداوله الناس في رواياتهم وأسانيدهم المعرضة للوهم والسهو وأخطاء الزيادة والنقصان، بفعل تعدد النقلة، وطوارئ النسيان»[1].

وإذا أخذنا هذا الملحظ بنظر الاعتبار، فلا سبيل للعجب من تلك الإفاضات التي جاءت مأثورة عن الإمام علي الهادي(عليه السلام)، فأذهلت علماء عصره، وجمعت له أشتات شيعته.

والإمام يترصد فرصة التحدّث بالمظهر الغيبي حينما تترتب على ذلك إفادة موضوعية قد يُنقذ فيها من الضلال، وقد يظهر بها فضل القول في استقراء الغيب المجهول لما تقتضيه المصلحة الدينية العليا، وقد يبدو بعضها ليس ذا بال، وهو في نظر الواقع ذو هدف يراد، فقد مرّ «بغا» أحد قوّاد المتوكل في تعبئة عسكرية، فقال الإمام لمن حوله من الرجال والأعلام والمرافقين.

:اخرجوا بنا حتى ننظر إلى تعبية هذا التركي!!

يقول الراوي: فخرجنا فوقفنا، فمرّت بنا تعبيته، فمرّ بنا تركيٌّ.. فكلّمه أبو الحسن(عليه السلام) بالتركية!! فنزل عن فرسه، فقبّل حافر دابّة الإمام!!

قال الراوي وهو أبو هاشم الجعفري الثقة الثبت: فحلّفت التركي، وقلت له: ما قال لك هذا الرجل؟

قال: هذا نبيٌّ؟ قلت: ليس هذا بنبيٍّ!!

قال: دعاني باسم سمّيت به في صغري في بلاد الترك ما علمه أحدٌ إلا الساعة[2].

وفي هذا المشهد العابر تتجلى ثلاثة ظواهر:

---

(١) محمد حسن آل ياسين/ الإمام علي بن محمد الهادي/ ٧٥.

(٢) الطبرسي/ أعلام الورى/ ٣٤٣، ابن شهرآشوب/ المناقب ٤/٤٠٨.

الأولى: مدى مجاملة الإمام(عليه السلام) لأبرز قوّاد المتوكل من العسكريين الأتراك، وهي دبلوماسية سياسية تبعد عنه الشكوك والأقاويل، فها هو الإمام يحضر عرض الجيش.

الثانية: بيان معرفة الإمام علي الهادي بلغة الأتراك، وهو رجل مدني ما غادر المدينة لتعلّم أية لغة على الإطلاق.

الثالثة: انتزاع اعتراف تلقائي وعلى الفطرة من مجنّد تركي، لا يعرف الإمام أصلاً، وإذا به ينظر إليه نظرة تقديس وإكبار، لأنه تحدّث في أمر غيبي لا يعلمه أحد إلاّ الساعة على حد تعبيره.

وكان هذا المدرك شائعاً عنه في جملة من المخاطبات وبعدّة لغات، فعن علي بن مهزيار، قال:

«أرسلت إلى أبي الحسن(عليه السلام) غلامي وكان شعلابياً، فرجع الغلام متعجباً، فقلت: مالك يا بني؟

قال: كيف لا أتعجّب؟ ما زال يكلمني بالشعلابية كأنه واحد منّا، فظننت أنه إنما دار بينهم»[١].

قال علي بن مهزيار إلى قوله كأنه واحد منّا، وإنما أراد بهذا الكتمان عن القوم[٢].

وروي عن أبي هاشم الجعفري، قال: دخلت على أبي الحسن(عليه السلام) فكلّمني بالهندية!! فلم أحسن أن أردّ عليه[٣]. وسوى ذلك كثير في المصادر، ومنه ما رواه الطبرسي[٤].

---

(١) الصفار/ بصائر الدرجات/ ٣٣٣، الأربلّي/ كشف الغمة ٢٥٢/٣.

(٢) ظ: ابن شهرآشوب/ المناقب ٤٠٨/٤، المجلسي/ البحار ١٣٠/٥٠.

(٣) المجلسي/ بحار الأنوار ١٣٦/٥٠ وانظر مصدره.

(٤) ظ: الطبرسي/ إعلام الورى/ ٣٤٣.

وقد يكون الداعي إلى اللمح الغيبي، والإشعار بحديث النفس الخفي: هداية الآخرين بعد ضلالهم، فقد كان من يسمّى بعبد الرحمن شيعياً مستبصراً بعد لأي من الزمان!!

فقيل له: ما السبب الذي أوجب عليك القول بإمامة عليّ النقي؟

قال: كنّا بباب المتوكل يوماً إذ خرج الأمر بإحضار علي بن محمد الرضا(عليه السلام)، فقلت لمن حضر: من هذا الرجل؟ فقيل: علوي تقول الرافضة بإمامته!! ويقدر أن المتوكل يحضره للقتل!!

فقلت: لا أبرح من ههنا حتى أنظر إلى هذا الرجل؛ أيّ رجل هو؟

قال: فأقبل راكباً على فرس، وقد قام الناس يمنة الطريق ويسرتها صفّين ينظرون إليه، فلمّا رأيته وقع حبّه في قلبي، فجعلت أدعو في نفسي بأن يدفع الله عنه شرّ المتوكل، فأقبل يسير بين الناس وهو ينظر إلى عرف دابته، لا ينظر يمنةً ولا يسرةً، وأنا دائم الدعاء، فلمّا صار إلي أقبل بوجهه عليَّ، وقال:

«استجاب الله دعاءك، وطوّل عمرك، وكثر مالك وولدك!!».

قال: فارتعدت ووقعت بين أصحابي، فسألوني وهم يقولون: ما شأنك؟ فقلت: خير، ولم أخبر بذلك.

وانصرف الرجل إلى بلده، قال: ففتح الله عليَّ وجوهاً من المال، حتى أني اليوم أغلق بابي على ما قيمته ألف ألف درهم سوى مالي خارج داري، ورزقت عشرة من الأولاد، وقد بلغت نيفاً وسبعين سنةً، وأنا أقول بإمامة الرجل الذي علم ما في قلبي، واستجاب الله دعاءه فيّ ولي[١].

وقد يكون الأمر استظهاراً على الخصم، واعتداداً بما ورد عن أئمة أهل البيت من الأخبار المسبق، فقد روي عن أمير المؤمنين(عليه السلام) أنه: «ليس من

---

(١) المجلسي/ بحار الأنوار ٥٠/١٤٢ وانظر مصدره.

الأرض بقعة إلاّ وهي قبر أو ستكون قبراً» وقد مرّ خارجيٌّ وإماميٌّ في مفازة، فقال الخارجي للإمامي: أين من يموت فيها حتى يملأها الله قبوراً كما تزعمون؟

فحدث يحيى بن هرثمة حينما استدعى الإمام إلى سامراء، وإذا الإمام يأمر الخياطين بصنع ثياب غلاظ من خفاتين!! فخرجت وأنا أتعجب من الخفاتين!! وأقول في نفسي: نحن في تموز وحرّ الحجاز، وإنما بيننا وبين العراق مسيرة عشرة أيام، فما يصنع بهذه الثياب؟ ودخلت عليه للرحيل، فقال لغلمانه: أدخلوا وخذوا لنا معكم لبابيد وبرانس.. وساروا، فما إن وصلوا ذلك الموضع الذي وقعت فيه المناظرة في القبور، حتى ارتفعت سحابة، واسودّت، وأرعدت، وأبرقت، حتى إذا صارت على رؤوسنا أرسلت علينا برداً حثل الصخور، وقد شدّ الإمام على نفسه وعلى غلمانه الخفاتين، ولبسوا اللبابيد والبرانس، وقال لغلمانه: ادفعوا إلى يحيى لبادة وإلى الكاتب برنساً، وتجمعنا والبَرَد يأخذنا حتى قتل من أصحابي ثمانون رجلاً... فقال لي: يا يحيى أنزل من بقي من أصحابك ليدفن من قد مات من أصحابك، فهكذا يملأ الله البريّة قبوراً!!

قال: فرميت نفسي عن دابتي، وغدوت إليه، وقبلت ركابه ورجله، وقلت: أنا أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله، وأنكم خلفاء الله في أرضه، وقد كنتُ كافراً، وإنني الآن قد أسلمت على يديك يا مولاي. قال يحيى: وتشيّعتُ ولزمت خدمته إلى أن مضى[1].

وقد يكون الإنباء بالغيب سبباً إلى الهداية ولو بعد حين، فقد حدّث كاتب نصراني استدعاه المتوكل، فقال: إني اشتريت نفسي من الله بمائة دينار لعلي بن محمد الرضا(عليه السلام)!! ووصلت سامراء، ولا دلالة لي بدار ابن

(١) ظ: المجلسي/ بحار الأنوار ٥٠/١٤٤ وانظر مصدره.

الرضا، وأشفق من السؤال باعتباره نصرانياً!! فوقفت على باب، فقلت لغلامي سلْ لمن هذه الدار؟

فقيل: هذه دار ابن الرضا!! فقلت: الله أكبر، دلالة والله مقنعة، وإذا خادم أسود خرج، وقال: أنت يوسف بن يعقوب، قلت: نعم، فأدخلني الدهليز فقلت في نفسي: هذه دلالة أخرى!! من أين عرف الغلام اسمي؟

فقال الغلام: مائة دينار التي في كمك هاتها، فناولته إياها، قلت: وهذه ثالثة!! وأدخل النصراني على الإمام، قال له الإمام: يا يوسف إن ذلك؟ ...إنك لا تسلم، وسيسلم ولدك فلان وهو من شيعتنا!!

يا يوسف: إن أقواماً يزعمون أن ولايتنا لا تنفع أمثالكم، كذبوا والله، إنها لتنفع أمثالك!! إمضِ فيما وافيت فإنك سترى ما تحب؟! قال: فمضيت إلى باب المتوكل، فقلت كل ما أردت فانصرفت.

قال الراوي: فلقيت ابنه بعد موت أبيه، والله وهو مسلم حسن التشيّع، فأخبرني أن أباه مات على النصرانيه، وأنه -يعني نفسه- أسلم بعد موت أبيه. وكان يقول: أنا بشارة مولاي(ع)[1].

ومن هذا القبيل ما رواه الطبيب النصراني تلميذ بختيشوع، إذ رأى الإمام على فرس أدهم، وعليه ثياب سوداء، وعمامة سوداء.. يقول: فوقفت إعظاماً له، وقلت في نفسي -لا وحقّ المسيح ما خرجت من فمي إلى أحد من الناس- سوادٌ في سواد في سواد، ثياب سوداء، ودابة سوداء، ورجل أسود!!

فلما بلغ إليّ نظر: قلبك أسود مما ترى عيناك من سواد في سواد في سواد.

قال الراوي: فقلت: فما صنعت؟ وما قلت له؟

قال: سقط في يدي، فلم أحر جواباً!!

---

(١) ظ: المجلسي/ بحار الأنوار ١٤٥/٥٠ وانظر مصدره.

قلت له: فما أبيضّ قلبك لما شاهدت؟ قال: الله أعلم.

قال الراوي: فلمّا اعتل يزداد، بعث إليّ فحضرت عنده، فقال: إن قلبي قد ابيضّ بعد سواد، فأنا أشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأن محمداً رسول الله(ﷺ)، وأن علي بن محمد حجة الله على خلقه، وناموسه الأعظم، ثم مات في مرضه ذلك، وحضرت الصلاة عليه، رحمه الله[١].

وقد يكون الإنباء بالغيب بشارة لأوليائه فيما يلتمسون من الدعاء، فعن أيّوب بن نوح قال: كتبت إلى أبي الحسن(ع): «إن لي حملاً فادعُ الله أن يرزقني ابناً!!

فكتب إلي: إذا ولد فسمّه محمداً!! قال: فولد ابني فسميته محمداً»[٢].

وكان ليحيى بن زكريا حمل من امرأته، فكتب إلى الإمام(ع):

إن لي حملاً فادعُ الله أن يرزقني ابناً!!

فكتب إليه: ربَّ ابنةٍ خير من ابن، فولدت له ابنة[٣].

ولو لم يكن الإمام(ع) واثقاً تماماً مما يخبر به، أو على علم مسبق بذلك الإنباء لكان قد عرّض مقامه للخطر، فقد لا يقع ما أخبر به مثلاً، ولكنه كان ينبئ عن كل ذلك بضرس قاطع ولغة متجررة لا يدانيها ريبٌ أو ترددٌ.

وقد يقوم الإمام بعمل فيه لمحٌ غيبيٌ من خلال الأفعال من دون التحدث بشيء، فعن أبي يعقوب، قال:

«رأيت محمد بن الفرج ينظر إليه أبو الحسن(ع) نظراً شافياً، فاعتلّ من الغد، فدخلت عليه فقال: إن أبا الحسن(ع) قد أنفذ إليه بثوب، فأرانيه مدرجاً تحت ثيابه، قال: فكفّن فيه والله»[٤].

---

(١) ظ: المصدر السابق نفسه ٥٠/١٦١-١٦٢.

(٢) الأربلّي/ كشف الغمة ٣/٢٤٦، المجلسي/ البحار ٥٠/١٧٧.

(٣) الأربلّي/ كشف الغمة ٣/٢٤٧.

(٤) ابن شهرآشوب/ المناقب ٤/٤١٤.

وولد للإمام(ع) ولده جعفر المسمّى بالكذّاب، لادعائه الإمامة بعد أخيه الإمام الحسن العسكري زوراً وبهتاناً، واستولى على تركته مع علمه بوجود القائم المنتظر.. فما دخل السرور على الإمام علي الهادي بولده الجديد لعلمه بما يحدثه مستقبلاً، فعن فاطمة بنت الهيثم، قالت:

«كنت في دار أبي الحسن(ع) في الوقت الذي ولد فيه جعفر، فرأيت أهل الدار قد سرّوا به، فقلت: يا سيدي مالي أراك غير مسرور؟ فقال: هوني عليك فسيضلّ به خلقٌ كثيرٌ»[1].

وقد يكون حديث الإمام الغيبي فصلاً عما فيه من الخصوصية الكبرى له من أجل التأنيب والروع عن العمل المشين والاستهانة بمنزلة الآخرين، فقد أولم أحد أبناء الخلفاء وليمة دعا إليها الإمام علي الهادي وآخرين؛ قال الراوي: فدخلنا فلما رأوه أنصتوا إجلالاً له!! وجعل شاب في المجلس لا يوقره، وجعل يلغط ويضحك، فأقبل عليه الإمام وقال له: يا هذا تضحك ملء فيك وتذهل عن ذكر الله؟ وأنت بعد ثلاثة من أهل القبور!! قال: فقلنا هذا دليل حتى ننظر ما يكون!!

قال: فأمسك الفتى، وكفّ عما هو عليه، وطعمنا وخرجنا.

فلمّا كان بعد يوم اعتلّ الفتى، ومات في اليوم الثالث من أول النهار، ودفن في آخره[2].

وقد يتحدث الإمام في الشأن العام إذا أمن السرب والخطر والوشاية، وقد يكون حديثه قاطعاً في أخطر القضايا وأعقدها لدى انتفاء التقية، وضرورة الإخبار الغيبي لمزيّة تكون في تقدير الإمام، فعن خيران الأسباطي، قال:

---

(١) المجلسي/ بحار الأنوار ٥٠/ ١٧٦.

(٢) الطبرسي/ إعلام الورى/ ٣٤٦، المجلسي/ البحار ٥٠/ ١٨٢.

«قدمت على أبي الحسن علي بن محمد(عليه السلام) المدينة، فقال لي: ما خبر الواثق عندك؟

قلت: جعلت فداك؛ خلفته في عافية، أنا من أقرب الناس عهداً به منذ عشرة أيام!!

فقال لي: إن أهل المدينة يقولون: إنه قد مات!!

فلمّا قال: إن الناس يقولون إنه مات علمت أنه يعني نفسه.

ثم قال لي: ما فعل جعفر؟ (يعني المتوكل).

قلت: تركته أسوأ الناس حالاً في السجن.

فقال لي: إنه صاحب الأمر.

ثم قال لي: ما فعل ابن الزيّات؟

قلت: الناس معه، والأمر أمره!!

فقال: إما أنه شؤم عليه.

قال: ثم أنه سكت وقال: لا بد أن تجري مقادير الله وأحكامه. يا خيران: مات الواثق، وقد قعد المتوكل جعفر، وقد قتل ابن الزيّات!!

قلت: متى جعلت فداك؟

قال: بعد خروجك بستة أيام»[1].

وكانت وسائل البريد تعتمد الشكل البدائي في المراسلات، فهي غير منظمة بالصورة التي نشاهدها اليوم، وأمثال هذه الأخبار لا تصل إلاّ بعد زمن ليس بالقصير، ولا علم لأحد بها قبل إخبار الإمام عنها، والإمام تكلم بلهجة الأمر الواقع الذي حدث، وهكذا كان.

---

(١) ظ: الكليني/ الكافي ١/٤٩٨، المفيد/ الإرشاد/ ٣٧١، ابن شهرآشوب/ المناقب ٤/٤١٠، المجلسي/ البحار ٥٠/١٥٨.

إن هذا النوع من العلم اللّدني في استقراء الغيب المجهول، صيغة جديدة امتاز بها أئمة أهل البيت(ع)، لم يشاركهم بها سواهم، ولم تؤثر عن غيرهم إطلاقاً، وذلك من ألطاف الله عليهم بما أفاض على رسوله(ص)، فأفاض به عليهم، فأفاضوا علينا ما شاؤوا. ولله الأمر من قبل ومن بعد.

❊ ❊ ❊

سيرورة علم الإمام رغم عقبات الطريق

وحينما تتم الدلائل على أن الإمام علي الهادي(عليه السلام) هو صاحب النصّ والوصية، باعتباره الإمام المفترض الطاعة في أهل هذا البيت الرفيع «لاجتماع خصال الإمامة فيه، وتكامل فضله، وأنه لا وارث لمقام أبيه سواه، وثبوت النصّ عليه بالإمامة، والإشارة إليه من أبيه بالخلافة»[(١)]، فإنه لا يخامرنا أدنى شك في علمه المتدفق السيّال، لأنه مرتبط بالضرورة بهذا المنصب، بل هو في التجربة: أعلم علماء عصره على الإطلاق، فقد شدّت إليه الرحال وهو في مدينة جدّه رسول الله(صلى الله عليه وآله)، وعمره لم يتجاوز عامه العشرين، وقد اتجهت إليه الأنظار، ولمع نجمه في الآفاق، وكان محبوباً في المدينة المنوّرة، فكثر عشّاق فضله، واغترف الجمع المؤمن من بحر علمه، وقد تفرغ الإمام للجانب العلمي حتى اشتهر ذكره فيه. فاجتمع عليه القريب والبعيد، وأشار إليه القاصي والداني، مما أثار مخاوف السلطة وشكوكها، وهو بمنأى عن المعترك السياسي لشدّة الرقابة وانتشار السعاة، ومع هذا فلم يسلم من غائلة المتوكل العباسي الذي استدعاه إلى سامراء، وأحاطه برصد شديد، حتى يعسر اجتماع تلامذته وأصحابه به إلا لماماً.

أما جماهير الأمة من قواعد الإمام فقد تتلقى العلم منه بالمراسلة السرّية، أو عن طريق وكلائه المقربين، مما حرمهم من التشرّف بلقائه

---

(١) المفيد/ الإرشاد/ ٣٦٨.

ومشافهته إلاّ لواذاً، ومعنى هذا أنهم حرموا التوجيه المباشر من الإمام، ومنعوا من الاجتماع به في حريّة أو شبه حرية، وكانت -جراء ذلك- أن تصل إليهم تفاصيل الأحكام والتشريع والمعارف عن طريق وكلائه المعتمدين بصورة وأخرى.

وكان الإمام علي الهادي(عليه السلام) حريصاً كل الحرص على إيصال معارفه الإنسانية إلى شيعته من وراء حجاب، ذلك لحفظ التوازن السياسي الذي أراد له الابتعاد عن أوليائه، ومع هذا فقد كان دوره الإيجابي في نشر العلم متميزاً بالهدوء والموضوعية، ومتسماً بالمسؤولية الواعية لخلق جيل متحفز من خلال ما يتاح له من الإفتاء والإجابة عن المسائل المعقدة، والتي قد يجري بعضها في أروقة البلاط العباسي الذي فرض عليه التواجد فيه، فكان يعالج الإجابة بشكل ذكي يتحدى به السلطة وهي برج سلطانها العاجي بكثير من الاتزان والمرونة الاجتماعية، بحيث استقطب جيلاً موالياً يدين له بالحب والإخلاص من بين شتى المراتب السلطانية كالوزراء والكتّاب والحجّاب والأمراء.

وقد نتج عن هذا المناخ بأطيافه كافةً أن أبقى لنا الإمام(عليه السلام) ثروةً فكريةً متنقلةً بين أولياء وبين رجال السلطة، تمتاز بالتسديد الإرشادي تارةً، وتعنى بالإمداد العلمي تارةً أخرى، وتحفل بتحصين الأمة من الزيغ والانحراف، وفي ذلك تجاوز لحدود الإمكان الذي أتيح للإمام في ظل أجهزة الحكم.

فإذا أضفنا إلى هذا المنعطف أن التأريخ الرسمي فيما بين أيدينا قد دوّن برعاية حكّام الظلم وسلاطين الجور، وهو غير حافل بتأريخ سواهم من قادة الفكر ودعاة الله، وأن شبح الإمام كان يخيفهم، أدركنا أن ما وصلنا من علم الإمام هو النزر اليسير، وكان ذلك بعناية من الله تعالى، وإلاّ فبمقتضى التخطيط الجبروتي للسلطان أن لا يبقوا لأهل هذا البيت من باقية في كل

المستويات الأسرية والاجتماعية والعلمية، لهذا كان ما اضطلعنا بالإشارة إليه من معارف الإمام الحضارية لا يشكل إلا جزءاً من ذلك الكلّ المغيّب عنا.

لقد حاول أعداء الخطّ الرسالي لأهل البيت إطفاء هذا النور المتوهج للإشعاع العلمي للإمام، وحشدوا لذلك الطاقات الهائلة، ولكنهم باؤوا بالفشل والخذلان آخر الأمر، فحاولوا جاهدين إيجاد البدائل عن أئمة أهل البيت بعامة، فأنشأوا الفرق والنحل والمذاهب، واستعانوا بوعّاظ السلاطين وفقهاء البلاط عسى أن يكون صالحين لشيء من مراتب أهل البيت التي رتبهم الله بها، فما وفّقوا في المسعى، إلا أنهم أفادوا من ازدواجية المعايير فخلطوا الحابل بالنابل، وجعلوا الباطل في قبال الحق، فاشتبهت الأمور على المغفلين وأصحاب الغايات المشبوهة، فانزوى عن الناس خيرٌ كثيرٌ، وفاتهم فضل عظيم، وسيطرت الأثرة والأنانية على المستوى الاجتماعي العام، فدبّ الوهن في مفاصل الأمة، وفقدت مقاييس الأصالة والإبداع، ومنيت التجربة الإسلامية الفريدة في مسيرة أهل البيت المظفرة بكثير من الضغط والابتزاز والمصادرة إضافة إلى ما هي عليه من الشدّة في الرقابة والملاحظة في التصرف، فكان ذلك ظلماً على ظلم، وأحجم الناس عن ذكر مآثرهم، ونشر فضائلهم إلاّ ذبالة أضاءت الدرب بين يدي السالكين.

والشيء المرير الذي يفاجئنا في استعراض هذه الظاهرة: أن تمتد أصابع فريق من العلويين لتناوش مرتبة الأئمة، وكذلك شأن العباسيين، وكان ذلك على طول الخط في محاولة لتغيير مجرى الإمامة الطبيعي، ووضعها في غير أهلها، فما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً، ومنيت كل المحاولات بالفشل الذريع.

وما زلنا في حقبة الإمام علي الهادي(عليه السلام)، فإن ولده المعروف بـ(جعفر الكذاب) قد حاول أمراً خاب فيه، والطريف في الأمر أن يستعين بالسلطة القائمة لتحقيق ذلك، والأطرف منه أن ترفض السلطة توسلاته في هذا الأمر.

فعند وفاة أخيه الإمام الحسن العسكري(ﻉ)، جاء جعفر الكذّاب إلى عبيد الله بن خاقان، وقال له:

«اجعل لي مرتبة أبي وأخي، وأوصل إليك في كل سنة عشرين ألف دينار، فزبره وأسمعه، وقال له:

يا أحمق إن السلطان أعزّه الله جرّد سيفه وسوطه في الذين زعموا أن أباك وأخاك أئمة ليردهم عن ذلك، فلم يقدروا عليه، ولم يتهيأ له صرفهم عن هذا القول فيهما، وجهد أن يزيل أباك وأخاك عن تلك المرتبة فلم يتهيأ له ذلك، فإن كنت عند شيعة أبيك وأخيك إماماً، فلا حاجة بك إلى سلطان، وإن لم تكن عندهم بهذه المنزلة لم تغلها بها، واستقلّه عندك ذلك واستضعفه، وأمر أن يحجب عنه، فلم يأذن له بالدخول عليه»[١].

نعم استطاع السلطان أن يجلب بخيله ورجله على الإمام، فاستدعى الفقهاء الرسميين وعلماء المذاهب، لمسائلة الإمام واختباره عسى أن يقع في هنات -معاذ الله- فما كان لهم ذلك، وإن أجبروا الناس على الاقتداء بأولئك النفر الذين أيدوا الخلافة الدنيوية، وساعدوا في إقامة عروش الظالمين.

ومع كل هذه المظاهر السلبية التي تعرّض لها الإمام علي الهادي وآباؤه (ﻉ) من ذي قبل، ومع كل محاولات التكتم على مصادر علمه وروافده، فقد ازدهر شعاع ذلك العلم في المحافل ومجالس العلماء، وقد التمس البحث -حذر الإطالة- قبسات وشذرات ولقطات من كنوز ذلك العلم، واستظهرها شواهد ودلائل تصدع بالفضل السائر.

❊ ❊ ❊

---

(١) الصدوق/ كمال الدين ١/١٢٥، المجلسي/ البحار ٥٠/٣٢٩.

قبساتٌ من القرآن الكريم

هنالك لقطات فنيّة من إجابات الإمام(ع) اشتملت على قبسات لامعة من أضواء القرآن الكريم، وهي متعددة الروافد، إلاّ أن أبرزها ما جاء في إجاباته(ع) لقاضي القضاة يحيى بن أكثم في مسائله التي وجهها للإمام، فما كان من الإمام إلاّ أن نهد للإجابة مع علمه أن الغرض وراء ذلك سياسي محض قصد به التعنت لا الإفادة؛ كتب الإمام:

بسم الله الرحمن الرحيم

وأنتَ فألهمك الله الرشد، أتاني كتابك فامتحنتنا به من تعنتك لتجد إلى الطعن سبيلاً إن قصّرنا فيها، والله يكافيك على نيتك، وقد شرحنا مسائلك فاصغِ إليها سمعك، وذلل لها فهمك، واشغل بها قبلك، فقد لزمتك الحجة والسلام[1].

وهنا نجد الإمام قد أدرك السرّ من وراء هذه المسائل فوصف ابن أكثر بالتعنت، وبين هدفه منها لغرض الطعن، ومع ذلك فهو يجيب فيها بما يفحمه ويدعه باهتاً[2].

١- سألت عن قوله عزّ وجل:

﴿قالَ الَّذي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتاب...﴾[3].

---

(١) نص الإجابات جميعاً في تحف العقول لابن شعبه/ ٤٧٧-٤٨١، ابن شهرآشوب/ المناقب ٣/ ٤٤٣، وقد اقتصرنا فيها على ما جاء من قبسات القرآن الكريم من حديث الإمام(ع).

(٢) المصدر السابق نفسه.

(٣) سورة النمل/ الآية ٤٠.

قال الإمام علي الهادي: فهو آصف بن برخيا، ولم يعجز سليمان(ع) عن معرفة ما عرف آصف، ولكنه صلوات الله عليه أحبّ أن يعرّف أمته من الجن والإنس أنه الحجة من بعده، وذلك من علم سليمان أودعه عند آصف بأمر الله، ففهّمه ذلك لئلا يُختلف عليه في إمامته ودلالته، كما فهّم سليمان في حياة داود لتعرف نبوته وإمامته من بعده، لتأكد الحجة على الخلق.

وفي إجابة الإمام الهادي هذه دلالة إيحائية تشير إلى إمامة أمير المؤمنين(ع)، إذ أن آصف عنده بعض علم الكتاب بدلالته من في قوله تعالى: ﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ﴾ أما أمير المؤمنين الإمام علي(ع) فعنده علم الكتاب كله، كما ثبت هذا في موضعه من البحث، فكما أراد سليمان أن لا يُختلف على آصف في إمامته ووصايته، فكذلك الرسول الأعظم فيما عهد به إلى أمير المؤمنين(ع) أراد أن لا يختلف عليه في إمامته ووصايته.

٢- وقد سأل ابن أكثم عن قوله تعالى:

﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّداً﴾(١).

فأجاب الإمام الهادي: أن سجود يعقوب(ع) وولده كان طاعة لله ومحبّة ليوسف، كما أن السجود من الملائكة لآدم(ع) لم يكن لآدم(ع)، وإنما كان ذلك طاعة لله ومحبة منهم لآدم(ع)، فسجود يعقوب وولده ويوسف(ع) معهم كان شكراً لله باجتماع شملهم، ألم تره يقول في شكره ذلك الوقت:

﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ﴾(٢).

---

(١) سورة يوسف/ الآية ١٠٠.

(٢) سورة يوسف/ الآية ١٠١.

٣. وسأل يحيى بن أكثم عن قوله تعالى:

﴿فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنا إِلَيْكَ فَسْئَلِ الَّذِينَ يَقْرَؤُنَ الْكِتابَ..﴾[1].

قال الإمام علي الهادي(ع) بعد ذكر الآية:

«فإن المخاطب به رسول الله(ص)، ولم يكن في شك مما أنزلنا إليه، ولكن قالت الجهلة: كيف لم يبعث الله نبياً من الملائكة، إذ لم يفرّق بين نبيه وبيننا في الاستغناء عن المآكل والمشارب والمشي في الأسواق؟ فأوحى الله إلى نبيه (فاسأل الذين يقرؤون الكتاب) بمحضر الجهلة: هل بعث الله رسولاً قبلك إلاّ هو يأكل الطعام ويمشي في الأسواق؟ ولك بهم أسوة، وإنما قال: فإن كنت في شك، ولم يكن في شك، ولكن للمنفعة، كما قال: **﴿تَعالَوْا نَدْعُ أَبْناءَنا وَأَبْناءَكُمْ وَنِساءَنا وَنِساءَكُمْ وَأَنْفُسَنا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللهِ عَلَى الْكاذِبِينَ﴾**[2].

ولو قال (عليكم) لم يجيبوا إلى المباهلة، وقد علم الله أن نبيه يؤدي عنه رسالته وما هو من الكاذبين، فكذلك عرف النبي أنه صادق فيما يقول، ولكن أحبّ أن ينصف من نفسه».

٤. وسأل يحيى بن أكثم عن قوله تعالى:

﴿وَلَوْ أَنَّ ما فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ ما نَفِدَتْ كَلِماتُ اللهِ...﴾[3].

فأجاب الإمام علي الهادي بعد ذكر الآية بقوله:

«فهو كذلك، لو أن أشجار الدنيا أقلام، والبحر يمده سبعة أبحر، وانفجرت الأرض عيوناً لنفدت قبل أن تنفد كلمات الله...».

---

(١) سورة يونس/ الآية ٩٤.

(٢) سورة آل عمران/ الآية ٦١.

(٣) سورة لقمان/ الآية ٢٧.

٥. وسأل ابن أكثم عن قوله تعالى:

﴿وَفِيها ما تَشْتَهِيهِ الأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الأَعْيُنُ..﴾[١].

فاشتهت نفس آدم(عليه السلام) أكل البرّ، فأكل وأطعم وفيها ما تشتهي الأنفس، فكيف عوقب؟

فأجاب الإمام علي الهادي(عليه السلام): «وأما الجنّة فإن فيها من المآكل والمشارب والملاهي ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين، وأباح ذلك كله لآدم(عليه السلام) والشجرة التي نهى الله عنها آدم وزوجته أن يأكلا منها: شجرة الحسد، عهد إليهما أن لا ينظرا إلى ما فضّل الله على خلائقه بعين الحسد، **﴿فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً﴾**[٢]».

٦. وسأل ابن أكثم عو قوله تعالى: **﴿أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْراناً وَإِناثاً﴾**[٣]. يزوج الله عباده الذكران، وقد عوقب قوم فعلوا ذلك؟

فأجاب الإمام علي الهادي(عليه السلام) بعد ذكر الآية:

«أي يولد له ذكور، ويولد له إناث، يقال لكل اثنين مقرنين زوجان، وكل واحد منهما زوج، ومعاذ الله أن يكون عنى الجليل ما لبّست به على نفسك تطلب الرخص لارتكاب المآثم **﴿..وَمَنْ يَفْعَلْ ذلكَ يَلْقَ أَثاماً * يُضاعَفْ لَهُ الْعَذابُ يَوْمَ الْقِيامَة وَيَخْلُدْ فيه مُهاناً﴾**[٤]».

وفي الإجابة تعريض مهذّب بيحيى ابن أكثم كما لا يخفى.

٧. ولو أردنا استعراض هذا الجانب لوجدنا بعض نماذجه في كتب التفسير بشكل موجز أخّاذ، لقلّة ما يروى عن الإمام نتيجة الأسباب المتقدمة في الرصد والرقابة وإحصاء الأنفاس.

---

(١) سورة الزخرف/ الآية ٧١.

(٢) سورة طه/ الآية ١١٥.

(٣) سورة الشورى/ الآية ٥٠.

(٤) سورة الفرقان/ الآيات من ٦٨-٦٩.

فعن العياشي بإسناده عن حمدويه عن محمد بن عيسى، قال سمعته يقول: كتب إليه (يعني الإمام الهادي) إبراهيم بن غبسة. إن رأى سيدي ومولاي أن يخبرني عن قوله تعالى: ﴿يَسْئَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ...﴾[(١)] في الميسر، جعلت فداك.

فكتب(ع): «كل ما قومر به فهو الميسر، وكل مسكر حرام»[(٢)].

وروى العياشي بإسناده عن موسى بن محمد بن علي عن أخيه أبي الحسن الثالث، قال: «الشجرة التي نهى الله آدم وزوجته أن يأكلا منها شجرة الحسد، عهد إليهما أن لا ينظرا إلى فضل الله عليه وعلى خلائقه بعين الحسد، ولم يجد له عزماً»[(٣)].

٨. وقد يفيد الإمام(ع) من القرآن حكماً شرعياً أشكل على بعض الفقهاء علمه، واستعصى على بعض العلماء حكمه، كما أفاد الإمام من قوله تعالى: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ﴾[(٤)].

أحد مصاديق الشيء الكثير، فعن أبي عبد الله الزيادي:

لما سمّ المتوكل نذر لله إن رزقه الله العافية أن يتصدق بمال كثير، فلمّا عوفي اختلف الفقهاء في المال الكثير، فقال له الحسن حاجبه: إن أتيتك يا أمير المؤمنين بالصواب فما لي عندك؟ قال عشرة آلاف درهم وإلا ضربتك مائة مقرعة!! قال: قد رضيت، فأتى أبا الحسن(ع) فسأله عن ذلك؛ فقال: قل له يتصدق بثمانين درهماً!!

فأخبر المتوكل، فسأله: ما العلة؟ فأتاه، فسأله، فقال:

---

(١) سورة البقرة/ الآية ٢١٩.

(٢) العياشي/ التفسير ١/١٠٦.

(٣) العياشي/ التفسير ١/٧٩.

(٤) سورة التوبة/ الآية ٢٥.

إن الله تعالى قال لنبيه(صلى الله عليه وآله) ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ...﴾[١] فعددنا مواطن رسول الله(صلى الله عليه وآله)، فبلغت ثمانين مواطناً، فرجع إليه فأخبره، ففرح، وأعطاه عشرة آلاف درهم[٢].

٩. وقد يستدل الإمام علي الهادي(عليه السلام) على عظيم منزلة الرسول الأعظم(صلى الله عليه وآله) بالقرآن الكريم، ويستنبط طاعته وطاعة الأئمة المعصومين من آياته، مستدلاً على ذلك بنصوصها الشريفة، فقد قال الإمام عن النبي(صلى الله عليه وآله): وقد قرنه الجليل باسمه، وشركه في عطائه، وأوجب لمن أطاعه جزاء طاعته، إذ يقول:

﴿وَمَا نَقَمُوا إِلاَّ أَنْ أَغْنَاهُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ..﴾[٣].

وقال يحكي قول من ترك طاعته، وهو يعذب بين أطباق نيرانها، وسرابيل قطرانها ﴿يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولاَ﴾[٤] أم كيف يوصف بكنهه من قرن الجليل طاعتهم بطاعة رسوله حيث قال: ﴿أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ..﴾[٥] وقال: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الأَمْرِ مِنْهُمْ..﴾[٦] وقال: ﴿إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا..﴾[٧] وقال: ﴿فَسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾[٨][٩].

فأنت تجد الإمام(عليه السلام) يستغرق هذه النصوص القرآنية المقدسة في مجال التحدث عن منزلة النبي والأئمة المعصومين(عليهم السلام)، مستدلاً على الولاية

---

(١) سورة التوبة/ الآية ٢٥.

(٢) ابن شهرآشوب/ المناقب ٤/٤٠٢، ورواه الكليني/ الكافي ٧/٤٦٣ بفرق جزئي.

(٣) سورة التوبة/ الآية ٧٤.

(٤) سورة الأحزاب/ الآية ٦٦.

(٥) سورة النساء/ الآية ٥٩.

(٦) سورة النساء/ الآية ٨٣.

(٧) سورة النساء/ الآية ٥٨.

(٨) سورة النحل/ الآية ٤٣.

(٩) ظ: الأربلي/ كشف الغمة ٣/٢٤٧، المجلسي/ البحار ٥٠/١٧٨.

في الأرض بأنها منصب إلهي، إذ قرن الله تعالى طاعته بطاعة النبي وأولي الأمر من أهل بيته كلاً مشتركاً غير قابل للفصل في حيثياته التكوينية، ومن هنا قال الإمامية -تبعاً لأهل البيت- بحكم الولاية لله ولرسوله وللأئمة المعصومين، بما يسند هذا من الآيات القرآنية التي بحثت في مسائل الاعتقاد وعلم الكلام فضلاً عن الأحاديث النبوية الشريفة التي تؤكد ذلك.

١٠. وطالما استند الإمام في أقواله وأعماله وتوجيهاته على القرآن العظيم، وهو أمر مفروغ عنه، وكذلك الحال في استيحاء مدرك الحكم الشرعي، فقد استفتاه المتوكل برجل نصراني فجر بامرأة مسلمة، وأراد أن يقيم عليه الحدّ فأسلم، فأفتى الإمام: يضرب حتى يموت.

فأنكر يحيى بن أكثم ذلك، وطلبوا مدرك الحكم من الإمام!! فأجاب(عليه السلام) بعد البسملة:

﴿فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنا قالُوا آمَنَّا بالله وَحْدَهُ وَكَفَرْنا بما كُنَّا به مُشْرِكينَ * فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إيمانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنا سُنَّتَ الله الَّتي قَدْ خَلَتْ في عِبادِه وَخَسِرَ هُنالِكَ الْكافِرُونَ﴾[1][2].

فقد أبان الإمام من خلال القرآن أن إسلام الرجل قد أعلن في اللحظات الأخيرة خوفاً من الحد الشرعي، وهو لا يقبل منه لأنه غير صادر عن حالة طبيعية.

١١. وعن أحمد بن محمد، قال: قال أبو الحسن (يعني الإمام الهادي) في قول الله عز وجل **﴿وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتيقِ﴾** قال: طواف الفريضة طواف النساء[3].

---

(١) سورة غافر/ الآيات ٨٤-٨٥.

(٢) ظ: الحر العاملي/ وسائل الشيعة ١٨/ ٣٣١.

(٣) الكليني/ الكافي ٤/ ٥١٢.

١٢. ونادى المتوكل أحد أصحابه وكان نصرانياً، يا أبا نوح!! فأنكر عليه بعض من حضره أن يكنى الكتابيون، فاستفتى الفقهاء فاختلفوا، فبعث إلى الإمام الهادي يسأله، فوقّع الإمام(عليه السلام): ﴿تَبَّتْ يَدا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾[1].

فعلم المتوكل أنه يحل ذلك، لأن الله قد كنى الكافر[2].

ويبدو مما تقدم استظهار الإمام لكتاب الله تعالى، وجعله نصب عينيه في تفسيره دلالياً بما يقطع التخاصم والنزاع، سيما وإن إجابات الإمام غير قابلة للردّ أو الجدل لأنها طبّقت المفصل.

* * *

(١) سورة المسد/ الآية ١.

(٢) ظ/ محمد حسن آل ياسين/ الإمام علي بن محمد الهادي/ ٦٥ وانظر مصادره.

لقطاتٌ من فتاوى الإمام الهادي(عليه السلام)

تتوافر الذائقة الفقهية المتألقة في فتاوى الإمام علي الهادي(عليه السلام) في العديد من الأحكام الشرعية، وباستعراض الكتب الأربعة عند الإمامية: الكافي، ومن لا يحضره الفقيه، والاستبصار، والتهذيب، يضاف إليها: وسائل الشيعة، نجد اهتمام الإمام منصبّاً على بيان الحكم الشرعي في شؤون الفروع التي يحتاج إليها المسلمون.

وكان ما يتفوّه به الإمام(عليه السلام) مصدراً من مصادر التشريع والسنة، أخذها عنه العلماء واستنبط في ضوئها الفقهاء الأحكام، وكانت مدار الفتيا وغنى العاملين.

ولمّا كان هذا البحث قائماً على الإجمال والمثال، فقد اخترنا بعض النماذج الحيّة الناطقة بغزارة هذا الفن لدى الإمام.

١- كتب إليه أيوب بن نوح يسأله عن المغمى عليه يوماً أو أكثر هل يقضي ما فاته أم لا؟

فكتب(عليه السلام): «لا يقضي الصوم، ولا يقضي الصلاة»[1].

وسأله عن ذلك علي بن مهزيار أيضاً، فأجابه عنه وبوجه الحكمة في ذلك بقوله:

«لا يقضي الصوم ولا الصلاة، وكلما غلب الله عليه فالله أولى بالعذر»[2].

---

(١) الطوسي/ التهذيب ٤/٢٤٣.

(٢) الحر العاملي/ وسائل الشيعة ٥/٣٥٢.

وعليه الفتوى عند فقهاء الإمامية.

٢- وسأله علي بن مهزيار عن الرجل يصير في البيداء، فتدركه صلاة الفريضة، فلا يخرج عن البيداء حتى يخرج وقتها، كيف يصنع بالصلاة؟ وقد نهي أن يصلي في البيداء (على سبيل الكراهة) فأجاب(عليه السلام):

«يصلي فيها، ويتجنب قارعة الطريق»[١].

وعلى ذلك فتوى فقهاء الإمامية.

٣. وسأل الإمام بعض مواليه عن الصلاة يقطعها شيء لوجهه مما يمر بين يدي المصلي؟

فقال(عليه السلام): «لا، ليست الصلاة تذهب هكذا بحيال صاحبها، إنما تذهب متساويةً لوجه صاحبها»[٢].

وهذا يعني عدم بطلان الصلاة بالمرور أمام المصلّي، وإن كان ذلك مكروهاً، وعليه فتوى فقهاء الإمامية.

٤. وسئل الإمام عن زكاة الفطرة، فكان في جوابه مقدارها، وما كان طعاماً متعارفاً عند أهل كل بلد في تفصيل دقيق وطريف.

قال(عليه السلام): «إن الفطرة صاع من قوت بلدك على أهل مكة، واليمن، والطائف، وأطراف الشام، واليمامة، والبحرين، والعراقين، وفارس، والأهواز، وكرمان: تمرٌ.

وعلى أهل أوساط الشام: زبيبٌ، وعلى أهل الجزيرة والموصل والجبال كلها: بُرٌّ أو شعيرٌ، وعلى أهل طبرستان: الأرز، وعلى أهل خراسان: البرٌّ، إلا على أهل مرو والري فعليهم: الزبيب، وعلى أهل مصر: البرُّ، ومن سوى ذلك فعليهم ما غلب من قومهم، ومن سكن البوادي من الأعراب فعليهم: الأقط.

---

(١) المصدر نفسه/ ٣/ ٢٥١.

(٢) الحر العاملي/ وسائل الشيعة ٣/ ٢٣٤.

والفطرة عليك وعلى الناس كلهم»[١].

٥. وسأل داود بن زيد أبا الحسن الثالث(عليه السلام): عن القراطيس والكواغد المكتوب عليها هل يجوز عليها السجود؟

فكتب(عليه السلام): يجوز[٢].

٦. وعن [أبي] علي بن راشد، قال: قلت لأبي الحسن(عليه السلام):

جعلتُ فداك؛ إنك كتبت إلى محمد بن الفرج تعلمه أن أفضل ما تقرأه في الفرائض: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ﴾ و﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ وإن صدري ليضيق بقراءتهما في الفجر!!

فقال(عليه السلام): «لا يضيقن صدرك بهما، فإن الفضل والله فيهما»[٣].

٧. وعن علي بن إبراهيم، عن يحيى بن عبد الرحمن بن خاقان، قال: رأيت أبا الحسن الثالث(عليه السلام) سجد سجدة الشكر، فافترش ذراعيه، فألصق جؤجؤه وبطنه بالأرض، فسألته عن ذلك؟ فقال: كذا نحبّ[٤].

وعليه فتوى فقهاء علماء الإمامية في سنن السجود المستحبّ.

٨. وعن أحمد بن حمزة، قال: قلت لأبي الحسن(عليه السلام): رجل من مواليك له قرابة، كلهم يقول بك، وله زكاة، أيجوز أن يعيطهم جميع زكاته؟ قال: «نعم»[٥].

٩. وعن علي بن مهزيار، قال: كتبت إليه:

يا سيدي؛ رجل دفع إليه مال يحج فيه، هل عليه في ذلك المال حين يصير إليه الخمس؟ أو على ما فضل في يده بعد الحج؟

---

(١) المصدر السابق نفسه ٦/٢٣٨.

(٢) الصدوق/ من لا يحضره الفقيه ١/٢٧٠.

(٣) الكليني/ الكافي ٣/٢٩٠.

(٤) المصدر السابق نفسه ٣/٣٢٤.

(٥) المصدر السابق نفسه ٣/٥٥٢.

فكتب(ع): «ليس عليه الخمس»[١].

١٠. وعن أبي علي بن راشد، قال:

قلت لأبي الحسن الثالث(ع): إنّا نؤتى بالشيء، فيقال: هذا كان لأبي جعفر عندنا، (يعني الإمام محمد الجواد) فكيف نصنع؟

فقال: «ما كان لأبي بسبب الإمامة فهو لي، وما كان غير ذلك فهو ميراث على كتاب الله وسنة نبيّه»[٢].

١١. وعن إبراهيم بن محمد قال:

كتبت إلى أبي الحسن الثالث(ع) أسأله عما يجب في الضياع؟

فكتب: الخمس بعد المؤونة.

قال: فناظرت أصحابنا؛ فقالوا: المؤونة بعد ما يأخذ السلطان، وبعد مؤونة الرجل!! فكتبت إليه: إنك قلت:

الخمس بعد المؤونة، وإن أصحابنا اختلفوا في المؤونة، فكتب:

«الخمس بعد ما يأخذ السلطان، وبعد مؤونة الرجل وعياله»[٣].

١٢. وعن الوشّاء، قال: كتبت أسأله عن الفقّاع (البيرة)؟

قال: فكتب؛ حرامٌ، وهو خمرٌ، ومن شربه كان بمنزلة شارب الخمر.

قال: وقال أبو الحسن الأخير (يعني الإمام علي الهادي): لو أن الدار داري لقتلت بائعه، ولجلدت شاربه.

وقال أبو الحسن الأخير(ع): حدّه حدّ شارب الخمر.

وقال(ع): هي خميرة استصغرها الناس[٤].

---

(١) المصدر السابق نفسه ٥٤٧/١.

(٢) الصدوق/ من لا يحضره الفقيه ٤٢/٢.

(٣) العياشي/ التفسير ٦٣/٢.

(٤) الكليني/ الكافي ٤٢٣/٦.

ومن خلال هذه الشذرات الثمينة من إجابات الإمام الفقهية، تبدو بعض المؤشرات الحيوية في هذا الاصطفاف الفتوائي الدقيق، نلخصه على شكل نقاط كالآتي:

١. إن مجال الإمام الأرحب هو الإفتاء نتيجة الرقابة التي فرضت عليه.

٢. إن هذه الفتاوى في أغلبها قد تم عن طريق المكاتبة، وهذا يعني انتشار التشيّع في الآفاق من جهة، وأن رصد الإمام قد لا يسمح بمقابلته، وكان السبيل إلى تلقي ذلك هو المراسلة.

٣. إن إجابات الإمام(عليه السلام)، تمتاز بالإيجاز مع الإيضاح، ومن إفاضاته الموجزة هذه أفاد فقهاؤنا الإيجاز في الإجابة.

٤. إن فتاواه هذه وسواها مما يتناقله الأصحاب مباحثةً وتدقيقاً.

❊ ❊ ❊



الفصل السادس

الفكرُ الكلامي عند الإمام علي الهادي (عليه السلام)

١. علم الكلام في فكر الإمام الهادي.

٢. رسالة الإمام الهادي في الجبر والتفويض.

٣. التأكيد على إمامة القرآن وقيادة أمير المؤمنين (عليه السلام).

٤. نظرية الإمام جعفر الصادق هي الأصل.

٥. إبطال نظرية الجبر.

٦. دحض مقالة التفويض.

٧. تأصيل نظرية الأمر بين الأمرين.

٨. الاختبار والبلوى بالاستطاعة أساس النظرية.

علم الكلام في فكر الإمام الهادي(عليه السلام)

وكان عصر الإمام(عليه السلام) عصر جدل واحتجاج ومناظرة في رحاب علم الكلام ومسائل الاعتقاد والتوحيد، واختلاف المذاهب في الرؤية والتجسيم والقضاء والقدر، والجبر والتفويض، والأمر بين الأمرين، وسوى ذلك مما تناوله المتكلمون وتداوله العلماء.

وكان للإمام علي الهادي(عليه السلام) في هذا الميدان سبق التقرير وقصب السبق ودقة الملاحظة، وقد فصل القول تارة وأجمله تارة أخرى في دفع الشبهات، ونفي الرؤية والتجسيم، ونفي الشبيه والمثل، ودحض مقالة التفويض، وإبطال نظرية الجبر وكانت إضافاته الكلامية تتمثل في ظواهر عديدة من الإجابات الشافية في المجالات المشار إليه أعلاه.

والحق أن ما نهد به الإمام علي الهادي في هذا المضمار جدير بدراسة متخصصة مستقلة، لتوافر ما طرح من مسائل، ودقة ما أفاض من نظريات، ولما كان بحثنا قائماً على أساس الأنموذج لا الإحصاء، فقد اقتطفنا بعض زهرات ذلك الحقل، والتقطنا جزءاً من شذرات ذلك الكنز.

١. ففي التوحيد وتقديس الذات الإلهية كان الإمام مجلّياً في نفي المثيل وتعذر الوصف وعجز الإدراك، فيما تناله الأوهام أو تدركه الخطرات، أو تحيط به الأبصار تصوّراً أو مشاهدة.

ففيما أفاده للفتح بن يزيد الجرجاني قوله:

«يا فتح؛ من أرضى الخالق لم يبالِ بسخط المخلوق، ومن أسخط الخالق فَطَمِنٌ أن يسلط الله عليه سخط المخلوق، وأن الخالق لا يوصف إلا بما وصف به نفسه، وأنى يوصف الذي تعجز الحواس أن تدركه، والأوهام أن تناله، والخطرات أن تحدّه، والأبصار عن الإحاطة به. جلّ عما يصفه الواصفون، وتعالى عمّا ينعته الناعتون، نأى في قربه، وقرب في نأيه، فهو في نأيه قريب، وفي قربه بعيد.

كيّف الكيف فلا يقال كيف، وأيّن الأين فلا يقال أين... هو الواحد الأحد الصمد، لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد. جلّ جلاله وتقدست أسماؤه»[(١)].

٢. وفي حديث الإمام نفسه نفى الجسمية والتجسيم والتجزيئ عنه تعالى إذ ليس كمثله شيء فقال:

«إن لنا بالرسل أسوة، كانوا يأكلون ويشربون ويمشون في الأسواق، وكل جسم مغذوٌّ بهذا إلا الخالق الرازق، لأنه جسّم الأجسام، وهو لم يجسم، ولم يجزء بثناه، ولم يتزايد ولم يتناقص، مبرّأً من ذاته ما ركّب في ذات من جسّمه... منشئ الأشياء، مجسّم الأجسام، وهو السميع العليم، اللطيف الخبير، الرؤوف الرحيم، تبارك عمّا يقول الظالمون علواً كبيراً.

لو كان كما يوصف لم يُعرف الرَّب من المربوب، ولا الخالق من المخلوق، ولا المنشئ من المنشأ، لكنه فرّق بينه وبين جسّمه، وشيّئ الأشياء إذ كان لا يشبهه شيء يرى، ولا يشبه شيئاً»[(٢)].

٣. وفي نفي الرؤية عنه تعالى، حدّث أحمد بن إسحاق قال:

---

(١) ظ: الكليني/ الكافي ١/١٣٧-١٣٨، المسعودي/ إثبات الوصية ١٩٦-١٩٧، ابن شعبة/ تحف العقول/ ٣٩١، الأربلّي/ كشف الغمة ٣/١٧٩ وسواها.

(٢) ظ: المصادر السابقة نفسها والصفحات.

كتبت إلى أبي الحسن بن محمد العسكري(عليه السلام): أسأله عن الرؤية، وما فيه الناس من ادّعاء الرؤية يوم القيامة، فكتب:

«لا تجوز الرؤية ما لم يكن بين الرائي والمرئي هواء ينفذه البصر، فمتى انقطع الهواء وعُدِمَ الضياء، لم تصحّ الرؤية، وفي اتّصال الضياء بين الرائي والمرئي وجوب الاشتباه، والله تعالى منزّهٌ عن الاشتباه، فثبت أنه لا تجوز عليه الرؤية بالأبصار، لأن الأسباب لا بد من اتصالها بالمسببات»[1].

وفي علاقة الهواء اتصالاً وانقطاعاً بالرؤية، ووجود الضياء وعدمه لتحقق الرؤية وعدمها، مباحث طريفة للعلم الحديث في القرن العشرين، وكان الإمام قد سبق إليها قبل اثني عشر قرناً.

٤. وفي نفي الصورة والجسم، كتب إليه بشر بن بشار النيسابوري:

إن من قبلنا قد اختلفوا في التوحيد، فمنهم من يقول جسم، ومنهم من يقول صورة!!

فكتب إليه الإمام: «سبحان من لا يحدّ، ولا يوصف، ولا يشبهه شيء، وليس كمثله شيء، وهو السميع البصير»[2].

٥. وفي تشابه الاسم في الوحدانية بين الله والإنسان، قال الإمام(عليه السلام) - مفرّقاً ومميّزاً-:

«إنما التشبيه في المعاني، فأمّا في الأسماء فهي واحدة، وهي دالة على المسمى، وذلك أن الإنسان إن قيل: واحد، فإنه يخبر أنه جثة واحد وليس باثنتين، والإنسان نفسه ليس بواحد، لأن أعضاءه مختلفة، وألوانه مختلفة، ومَنْ ألوانه مختلفة غير واحد، وهو أجزاء مجزأة ليست بسواء، دمه غير لحمه ولحمه غير دمه، وعصبه غير عروقه، وشعره غير بشره، وسواده غير

---

(١) الكليني/ الكافي ١/٩٧، الطبرسي/ الاحتجاج ٢/٤٨٦.

(٢) الكليني/ الكافي ١/١٠٢.

بياضه، وكذلك سائر جميع الخلق، فالإنسان واحد في الاسم لا واحد في المعنى، والله جلّ جلاله هو واحد لا واحد غيره، لا اختلاف فيه ولا تفاوت ولا زيادة ولا نقصان، فأمّا الإنسان المخلوق المصنوع المؤلف من أجزاء مختلفة، وجواهر شتى، غير أنه بالإجماع شيء واحد»[(١)].

٦. وفي تقسيم إرادة الله ومشيئته إلى إرادة حتم، وإرادة عزم، ومشيئته فيما يأمر وينهي وهو يشاء، يقول الإمام(ﷺ): «إن لله إرادتين ومشيئتين:

إرادة حتم، وإرادة جزم، ينهى وهو يشاء، ويأمر وهو يشاء، أوما رأيت أنه نهى آدم وزوجته أن يأكلا من الشجرة، وشاء ذلك، ولو لم يشأ أن يأكلا لما غلبت مشيئتهما مشيئة الله تعالى.

وأمر إبراهيم أن يذبح إسحاق[(٢)] ولم يشأ أن يذبحه، ولو شاء لما غلبت مشيئة إبراهيم مشيئة الله تعالى»[(٣)].

وهذا من جيد الاستدلال وأعلى مراتبه في التفريق بين إرادة الحتم وإرادة العزم في ضوء القرآن الكريم.

٧. وعن أدنى حدود المعرفة بالله سبحانه وتعالى تشير رواية الفتح بن يزيد الجرجاني حينما سأل الإمام عن أدنى المعرفة. قال الإمام(ﷺ): «الإقرار بأنه لا إله غيره، ولا شبه، ولا نظير، وأنه قديم مثبت موجود غير فقيد، وأنه ليس كمثله شيء»[(٤)].

٨. وعن علم الله بالأشياء قبل خلقها وبعدها، كتب أيوب بن نوح إلى الإمام يسأله عن الله عز وجل: أكان يعلم الأشياء قبل خلق الأشياء وكونها،

---

(١) المصدر السابق نفسه ١/١١٨، الصدوق/ التوحيد/ ١٨٥.

(٢) أشارت الرواية أن الذبيح هو إسحاق، بينما تدل الروايات الأخرى أنه إسماعيل(ع) وهو ما عليه الإمامية.

(٣) الكليني/ أصول الكافي ١/١٥١.

(٤) الصدوق/ التوحيد/ ٢٨٣.

أو لم يعلم ذلك حتى خلقها وأراد خلقها وتكوينها، فعلم ما خلق عندما خلق، وما كوّن عندما كوّن؟

فوقع الإمام علي الهادي بخط يده: «لم يزل الله عالماً بالأشياء قبل أن يخلق الأشياء كعلمه بالأشياء بعد ما خلق الأشياء»[(١)].

٩. وللإمام علي الهادي(عليه السلام) تفصيل دقيق مستفيض عن كيفية علم الله تعالى، بما روى عن معلى بن محمد، قال:

سئل العالم(عليه السلام): كيف علم الله؟ قال:

«علم وشاء، وأراد، وقدّر، وقضى، وأبدى، فأمضى ما قضى، وقضى ما قدّر، وقدّر ما أراد، فبعمله كانت المشيئة، وبمشيئته كانت الإرادة، وبإرادته كان التقدير، وبتقديره كان القضاء، وبقضائه كان الإمضاء.

فالعلم متقدم المشيئة، والمشيئة ثانية، والإرادة ثالثة، والتقدير واقع على القضاء بالإمضاء، فلله تبارك وتعالى البداء فيما علم متى شاء، وفيما أراد لتقدير الأشياء، فإذا وقع القضاء بالإمضاء فلا بداء.

فالعلم بالمعلوم قبل كونه، والمشية في المنشأ قبل عينه، والإرادة في المراد قبل قيامه، والتقدير لهذه المعلومات قبل تفصيلها وتوصيلها عياناً وقياماً، والقضاء بالإمضاء هو المبرم من المفعولات ذوات الأجسام.

المدركات بالحواسّ من ذي لون وريح ووزن وكيل وما دبّ ودجّ من إنسٍ وجن وطير وسباعٍ وغير ذلك مما يدرك بالحواس، فلله تبارك وتعالى فيه البداء مما لا عين له، فإذا وقع العين المفهوم المدرك فلا بداء.

والله يفعل ما يشاء، وبالعلم علم الأشياء قبل كونها، وبالمشيّة عرف صفاتها وحدودها، وأنشأ إظهارها، وبالإرادة ميّز أنفسها في ألوانها وصفاتها

---

(١) الصدوق/ التوحيد/ ١٤٥.

وحدودها، وبالتقدير قدّر أوقاتها وعرف أوّلها وآخرها، وبالقضاء أبان للناس أماكنها ودلّ عليها، وبالإمضاء شرح عللها، وأبان أمرها، وذلك تقدير العزيز العليم»[(١)].

١٠. وللإمام عرض ميداني عجيب لمعنى «اللطيف» أوضحه للفتح بن يزيد الجرجاني حينما سأله عن ذلك، وفيه توظيف للمفهوم على مصاديقه الخارجيه في دقة تطبيقية متناهية.

قال الإمام(عليه السلام): «يا فتح، إنما قلنا: اللطيف للخلق اللطيف لعلمه بالشيء اللطيف، ومن الحيوان الصغار، ومن البوض والجرجس، وما هو أصغر منها ما لا تكاد تستبينه العيون، بل لا يكاد يستبان لصغره الذكر من الأنثى، والحدث المولود من القديم: فلمّا رأينا صغر ذلك في لطفه، واهتداءه للسفاد والهرب من الموت، والجمع لما يصلحه، وما في لجج البحار، وما في لحاء الأشجار، والمفاوز والقفار، وإفهام بعضها في بعض منطقها، وما يفهم به أولادها عنها، ونقلها الغذاء إليها، ثم تأليف ألوانها حمرة مع صفرة، وبياض مع حمرة، وأنه ما لا تكاد عيوننا تستبينه لدمامة خلقها، لا تراه عيوننا ولا تلمسه أيدينا؛ علمنا أن خالق هذه الخلق لطيف، لطف بما سميناه بلا علاج ولا أداة ولا آلة، وأن كل صانع شيء فمن شيء صنع، والله الخالق اللطيف الجليل خلق وصنع من لا شيء»[(٢)].

وفي ضوء ما تقدم نلمس ما عليه الإمام من قدرة فائقة في تعليل حقائق الأشياء، وفلسفة تلك الحقائق سيما في قضايا التوحيد وصفات الذات وما يتبعها من ظواهر وإشكاليات، كما تستبين مدى التداعيات الكبرى في عصر الإمام(عليه السلام)، وهو يكبح من جماح ذلك المناخ الهائج بما شاهدناه من إجاباته

---

(١) الصدوق/ التوحيد/ ٣٣٤.

(٢) الكليني/ الكافي ١/١١٨، الصدوق/ التوحيد/ ١٨٥.

المتوازنة في دفع الشبهات ورد نزاعات التضليل، مضافاً إلى هذا وذاك فقد شاهدنا أبعاد ذلك الضجيج الحافل بأمهات المسائل العقلية بنتيجة التلاقح الحضاري بين الشعوب والأمم التي دخلت في الإسلام.

وتوارد الأفكار الواردة وهي تتطلع إلى معرفة رأي أهل البيت(عليهم السلام) في جملة المؤشرات الكلامية المتصارعة في كثير من المشاهد.

ومن آثار اختلاط ثقافة المسلمين بثقافات أخرى إغريقية أو يونانية أو رومانية أو زرادشتية، وتشجيع الحاكمين على خوض مباحث التجسيم والرؤية والشبيه والإرادة والمشيئة والقدر وخلق القرآن أو قدمه، أن اصطفّت فرق الصراع العقائدي متقابلة بين المذاهب والاتجاهات، فأشغل الشعب المسلم في جدل ونقاش وحجاج بعيد عن الأفق السياسي لتتفرغ الخلافة العباسية وأتباعها لشؤونها الخاصة ومؤامراتها في الانفراد في الحكم، والسيطرة على مرافق الدولة، وقد نجحت في هذا التخطيط الشاغل لأفكار الأمة في متاهات أدّى بعضها إلى سفك الدماء.

ومن ناحية أخرى ينبغي أن لا يُغْفَل أن هذا الصراع قد تمخض عن حركة فكرية مترامية الأطراف، انبعثت من خلالها موجة جديدة أرهفت الأذهان وشحذت العقول في التطلّع إلى آراء ومثل واتجاهات اختلطت فيها الفلسفة القديمة بالأفكار الكلامية المحدثة، مما أدّى إلى شيوع ثقافات لم تكن، ومناهج جديدة في البحث والبرهنة لم تتضح من ذي قبل، وكان هذا الاستثمار مديناً للإمام علي الهادي(عليه السلام) في جمهرة من إفاضاته الاحتجاجية، وسيل من آرائه المتدفقة بالإفادة والاستقراء المعرفي، وكان من أبرز معالم ذلك، رسالته الشهيرة في الرد على أهل الجبر والتفويض، كما سترى في البحوث الآتية.

❊ ❊ ❊



رسالة الإمام الهادي في الجبر والتفويض

وكان من خمائل النبوغ الكلامي لدى الإمام علي الهادي(عليه السلام)، تلك الرسالة الفريدة التي بعث بها إلى أهل الأهواز، وقد سألوه عن «الجبر والتفويض».

والجبر يعني لدى القائلين به من الأشاعرة أن العباد لا يمتلكون تلك الحرية في أعمالهم، ولا الإرادة في أفعالهم، وأنهم مجبورون على ذلك جبراً حتمياً، وعلى هذا فهم غير مسؤولين عمّا فعلوا، ولا مخيرين فيما عملوا، وذلك مما يؤدي إلى الانحدار في مزالق الاستهانة بأداء الواجبات، والامتناع عن المحرمات، والتوقف عند الشبهات، ويوحي بالفوضى التي لا حدود لها في الالتزام الديني الذي يبدو الإنسان في ضوئها آلة مسخّرة فيما تشاء وتختار وتقرر.

والتفويض لدى القائلين به من المعتزلة أن العباد غير مقيدين في التصرّف، لأن الله تعالى قد فوّض إليهم التحكّم في الأفعال والأعمال، وترك لهم الإرادة المطلقة في الاختيار، فلا سلطان عليهم، ولا إرادة لسواهم، مما يعزل الإشاءة الإلهية جانباً، ويستبعد التوفيق من الله في الأعمال الصالحة، ويحجم إرادته تعالى في اجتناب السيئات، وتعود الأوامر والنواهي الصادرة منه تعلى لا تتعدى إشاءة الإنسان في الامتثال أو الرفض.

وجاءت أطروحة الإمام علي الهادي(عليه السلام) تأكيداً لاستمرارية المبدأ الذي عليه أئمة أهل البيت(عليهم السلام) لدى برمجة الإمام الصادق(عليه السلام) له في قوله «لا جبر ولا تفويض ولكن منزلة بين المنزلتين» أو «ولكن الأمر بين أمرين» والمؤدى واحد.

هذه النظرية عرفت لأهل البيت مصطلحاً بـ«الأمر بين الأمرين» وهو ما ركّز عليه الإمام علي الهادي(عليه السلام) في دراسته المعمّقة في هذه الرسالة الفريدة التي كشفت الإبهام عن الحقائق، وأوضحت شبهات الإبهام لدى الرافضين لها.

وقد قدّمت هذه الأطروحة كشفاً كلامياً رائعاً أزال الأوهام العالقة في الأفق الجدلي، وأنار السبيل بين يدي المتعلمين. وكانت هذه ارسالة -بحق- برنامجاً جديداً لا نظير له في عصره بمشاهد علم الكلام، وقد مهّد الإمام لآرائه بمقدمة أسف فيها لافتراق المسلمين وتشتت أفكارهم، ونعى عليهم اختلافهم في الدين، وخوضهم في مجاهيل القدر، ومتاهات الجبر، وأراجيف التفويض، مما أدى إلى القطيعة والتنابذ والعداء، قال(عليه السلام): «من علي بن محمد؛ سلام عليكم وعلى من اتبع الهدى ورحمة الله وبركاته.

ورَدَ عليَّ كتابكم، وفهمت ما ذكرتم من اختلافكم في دينكم، وخوضكم في القدر، ومقالة من يقول منكم بالجبر، ومن يقول بالتفويض، وتفرقكم في ذلك وتقاطعكم، وما ظهر من العداوة بينكم، ثم سألتموني عنه وبيانه لكم، وفهمت ذلك كله».

ثم بدأ الإمام في مباحثه التمهيدية لهذا الموضوع الخطير بأمرين مهمين، أجال فيها النظر في القرآن والحديث الشريف، فأحال إليهما في عرض فريد يتسم بالموضوعية والاستقلال كما سترى.

* * *

التأكيد على إمامة القرآن وقيادة أمير المؤمنين(عليه السلام)

ربط الإمام في مدخل حديثه المهمّ هذا بين إمامة القرآن العظيم وقيادة أمير المؤمنين الإمام علي(عليه السلام) في تلاحم عضوي فريد، فاعتبر القرآن هو الحق الذي يجب أن يتّبع، وقد أجمع المسلمون على ذلك، فإذا شهد القرآن بتصديق خبر صُدِّق، وكان هذا التقديم في معرض بيان هدف استراتيجي صرّح به الإمام بصحة حديث الثقلين معلناً، وأولوية أمير المؤمنين وأوليته بالمنصب الإلهي مجاهراً، واستدلّ على ضرورة قيادة أئمة أهل البيت(عليهم السلام) دون سواهم بالنصّ والوصية والمؤهلات الكبرى.

قال الإمام: «اعلموا رحمكم الله أنّا نظرنا في الآثار وكثرة ما جاءت به الأخبار، فوجدناها عند جميع من ينتحل الإسلام ممن يعقل عن الله عز وجل لا يخلو من معنيين:

إمّا حقٌّ فيتبع، وإما باطل فيجتنب.

وقد أجمعت الأمة قاطبة لا اختلاف بينهم: أن القرآن حقٌّ لا ريب فيه عند جميع أهل الفِرق، وفي حال اجتماعهم مقرّون بتصديق الكتاب وتحقيقه، مصيبون مهتدون وذلك بقول رسول الله(صلى الله عليه وآله): «**لا تجتمع أمتي على ضلالة**» فأخبر أن جميع ما اجتمعت عليه الأمة كلّها حقّ، هذا إذا لم يخالف بعضها بعضاً، وهذا معنى الحديث، لا ما تأوّله الجاهلون ولا ما قاله المعاندون من إبطال حكم الكتاب، واتّباع حكم الأحاديث المزوّرة

والروايات المزخرفة والأهواء المردية المهلكة التي تخالف نصّ الكتاب وتحقيق الآيات الواضحات النيرات.

ونحن نسأل الله أن يوفقنا للصواب ويهدينا إلى الرشاد.

والقرآن حق لا اختلاف بينهم في تنزيله وتصديقه، إذا شهد القرآن بتصديق خبر وتحقيقه، وأنكر الخبرَ طائفةٌ من الأمّة، لزمهم الإقرار به ضرورة حين اجتمعت على تصديق الكتاب، فإنْ هي جحدت وأنكرت لزمها الخروج من الملّة».

وأول ما يفاجئك في هذا النصّ النقد التأريخي للأخبار، والتحليل المنطقي لمعانيها، وقبول ما وافق القرآن، ورفض ما رفض القرآن، وهي مقياس صحيح لا يختلف به اثنان، ولا يردّه إلا مكابر أو خارج عن الإجماع الملّي، ولمّا كان القرآن حقاً لا اختلاف بين الأمّة في تنزيله وتصديقه، قبلنا من الأخبار ما صدّق القرآن، فإذا أنكر ذلك بعض الأمّة لزمه الإقرار به ضرورة لاجتماع الأمة عليه «**لا تجتمع أمتي على ضلالة**» وهو استدلال لازم، فإذا أنكرت ذلك طائفة لزمها الخروج عن الأمّة.

والأمر المترابط عضوياً لدى الإمام في هذا العرض هو التأكيد على قيادة أمير المؤمنين(عليه السلام) من خلال الحديث المجمع عليه، وشواهده من القرآن العظيم، والاسترسال بجزء تسمح به طبيعة الموضوع من أحاديث الرسول الأعظم(صلى الله عليه وآله وسلم) المتواترة عند الأطراف، مستدلاً على موافقتها للكتاب فيما نصّت عليه، والإقرار بها من قبل فصائل الأمة كافة، مشفوعة بالوقائع التي أوجبت هذه الأحاديث، فكان استقراءً لما جهله شذّاذ عصره، واستذكاراً لما جحده حكّام الدولة، وحفاظاً للصفوة الباقية من الانحراف، وتأكيداً جديداً على إمامة علي أمير المؤمنين(عليه السلام)، وكان ذلك.

هذا التمهيد الذي قصد إليه الإمام بعناية تامة، سيكون أساساً لما سيبديه من الأفكار في العقائد مستنداً فيه بإفاضات باعتبارهم قادة الأمة، وأصحاب المنصب الإلهي في الإمامة الشرعية، وبذلك يكون الإمام علي الهادي(عليه السلام) في تمهيده هذا قد استمسك بكتاب الله والعترة عملاً بحديث الثقلين، ليؤديه إلى الأمة على الصعيد العملي، كما بلغها على المستوى النظري قال الإمام(عليه السلام): «فأول خبر يعرف تحقيقه من الكتاب، وتصديقه والتماس شهادته عليه خبر ورد عن رسول الله(صلى الله عليه وآله)، ووجد بموافقة الكتاب وتصديقه، بحيث لا تخالفه أقاويلهم، حيث قال: «**إني مخلف فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي، لن تضلّوا ما تمسكتم بهما، وإنهما لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض**».

فلما وجدنا شواهد هذا الحديث في كتاب الله نصاً مثل قوله جل وعزّ: ﴿**إِنَّما وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكاةَ وَهُمْ راكِعُونَ * وَمَنْ يَتَوَلَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الْغالِبُونَ**﴾[1] وروت العامة في ذلك أخباراً لأمير المؤمنين(عليه السلام) أنه تصدّقَ بخاتمه وهو راكع، فشكر الله ذلك له، وأنزل الآية فيه.

ووجدنا رسول الله(صلى الله عليه وآله) قد أتى بقوله: «**من كنت مولاه فعليٌّ مولاه**» وبقوله: «**أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي**» ووجدناه يقول: «**عليٌّ يقضي ديني وينجز موعدي، وهو خليفتي عليكم من بعدي**» والخبر الأول الذي استنبطت منه هذه الأخبار خبر صحيح مجمع عليه لا اختلاف فيه عندهم، وهو أيضاً موافق للكتاب، فلما شهد الكتاب بتصديق الخبر وهذه الشواهد الأخر، لزم على الأمة الإقرار بها ضرورة، إذ كانت هذه الأخبار شواهدها من القرآن ناطقة، ووافقت القرآن، والقرآن وافقها.

---

(١) سورة المائدة/ الآيات من ٥٥-٥٦.

ثم وردت حقائق الأخبار من رسول الله(ص) ونقلها قوم ثقات معروفون، فصار الاقتداء بهذه الأخبار فرضاً واجباً على كل مؤمن ومؤمنة لا يتعداه إلا أهل العناد، وذلك أن أقاويل رسول الله(ص) متصلة بقول الله، وذلك مثل قوله في محكم كتابه: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَاباً مُهِيناً**﴾[1]. ووجدنا نظير هذه الآية قول رسول الله(ص):

«من آذى علياً فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله، ومن آذى الله يوشك أن ينتقم منه» وكذلك قوله(ص):

«من أحبّ علياً فقد أحبّني، ومن أحبني فقد أحبّ الله».

ومثل قوله في بني وليعة:

«لأبعثن إليهم رجلاً كنفسي يحبّ الله ورسوله، ويحبّه الله ورسوله، قم يا علي فسر إليهم».

وقوله(ص) يوم خيبر:

«لأبعثن إليهم غداً رجلاً يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله، كراراً غير فرارٍ، لا يرجع حتى يفتح الله عليه».

فقضى رسول الله(ص) بالفتح قبل التوجيه، فاستشرف لكلامه أصحاب رسول الله(ص)، فلما كان من الغد دعا علياً(ع)، فبعثه إليهم، فاصطفاه بهذه المنقبة، وسمّاه كراراً غير فرار، محبّاً لله ولرسوله، وأخبر أن الله ورسوله يحبّانه.

وإنما قدمنا هذا الشرح والبيان دليلاً على ما أردنا، وقوة لما نحن مبينوه من أمر الجبر والتفويض، والمنزلة بين المنزلتين. وبالله العون والقوة، وعليه نتوكل في جميع أمورنا».

---

(١) سورة الأحزاب/ الآية ٥٧.

وكانت هذه المقدمة تمهيداً لصلب الموضوع، وقد بنى عليه الإمام علي الهادي(عليه السلام) حقيقة كبرى، وهذه الحقيقة تعبير باللازم: أن ما يتفوه به لا مصدر له إلا القرآن، وأن ما سيوضحه لا مرجع فيه إلاّ أئمة أهل البيت، محتجاً بذلك على إمامتهم في نصوص قرآنية وحديثية قاطعة، فالقول مع هذه الحقيقة قولهم، والرادّ عليهم رادٌّ على الله، فهم خلفاؤه في أرضه، وحججه على عباده، وأولياؤه في الكون الفسيح.

❊ ❊ ❊



نظرية الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) هي الأصل

ثم بدأ الإمام بصُلب الموضوع بعد ذلك المتهيد الاحتجاجي الضروري، ليفهم المسلمون المختلفون أن القول قوله ليس غير، وكانت بدايته قوله:

«فإنا نبدأ من ذلك بقول الصادق(عليه السلام):

«لا جبر ولا تفويض، ولكن منزلة بين المنزلتين».

وهي صحة الخلقة، وتخلية السرب، والمهلة في الوقت، والزاد مثل الراحلة، والسبب المهيّج للفاعل على فعله.

فهذه خمسة أشياء جمع بها الصادق(عليه السلام) جوامع الفضل: فإذا نقض العبد منها خلّة كان العمل عنه مطروحاً بحسبه.

فأخبر الصادق(عليه السلام) بأصل ما يجب على الناس من طلب المعرفة، ونطق الكتاب بتصديقه، فهشد بذلك محكمات آياته لأن الرسول(صلى الله عليه وآله)، وآله(عليهم السلام) لا يعدو شيء من قوله وأقاويلهم حدود القرآن. فإذا وردت حقائق الأخبار والتمست شواهدها من التنزيل فوُجدَ لها مواقف وعليها دليل، كان الاقتداء بها فرضاً لا يتعداه إلاّ أهل العناد.

ولمّا التمسنا تحقيق ما قاله الصادق من المنزلة بين المنزلتين، وإنكاره الجبر والتفويض، وجدنا الكتاب قد شهد له، وصدّق مقالته في هذا وخبرٌ عنه أيضاً موافقٌ لهذا: إن الصادق سئل:

هل أجبر الله العباد على المعاصي؟

فقال: هو أعدل من ذلك.

فقيل له: فهلْ فوّض إليهم؟

فقال: هو أعزّ وأقهر لهم من ذلك.

وروي عنه أنه قال: «الناس في القدر على ثلاثة أوجه:

رجل يزعم أن الله مفوّض إليه، فقد وهن الله في سلطانه فهو هالك.

ورجل يزعم أن الله جلّ وعزّ أجبر العباد على المعاصي، وكلّفهم مالا يطيقون، فقد ظلم الله في حكمه، فهو هالك.

ورجل يزعم أن الله كلّف العباد ما يطيقون، ولم يكلفهم مالا يطيقون، فإذا أحسن حمد الله، وإذا أساء استغفر الله، فهذا مسلم بالغ».

فأخبر(ع) أن من تقلّد الجبر والتفويض ودان بهما فهو على خلاف الحق».

ومن هنا يتجلى أن قول الإمام الصادق(ع) في النظريات الثلاث: الجبر والتفويض والمنزلة بين المنزلتين، هو الأصل الذي بني عليه صُلب الموضوع في النظر العقلي في أبعاد ذلك.

ثم قام الإمام علي الهادي(ع) بالاستدلال قرآنياً على بطلان الجبر والتفويض، وعلى صحة القول بالأمر بين الأمرين.

وسيختصر البحث -حذر الإطالة- نظرية الإمام الهادي(ع) في هذا الموضوع، تاركين الباب مفتوحاً لمن يأتي بصرنا لخوض غمار الحديث، إذ حديث الإمام الهادي مشفوع دلالياً وإيحائياً ووجدانياً بالأمثال التقريبية والنظائر الموضحة، وإعطاء خلاصتها من قبلنا بلوغ لأهدافها في التنظير الكلامي.

إبطال نظرية الجبر

وعكف الإمام علي الهادي(عليه السلام) ببلاغته المعهودة و... آيات القرآن العظيم على لسانه، على إبطال نظرية الجبر وتسفيه أحلام من ذهب إلى ذلك بالبرهان، قال الإمام(عليه السلام):

«فأما الجبر الذي يلزم من دان به الخطأ، فهو قول من زعم أن الله جلّ وعزّ أجبر العباد على المعاصي وعاقبهم عليها، ومن قال بهذا القول فقد ظلم الله في حكمه وكذّبه وردّ عليه قوله:

﴿وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً﴾[1].

وقوله: ﴿ذلِكَ بِما قَدَّمَتْ يَداكَ وَأَنَّ اللهَ لَيْسَ بِظَلاَّمٍ لِلْعَبِيدِ﴾[2].

وقوله: ﴿إِنَّ اللهَ لا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئاً وَلكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾[3].

مع آي كثيرةٍ في ذكر هذا، فمن زعم أنه مجبر على المعاصي فقد أحال بذنبه على الله، وقد ظلمه في عقوبته له، ومن ظلم الله فقد كذّب كتابه، ومن كذّب كتابه فقد لزمه الكفر بإجماع الأمة.

فمن دان بالجبر وبما يدعو إلى الجبر، فقد ظلم الله ونسبه إلى الجور والعدوان، إذ أوجب على من أجبره العقوبة، ومن زعم أن الله أجبر العباد

(١) سورة الكهف/ الآية ٤٩.

(٢) سورة الحج/ الآية ١٠.

(٣) سورة يونس/ الآية ٤٤.

فقد أوجب على قياس قوله أن الله يدفع عنهم العقوبة، ومن زعم أن الله يدفع عن أهل المعاصي العذاب فقد كذّب الله في وعيده حيث يقول:

﴿بلى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولئكَ أَصْحابُ النَّارِ هُمْ فِيها خالِدُونَ﴾(١).

وقوله: **﴿إِنَّ الَّذينَ يَأْكُلُونَ أَمْوالَ الْيَتامى ظُلْماً إِنَّما يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ ناراً وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيراً﴾**(٢).

وقوله: **﴿إِنَّ الَّذينَ كَفَرُوا بِآياتنا سَوْفَ نُصْليهِمْ ناراً كُلَّما نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْناهُمْ جُلُوداً غَيْرَها لِيَذُوقُوا الْعَذابَ إِنَّ اللهَ كانَ عَزِيزاً حَكِيماً﴾**(٣).

مع آي كثيرةٍ في هذا الفن ممن كذّب وعيد الله ولزمه في تكذيبه آية من كتاب الله الكفرُ، وهو ممن قال الله:

﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَما جَزاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذلكَ مِنْكُمْ إِلاَّ خِزْيٌ فِي الْحَياةِ الدُّنْيا وَيَوْمَ الْقِيامَةِ يُرَدُّونَ إِلى أَشَدِّ الْعَذابِ وَمَا اللهُ بِغافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾(٤).

بل نقول: إن الله جلّ وعزّ يجازي العباد على أعمالهم، ويعاقبهم على أفعالهم بالاستطاعة التي ملّكهم إياها، فأمرهم ونهاهم بذلك، ونطق كتابه:

﴿مَنْ جاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثالِها وَمَنْ جاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلا يُجْزى إِلاَّ مِثْلَها وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ﴾(٥).

---

(١) سورة البقرة/ الآية ٨١.
(٢) سورة النساء/ الآية ١٠.
(٣) سورة النساء/ الآية ٥٦.
(٤) سورة البقرة/ الآية ٨٥.
(٥) سورة الأنعام/ الآية ١٦٠.

وقال جلّ ذكره: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ ما عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَراً وَما عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَها وَبَيْنَهُ أَمَداً بَعِيداً وَيُحَذِّرُكُمُ اللهُ نَفْسَهُ﴾[1].

وقال: ﴿الْيَوْمَ تُجْزى كُلُّ نَفْسٍ بِما كَسَبَتْ لا ظُلْمَ الْيَوْمَ...﴾[2].

فهذه آيات محكمات تنفي الجبر ومن دان به، ومثلها في القرآن كثير»[3].

فأنت ترى الإمام متفنناً باستدلاله على بطلان الجبر عقلاً وشرعاً ونصوصاً قرآنية غزيرة، لأن من قال بالجبر فقد ظلم الله تعالى، ومن نسب لله الظلم فقد ظلمه، وكان ما استقرأه الإمام من آيات القرآن المتعاقبة في هذا الملحظ خير دليل على ذلك لأنها جميعاً ناطقة بتفنيد هذا المذهب وبطلان القول به، لأن من دان به فقد ظلم ربّه ونسبه إلى الجور والعدوان.

وثمة ناحية مهمة أن القول بذلك يلزم قياساً أن الله يدفع عن الظالمين وأهل المعاصي العقوبة والعذاب وما أعدّ لهم يوم القيامة من الجزاء العادل، ومن قال بذلك فقد كذّب الله بوعيده، وآيات الوعيد ظاهرة الدلالة لأنها محكمة غير متشابهة وغير منسوخة، وكل ذلك ينفي الجبر، ويفنّد رأي من قال به، وكفى بآيات الكتاب -لدى المحاكمة العقلية- دليلاً على ذلك، وهذا ما جسّده الإمام بصورة حيّة غير قابلة للفصل والتضبيب.

❊ ❊ ❊

(١) سورة آل عمران/ الآية ٣٠.

(٢) سورة غافر/ الآية ١٧.

(٣) الرسالة أعلاه.



دحض مقالة التفويض

واستهل الإمام علي الهادي(عليه السلام) حديثه بإبطال مقالة التفويض بما أبداه الإمام الصادق(عليه السلام) في إبطالها، وتقويض أركانها بالدليل العقلي، واستجلاء حكمة الله تعالى وعدالته وترفعه عن إثابة المسيء وظلم المحسن، فهو قد أمر عباده بما شاء وشرّع، وكتب على نفسه الوعد بالثواب على اتّباع أوامره، وقد نهى عباده وأوعد بالعقاب مَنْ عصاه، ولو فوّض الأمر بهذين لعباده لكان ذلك إهمالاً لهم والعياذ بالله، قال الإمام(عليه السلام):

«وأما التفويض الذي أبطله الصادق(عليه السلام) وخطّأ من دان به وتقلّده، فهو قول القائل: إن الله جلّ ذكره فوّض إلى العباد اختيار أمره ونهيه وأهملهم.

وفي هذا كلام دقيق لمن يذهب إلى تحريره ودقته، وإلى هذا ذهبت الأئمة المهدية من عترة رسول الله(صلى الله عليه وآله)، فإنهم قالوا: لو فوّض الله أمره إليهم على جهة الإهمال لكان لازماً له رضى ما اختاروه، واستوجبوا منه الثواب، ولم يكن عليهم فيما اجترموا العقاب، إذا كان الإهمال واقعاً.

وتنصرف هذه المقالة على معنيين: إما أن يكون العباد تظاهروا عليه فألزموه بآرائهم ضرورة، كره ذلك أم أحبّ، فقد لزمه الوهن. أو يكون جلّ وعزّ عجز عن تعبدهم بالأمر والنهي على إرادته، كرهوا أو أحبوا، ففوّض أمره ونهيه إليهم وأجراهما على محبّتهم، إذ عجز عن تعبدهم بإرادته، فجعل الاختيار إليهم في الكفر والإيمان... وفي إثبات

العجز نفي القدرة والتأله، وإبطال الأمر والنهي والثواب والعقاب ومخالفة الكتاب إذ يقول:

﴿وَلا يَرْضى لِعِبادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ...﴾(١).

وقوله عزّ وجل: ﴿اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ..﴾(٢).

وقوله: ﴿وَما خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ * ما أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَما أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ﴾(٣).

وقوله: ﴿اعْبُدُوا اللهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً...﴾(٤).

وقوله: ﴿أَطِيعُوا اللهَ وَرَسُولَهُ وَلا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ﴾(٥).

فمن زعم أن الله تعالى فوّض أمره ونهيه إلى عباده فقد أثبت عليه العجز، وأوجب عليه قبول كل ما عملوا من خير وشر، وأبطل أمر الله ونهيه ووعده ووعيده، لعلّة ما زعم أن الله فوضها إليه، وأن المفوّض إليه يعمل بمشيئته، فإن شاء الكفر أو الإيمان كان غير مردود عليه ولا محظور فمن دان بالتفويض على هذا المعنى فقد أبطل جميع ما ذكرناه من وعده ووعيده وأمره ونهيه، وهو من أهل هذه الآية:

﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَما جَزاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذلِكَ مِنْكُمْ إِلاَّ خِزْيٌ فِي الْحَياةِ الدُّنْيا وَيَوْمَ الْقِيامَةِ يُرَدُّونَ إِلى أَشَدِّ الْعَذابِ وَمَا اللهُ بِغافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾(٦).»

---

(١) سورة الزمر/ الآية ٧.
(٢) سورة آل عمران/ الآية ١٠٢.
(٣) سورة الذاريات/ الآيات من ٥٦-٥٧.
(٤) سورة النساء/ الآية ٤٠.
(٥) سورة الأنفال/ الآية ٢٠.
(٦) سورة البقرة/ الآية ٨٥.

بهذا المنطق السهل، والاستدلال البديهي، واللغة الواضحة، والمحاكمة العقلية، أبطل الإمام القول بالتفويض بداهةً، لأن القول به قول بعجز الله تعالى، ومصادرة لقدرته وإشاءته وعدله، ومن لازم ذلك أن يعدّ وعد الله ووعيده وثوابه وعقابه لاغياً، فلا يثاب المطيع، ولا يعاقب العاصي، ويترتب على ذلك الفوضى في شؤون العباد، والظلم على الله تعالى عن ذلك.

❊ ❊ ❊

تأصيل نظرية الأمر بين الأمرين

وأصل الإمام علي الهادي(عليه السلام) نظرية الأمر بين الأمرين، أو المنزلة بين المنزلتين في ضوء القرآن الكريم وآياته، وبما أخبر به أمير المؤمنين وعلّم أصحابه، وبما حكم به العقل من صحة ذلك، وربط هذا وذاك بالاستطاعة التي خوّل بها العبد لاتباع أمر المولى واجتناب معاصيه، وذلك هو النصف والحكمة، وهو أبرز مظاهر العدل الإلهي فيما يعاقب عليه ويثيب، قال الإمام(عليه السلام): «لكن نقول أن الله جلّ وعزّ خلق الخلق بقدرته، وملّكهم استطاعة تعبدهم بها، فأمرهم ونهاهم بما أراد، فقبل منهم اتّباع أمره ورضى بذلك لهم، ونهاهم عن معصيته وذمّ من عصاه وعاقبه عليه، ولله الخيرة في الأمر والنهي يختار ما يريد ويأمر به، وينهى عمّا يكره ويعاقب عليه بالاستطاعة التي ملكها عباده لاتّباع أمره واجتناب معاصيه، لأنه ظاهر العدل والنصف والحكمة البالغة، بالغ الحجة بالإعذار والإنذار، وإليه الصفوة يصطفي من عباده من يشاء لتبليغ رسالته واحتجاجه على عباده، اصطفى محمداً(صلى الله عليه وآله) برسالاته إلى خلقه، فقال من قال من كفّار قومه حسداً واستكباراً:

﴿لَوْ لا نُزِّلَ هذَا الْقُرْآنُ عَلى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾[1].

يعني بذلك أمية ابن أبي الصلت وأبا مسعود الثقفي، فأبطل الله اختيارهم، ولم يجزْ لهم آراءهم حيث يقول:

---

(١) سورة الزخرف/ الآية ٣٠.

﴿أهم يقسمون رحمة ربك أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ في الْحَياة الدُّنْيا وَرَفَعْنا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْض دَرَجات لِيَتَّخذ بَعْضُهُمْ بَعْضاً سُخْرِيّاً وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ ممَّا يَجْمَعُونَ﴾[1].

ولذلك اختار من الأمور ما أحبّ ونهى عمّا كره، فمن أطاعه أثابه ومن عصاه عابه، ولو فوّض اختيار أمره لعباده لأجاز لقريش اختيار أمية بن أبي الصلت أو أبي مسعود الثقفي، إذ كانا عندهم أفضل من محمد(ص).

فلمّا أدّب الله المؤمنين بقوله: ﴿وَما كانَ لِمُؤْمِن وَلا مُؤْمِنَة إذا قَضَى اللهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ...﴾[2].

ولم يجزْ لهم الاختيار بأهوائهم، ولم يقبل منهم إلاّ اتّباع أمره واجتناب نهيه على يدي من اصطفاه، فمن أطاعه رشد، ومن عصاه ضل وغوى ولزمته الحجة بما ملكه من الاستطاعة لاتباع أمره واجتناب نهيه، ومن أجل ذلك حرمه ثوابه وأنزل به عقابه».

وبهذا المنطق التسلسلي التزم الإمام(ع) بتأصيل نظرية «الأمر بين الأمرين» وشرع بعدها بإيراد ما وقع في هذا الشأن لأمير المؤمنين(ع) من الحوادث التي أثيرت عنده، فأجاب عنها في ضوء هذا النظر العقلي، ليشير الإمام الهادي بذلك أن مصدر علمهم واحد، ومنبعه الأصل متحد، فقوله قول جدّه، وحديثه حديث أبيه، إيجاباً للحجة واستناداً للدليل.

قال الإمام علي الهادي(ع): «وهذا القول بين القولين ليس بجبر ولا تفويض، وبذلك أخبر أمير المؤمنين(ع): عباية بن ربعي الأسدي حين سأله عن الاستطاعة التي بها يقوم ويقعد ويفعل!!

---

(١) سورة الزخرف/ الآية ٣١.

(٢) المجلسي/ بحار الأنوار ٥٠/ ١٧٦.

فقال له أمير المؤمنين(عليه السلام): سألت عن الاستطاعة تملكها من دون الله أو مع الله؟

فسكت عباية: فقال له أمير المؤمنين(عليه السلام):

إن قلت إنك تملكها مع الله قتلتك!! وإن قلت تملكها من دون الله قتلتك!!

قال عباية: فما أقول يا أمير المؤمنين؟

قال(عليه السلام): تقول إنك تملكها بالله الذي يملكها من دونك!! فإن ملّكها إياك، كان ذلك من عطائه، وإن يسلبكها كان ذلك من بلائه، هو المالك لما ملّكك، والقادر على ما عليه أقدرك، أما سمعت الناس يسألون الحول والقوة حين يقولون: لا حول ولا قوة إلا بالله!!

قال عباية: وما تأويلها يا أمير المؤمنين؟

قال(عليه السلام): لا حول عن معاصي الله إلا بعصمة الله، ولا قوة لنا على طاعة الله إلا بعون الله».

وروي عن أمير المؤمنين(عليه السلام) حين أتاه نجدة يسأله عن معرفة الله، فقال: يا أمير المؤمنين: بماذا عرفت ربّك؟

قال(عليه السلام): بالتمييز الذي خوّلني، والعقل الذي دلّني.

قال: أفمجبولٌ أنت عليه؟

قال: لو كنت مجبولاً ما كنت محموداً على إحسان ولا مذموماً على إساءة، وكان المحسن أولى باللائمة من المسيء، فعلمت أن الله قائمٌ باقٍ وما دونه حدث زائل!! ولس القديم الباقي كالحدث الزائل!!

قال نجدة: أجدك أصبحت حكيماً يا أمير المؤمنين!!

قال: أصبحت مخيّراً، فإن أتيت السيئة بمكان الحسنة فأنا المعاقب عليها.

وروي عن أمير المؤمنين(عليه السلام) أنه قال لرجل سأله بعد انصرافه من الشام، فقال: يا أمير المؤمنين! أخبرنا عن خروجنا إلى الشام بقضاء وقدر؟

قال(عليه السلام): نعم يا شيخ، ما علوتم تلعة، ولا هبطتم وادياً إلاّ بقضاء وقدر من الله.

فقال الشيخ: عند الله أحتسب عنائي يا أمير المؤمنين!!

فقال(ع): مَهْ يا شيخ، فإن الله قد أعظم أجركم في مسيركم وأنتم سائرون، وفي مقامكم وأنتم مقيمون، وفي انصرافكم وأنتم منصرفون، ولم تكونوا في شيء من أموركم مكرهين، ولا إليه مضطرين، لعلك ظننت أنه قضاء حتم وقدر لازم، لو كان ذلك كذلك لبطل الثواب والعقاب، ولسقط الوعد والوعيد، ولما ألزمت الأشياء أهلها على الحقائق...

فقد دل أمير المؤمنين(ع) على موافقة الكتاب ونفي الجبر والتفويض اللذين يلزمان من دان بهما وتقلدهما الباطل والكفر وتكذيب الكتاب. ونعوذ بالله من الضلالة.

وقد وجدنا الإمام علي الهادي(ع) قد استند في تأصيل نظرية «الأمر بين الأمرين» أو «المنزلة بين المنزلتين» على ثلاث دعائم:

الأولى: العدل والنصفة والحكمة البالغة لله تعالى في الإعذار والإنذار، فامتار لهم ما أحبّ، ونهى عما كره، فاصطفى محمداً(ص) لتبليغ الرسالة، ولو فوض اختيار الأمر لعباده لكان قد أجاز لقريش اختيار أحد رجلين من القريتين عظيم على حدّ تعبيرهم الذي حكاه القرآن.

الثانية: شواهد القرآن العظيم في تقرير الحقائق الإلهية في تنزيل القرآن، وتقدير المعاش، ورفع بعض الناس فوق بعض درجات، وذلك لتكامل البنية الاجتماعية في تسخيل كلّ لما يحسنه، ومن ثم كان قضاؤه أمراً وهو الأصل، وكذلك قضاء رسوله، ولا خيرة لأحد فيما قضى.

الثالثة: الاستناد إلى المشاهد الميدانية التي تحدث بها أمير المؤمنين في ثلاث وقائع مشهورة، أصّلت هذا المفهوم من النظرية.

وهذا منتهى الإعذار من الإمام علي الهادي في الاستدلال.

* * *

الاختبار والبلوى بالاستطاعة أساس النظرية

وقد بنى الإمام علي الهادي(عليه السلام) نظرية المنزلة بين المنزلتين أو الأمر بين الأمرين على أساس الاختبار والبلوى بالاستطاعة التي ملّكها الله للعباد، وأفاض بدلائل ذلك من الكتاب وما دان به الأئمة الأبرار.

وضرب الإمام في هذا السياق الأمثال والنظائر القرآنية على نموذجي الاختبار والبلوى بالاستطاعة التي تجمع القول بين القولين.

قال الإمام: ولسنا ندين بجبر ولا تفويض، لكنّا نقول بمنزلة بين المنزلتين، وهو الامتحان والاختبار بالاستطاعة التي ملّكنا الله، وتعبدنا بها، على ما شهد به الكتاب ودان به الأئمة الأبرار من آل الرسول(صلى الله عليه وآله)... فأمّا شواهد القرآن على الاختبار والبلوى بالاستطاعة التي تجمع القول بين القولين فكثيرة، ومن ذلك قوله: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَا أَخْبارَكُمْ﴾[1].

وقال: ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لا يَعْلَمُونَ..﴾[2].

وقال: ﴿الم * أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ﴾[3].

---

(١) سورة محمد/ الآية ٣١.

(٢) سورة الأعراف/ الآية ١٨٢.

(٣) سورة العنكبوت/ الآيات من ١-٢.

وقال في الفتن التي معناها الاختبار ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمانَ﴾[(١)]. وقال في موسى ﴿فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ﴾[(٢)]. وقال موسى: ﴿إِنْ هِيَ إِلاَّ فِتْنَتُكَ...﴾[(٣)].

أي اختبارك، فهذه الآيات يقاس بعضها ببعض، ويشهد بعضها لبعض.

وأمّا آيات البلوى بمعنى الاختبار فقوله: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ فِي ما آتاكُمْ..﴾[(٤)].

وقوله: ﴿ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ...﴾[(٥)].

وقوله: ﴿إِنَّا بَلَوْناهُمْ كَما بَلَوْنا أَصْحابَ الْجَنَّةِ...﴾[(٦)].

وقوله: ﴿خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَياةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً...﴾[(٧)].

وقوله: ﴿وَإِذ ابْتَلى إِبْراهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمات...﴾[(٨)].

وقوله: ﴿وَلَوْ يَشاءُ اللهُ لاَنْتَصَرَ مِنْهُمْ وَلكِنْ لِيَبْلُوَا بَعْضَكُمْ بِبَعْض..﴾[(٩)].

وكل ما في القرآن من بلوى هذه الآيات التي شرح أولها فهي اختبار، وأمثالها في القرآن كثيرة في إثبات الاختبار والبلوى.

إن الله جلّ وعزّ لم يخلق الخلق عبثاً، ولا أهملهم سدى، ولا أظهر حكمته لعباً، وبذلك أخبر في قوله: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّما خَلَقْناكُمْ عَبَثاً..﴾[(١٠)].

فلو قال قائل: فلم يعلم الله ما يكون من العباد حتى اختبرهم؟ قلنا: بلى، قد علم ما يكون منهم قبل كونه، وذلك قوله: ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعادُوا لما نُهُوا عَنْهُ﴾[(١١)].

---

(١) سورة ص/ الآية ٣٤.
(٢) سورة طه/ الآية ٨٥.
(٣) سورة الأعراف/ الآية ١٥٥.
(٤) سورة المائدة/ الآية ٤٨.
(٥) سورة آل عمران/ الآية ١٥٢.
(٦) سورة القلم/ الآية ١٧.
(٧) سورة الملك/ الآية ٢.
(٨) سورة البقرة/ الآية ١٢٤.
(٩) سورة محمد/ الآية ٤.
(١٠) سورة المؤمنون/ الآية ١١٥.
(١١) سورة الأنعام/ الآية ٢٨.

وإنما اختبرهم ليعلمهم عدله، ولا يعذبهم إلا بحجّة بعد الفعل، وقد أخبر بقوله: ﴿وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْناهُمْ بِعَذابٍ مِنْ قَبْلِهِ لَقالُوا رَبَّنا لَوْ لا أَرْسَلْتَ إِلَيْنا رَسُولاً...﴾[1].

وقوله: ﴿وَما كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً﴾[2].

وقوله: ﴿رُسُلاً مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ﴾[3].

فالاختبار من الله بالاستطاعة التي ملّكها عبده، وهو القول بين الجبر والتفويض، وبهذا نطق القرآن وجرت الأخبار عن الأئمة من آل الرسول (عليهم السلام).

فإن قالوا: ما الحجة في قول الله ﴿يُضِلُّ مَنْ يَشاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشاءُ﴾[4].

وما أشبهها؟ قيل: مجاز هذه الآيات على معنيين: أما أحدهما؛ فأخبار عن قدرته، أي أنه قادر على هداية من يشاء وضلال من يشاء، وإذا أجبرهم بقدرته على أحدهما لم يجب لهم ثواب ولا عليهم عقاب على نحو ما شرحنا.

والمعنى الآخر: إن الهداية منه تعريفه كقوله: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْناهُمْ..﴾[5] أي عرفناهم ﴿فَاسْتَحَبُّوا الْعَمى عَلَى الْهُدى﴾[6].

ولو أجبرهم على الهدى لم يقدروا أن يضلوا. وليس كلما وردت آية مشتبهة كانت الآية حجة على محكم الآيات اللواتي أمرنا بالأخذ بها، وذلك قوله:

---

(١) سورة طه/ الآية ١٣٤.

(٢) سورة الإسراء/ الآية ١٥.

(٣) سورة النساء/ الآية ١٦٥.

(٤) سورة النحل/ الآية ٩٣، سورة فاطر/ الآية ٨.

(٥) سورة فصلت/ الآية ١٧.

(٦) سورة فصلت/ الآية ١٧.

﴿منْهُ آياتٌ مُحْكَماتٌ هُنَّ أُمُّ الْكتاب وَأُخَرُ مُتَشابهاتٌ فَأَمَّا الَّذينَ في قُلُوبهمْ زَيْغٌ فَيَتَّبعُونَ ما تَشابَهَ منْهُ ابْتغاءَ الْفتْنَة وَابْتغاء تَأْويله...﴾[١].

وقال: ﴿فَبَشِّرْ عباد * الَّذينَ يَسْتَمعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبعُونَ أَحْسَنَهُ..﴾[٢].

أي أحكمه ﴿أُولئكَ الَّذينَ هَداهُمُ اللهُ وَأُولئكَ هُمْ أُولُوا الأَلْباب﴾[٣].

وفقنا الله وإياكم إلى القول والعمل لما يحب ويرضى، وجنبنا الله وإياكم معاصيه بمنه وفضله، والحمد لله كثيراً كما هو أهله، وصلى الله على محمد وآله الطيبين، وحسبنا الله ونعم الوكيل[٤].

* * *

(١) سورة آل عمران/ الآية ٧.

(٢) سورة الزمر/ الآية ١٨.

(٣) سورة الزمر/ الآية ١٨.

(٤) ظ: ابن شعبة/ تحف العقول/ ٣٤١-٣٥٦ وقد أورد النص كاملاً، واورد الطبرسي في الاحتجاج فقرات من الرسالة قد تصل إلى نصفها ٢/٤٨٧-٤٩٦، وأوردها كاملة الشيخ محمد حسن آل ياسين/ الإمام علي بن محمد الهادي/ ١١١/١٢٨ نقلاً عن تحف العقول، وعليها اعتمدنا في تحقيق النص.

الفصل السابع

مدرسة الإمام علي الهادي (عليه السلام)
في الرواية والرواة والأمثال

١. مدرسة الإمام الهادي امتدادٌ لمدرسة أهل البيت (عليهم السلام).

٢. مرويات الإمام الهادي عن النبي والأئمة:

أ. استطراد منهجي.

ب. مروياته عن الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم).

جـ. مروياته عن أمير المؤمنين (عليه السلام).

د. مروياته عن الأئمة (عليهم السلام).

٣. رواة أحاديث الإمام علي الهادي:

أ. جمهرة الرواة من تلامذة الإمام.

ب. المؤلفون من الرواة وكتبهم.

٤. اللآلئ المنثورة من حِكَم الإمام الهادي.



مدرسة الإمام الهادي امتداد لمدرسة أهل البيت(عليهم السلام)

كان من فضل الله تعالى على أئمة أهل البيت(عليهم السلام) أن جعلهم مناراً للأمة، وحماةً للدين، وشعلةً للإيمان. وكانت الحقيقة الزمنية التي رافقوا أيامها في لحظاتها الحاسمة تمتد إلى قرنين ونصف من الزمان حتى الغيبة الصغرى لولي الأمر(عليه السلام) وكان منهج الأئمة(عليهم السلام) يحظى بأدوار تأريخية مليئة بالأحداث الهائلة، ويتسم بالتضحيات الجسام التي قدمت على مذبح الحرية والإسلام، وكان رائدهم في هذا هو الإنسان بمستواه الحضاري المتطوّر فكراً وعطاءً ومواصفات، وذلك ما قدّمته رسالة السماء في الأرض من أطاريح تمتاز بالأصالة والمرونة والاتساع، فقد عاصر الإمام علي(عليه السلام) فتنة السقيفة وإفرازاتها التي عزلت أهل البيت عن قيادة الأمة سياسياً في إثرة قرشية اتسمت بالأرستقراطية ومرجعية الصحابة المطلقة، حتى إذا نهض بالأمر بعد ربع قرن من الزمن؛ نكثت طائفة، وقسطت أخرى، ومرق آخرون، وكان عليه من موقعه الرسالي أن يعيد الحق إلى نصابه، فامتشق سيفه على عاتقه أربع سنين، فكانت الأحداث دامية، حالت في كثير من سلبياتها عن تطبيقه المشروع الإلهي كما أراد الله، ولكنه نهض بالكثير على شدة المحنة وعظيم الرزية، وأعاد للصفوة المختارة ثقتها بالنفس وعملها في سبيل المصلحة العليا، حتى مضى شهيد عظمته في مؤامرة ثلاثية شارك فيها الخوارج وبنو أمية والرتل الخامس من الانتهازيين والوصوليين.

وعانى أبو محمد الحسن بن أمير المؤمنين أعقد مشكلات العصر السياسي في سلطان معاوية، وأبشع أصناف الغدر والخيانة من العراقيين، وهم -فيما يزعمون- أصحابه وأنصاره ولكنهم تهافتوا في بيع الذمم والضمائر، حتى انتهى ذلك إلى صلح وفى به الإمام وغدر معاوية، إذ لم يكن معاوية يقاتلهم للصوم أو الصلاة وإنما ليتأمر عليهم، وكان هذا هدفاً مركزياً في التفكير الأموي.

ولكن الإمام الحسن بن علي(عليه السلام) لم يكن ليلقي الحبل على الغارب كما تصوّر ذلك أغرار الباحثين وأغمار المؤرخين، وإنما كان رائد التخطيط الرسالي الحثيث حيث مهد بما خفظ إلى ثورة الإمام الحسين بن علي سيد الشهداء في طف كربلاء.

ونهض الإمام الحسين(عليه السلام) باعتباره الإمام المفترض الطاعة بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ما استطاع إلى ذلك سبيلاً، حتى إذا وجد الأمر يتطلب تضحية نضالية من نوع جديد، اتجه إلى كربلاء في كوكبة من أهل بيته وأخوته وأبنائه وأبناء عمومته، وجمهرة من أعيان أصحابه وأوليائه وأنصاره، فكانت ثورة الطف الشهيرة في العاشر من المحرم سنة إحدى وستين للهجرة، المصادف ليوم الأربعاء ٦٨٠/١٠/١٠ميلادية[١].

وكان الإمام الحسين بذلك عملاق الفكر الثوري الذي أذكى جمرة النضال الدموي للإطاحة بعروش الظالمين.

وكانت إمامة زين العابدين علي بن الحسين(عليه السلام) عقيب مأساة كربلاء، وكانت أطيافه مريرة بالمشاهد الثكلى والاستذكار الحزين، وهو على ما هو عليه من الأسى وإعالته برعيل الأرامل والأيتام من آل محمد عقيب المجزرة الدامية، قد نهد بأطروحة فريدة، فاتخذ من الدعاء الهادف ذريعة سياسية

---

(١) ظ: محمد مختار/ كربلاء في التوفيقات الإلهامية/ ٣١/ القاهرة/ بولاق ١٣١١هـ.

مضافاً إلى أبعادها الروحية الفيّاضة، وكانت أدعيته مثار الإنكار على الطغاة، وأداة الاستفهام المعبّرة عن آلام الأمّة، ووسيلة التعبير عن المظالم والجرائر التي ارتكبها الأمويون في حق أهل البيت(عليهم السلام) وشأن الإسلام، فعادت أدعيته هذه في «الصحيفة السجادية» صرخة مدوّية في وجه الظالمين، شفعها بلائحة حقوق الإنسان في «رسالة الحقوق» التي أذاعها بين المسلمين، فكان المبرمج الأول لقضايا حقوق الإنسان قبل أن تنهد بها الأمم المتحدة. ومبادئ الثورة الفرنسية والمنظمات العالمية الأخرى، وأضاف الإمام إلى ما توصلت إليه هذه الهيئات وأولئك الإنسانيون: العناية المركّزة لعلاقة الإنسان بربّه، وإنعاش الحياة الروحية فضلاً عما قرره من الحقوق الإنسانية بعامة.

وكانت قيادة الإمام زين العابدين(عليه السلام) تقضي بالحفاظ على البقية الباقية من أتباع أهل البيت وقد عمل فيهم السيف، وأفنت رجالهم الحروب، فكان بحق الإمام القائد والداعية والإنسان في أقسى مرحلة تأريخية تجتاح الديار الإسلامية.

حتى إذا تسلّم الإمام محمد الباقر(عليه السلام) منصب الإمامة الشرعية بعد أبيه، أسس مدرسة أهل البيت وجامعتهم الكبرى في العلوم والمعارف والحضارة، فكان للقرآن صداه المدوّي في مدرسته، وللحديث الشريف حضوره المتميز في مجالسه، وللفقه محافله السيّارة في اهتماماته، وللآداب والفلسفة والتأريخ والجغرافيا وعلم الكلام نصيبه الأوفى في التثقيف العام، حتى عدّ بكل إكبار وإجلال ورفعة مجدد الحضارة الإسلامية في القرن الثاني الهجري.

حتى إذا نشأ الإمام جعفر بن محمد الصادق(عليه السلام) في رحاب الإمامة، وأمسك بولاية المنصب الإلهي في عصر ضعف الأمويين والفترة بينهم وبين

العباسيين، رأينا الإمام معنياً بتأصيل مدرسة أهل البيت الجامعة، فكان بحق زعيم هذه المدرسة في أبعادها المترامية الأطراف في شتى حقول المعارف والحضارات الإنسانية والعلوم الصرفة، وقضايا القرآن، ومسائل الشريعة، وسيرورة الفقه بأحكامه كافة، حتى إنك لتدهش من استيعاب الإمام لذلك كلّه، إذ لم شاردة ولا واردة يحتاج إليها المسلم في فروع الأحكام إلاّ أعطاها حدّها ورسمها؛ ومن ثم حصّن أولياءَهُ بمعين من العلم لا ينضب، وبذبالة من الإشعاع الفكري لا تخبو، ورصّن أصول الاستنباط والاجتهاد لعلماء الأمة.

وكان إقبال الحواضر الإسلامية مكثّفاً على الإمام، وتداعى المسلمون في شرق الدنيا وغربها لذلك، واستغلوا الفرصة خير استغلال، واستثمروا لحظات الفراغ السياسي خير الاستثمار، فأوفدوا أبناءهم وإخوانهم وذويهم إلى المدينة المنورة طلاباً في حلقات تدريس الإمام، وانتشر وكلاؤه في الآفاق يبثّون علم الإمام، وخلق جيلاً جديداً متخصصاً في علوم شتى كالتفسير وعلوم القرآن، والحديث، والفقه، والكلام، والطب، والهندسة، والكيمياء، والفيزياء، والرياضيات، والفلك، والجغرافيا، والنقد التأريخي.

وغزا هؤلاء التلامذة العالم الإسلامي على شكل تجّار، وأرباب صناعات، وأصحاب حِرَف، ورجال أعمال، ذلك لتخفيف الضغط على رؤيتهم الواقعية حذر السلطة، وبذلك أحرزوا نصراً كبيراً في نشر مبادئ أهل البيت، وحققوا انعطافاً تأريخياً لانجذاب الناس في إطار ثقافة متنوعة الإمدادات عن إمامهم الصادق زعيم مدرسة أهل البيت.

وكانت حقبة الإمام الصابر موسى بن جعفر(ع) لدى توليه المنصب الإلهي في الإمامة حقبة حرجة، كان الإمام من خلالها في ضيق ورقابة واستفزاز، وانتهى به الأمر إلى سجون هارون الرشيد ببغداد حتى استشهاده

سميماً على يد الرشيد في أعنف حقبة من التدمير لمرتكزات أهل البيت، ومع هذا الملحظ المأساوي نجد علم الإمام منتشراً بين يدي أصحابه عن طريق أوليائه الخاصين وتلامذته المقربين، وفي مراسلات سرّية وهو سجين مكبّل بأغلال الطغاة.

وكان ازدهار الحياة العلمية لدى تلامذته وتلامذة أبيه من قبل قد طبّقت الساحة المعرفية، فتلقّى الناس علومهم وأحكامهم أولاً بأول حتى مع سجن إمامهم.

وتولّى الإمام علي بن موسى الرضا(عليه السلام) منصب الولاية الإلهية في عصر غلبت عليه الانتفاضات والثورات والحركات النضالية في شرق الدولة وغربها، مما حدا بالمأمون أن يتداركها بإسناد ولاية العهد إلى الإمام الرضا بالقوة، وذلك من أجل إخماد اللهيب الثورية الذي شمل العراق والحجاز والجزيرة والشام وإيران في قوى معارضة مسلّحة.

وكان الإمام الرضا على يقين تام بالمؤامرة، وعلى معرفة مسبقة بالخطة الجديدة، فقبل مرغماً بولاية العهد تحت طائلة التهديد.

وحشد له المأمون وعاظ السلاطين وفقهاء البلاط وعلماء السوء، ودخلوا مع الإمام في مسائل معقدة كثيرة، عسى أن يحرج الإمام في مسألة، أو ينكل عن إجابة، وكان هذا سبيلاً لبث معارف الإمام وعلومه السيّارة بما تناقلته الأحاديث من أبناء تلك المحافل والمجالس التي عقدها المأمون في أروقة البلاط العباسي.

وكان الإمام الرضا(عليه السلام) موسوعياً في إفاضاته العلمية، وموضوعياً في مسائله العقائدية والكلامية، وبحراً لا ينزف في فروعه الفقهية، فانتشر له من الذكر ما ملأ الخافقين سمعةً وشهرةً، وقد أتينا على كل هذا في عمل مستقلّ خاص بالإمام الرضا من هذه الموسوعة.

وأسند منصب الإمامة بالوصية والنصّ إلى الإمام محمد الجواد(عليه السلام)، وهو في السابعة من العمر، وقد احتج أهل البيت لإمامته المبكّرة، بما احتج به الله سبحانه وأبانه لنبوة يحيى وعيسى(عليهما السلام)، مما عرضنا له في سيرة الإمام محمد الجواد.

واستغلّ العباسيون هذا الفراغ بزعمهم، فالإمام الجديد في سنٍّ الصبا، وما قيمة ما يحسن هذا الصبي في تفكيرهم العقيم؟ وأرادوا لهذه الظاهرة أن تكون ألعوبة بيد الحَكَم!! ولكن الحَكَمَ رغم طاقاته وإمكاناته الهائلة فشل في ذلك فشلاً ذريعاً، وأخفق إخفاقاً ظاهراً، إذ بدا هذا الصبي إماماً بكل مواصفات الإمامة الحقّة وهو بذلك العمر، ووراءه في السعي شيوخ وعلماء الإمامية وهو يتصدرهم!! وحررت للإمام المسائل الكبرى بقصد الاختبار والإحراج من قبل العباسيين وعلماء البلاط، وانحدر الإمام الجواد(عليه السلام) كالسيل إجابة وإفاضة وإضاءة وإضافة، فكان بحق معجزةً في كل تصرفاته، وبذلك افتضحت أطروحة النظام العباسي وهو يراهن على فشل تجربة الصبي الإمام فيما يزعمون، وإذا بالأمر ينقلب على العكس تماماً، فينتشر علم الإمام في الآفاق ويدين له القاصي والداني، ولذلك عجلوا في القضاء على الإمام في أول شبابه، فاغتاله المعتصم على يد زوجته ابنة المأمون، فذهب شهيد العلم الإلهي.

وتلقّى الإمام علي الهادي(عليه السلام) هذا المخزون الحضارية الهائل عن آبائه وأجداده المعصومين، فاحتضنه لدى توليه منصب الإمامة بصدر رحيب ليذيعه على الناس.

فكان ذلك عصارة علم الأولين من الأئمة، وهو مصدر مدرسة علمية بنّاءة استغنت بهذا الرافد العلمي فكانت امتداداً له، ولك تقدير أهمية تلك النفائس المذخورة التي نهد بكشفها الإمام الهادي وهي تتفجر من ينابيعها الأولى.

مرويّات الإمام الهادي عن النبي(ﷺ) والأئمة(عليهم السلام)

استطراد منهجي:

وكانت مرويات الإمام علي الهادي عن آبائه وأجداده سلسلة من المعارف الإنسانية المتواصلة في حلقاتها، الشامخة في آثارها وتعليماتها، مليئة بالتوجيه والنصح الكريم، حافلةً بما يقوّم الخلق الرفيع ويهيئ النفس المطمئنة، توحي بالوعي المتكامل لبناء أمّة وإعداد جيل متوثب؛ ولم تكن تلك المرويّات مقتصرة على الأحكام الفرعية وحدها، وإنما تجاوزت ذلك إلى عمق المجموعة البشرية في احتياجها لشتى المعارف والفنون.

ومع أن التأريخ الرسمي الذي سخّره وكتبه أتباع الخلافة الحاكمة، إلا أننا نظفر بين دفتيه بين حين وآخر بشذرات غفلت عنها أيدي المحرفين والعابثين بالتراث، وحينما رجعت إلى الأصول الحافلة بذلك وجدتها تتراوح بين القلّة النادرة حيناً، وبين الكثرة المتوازنة حيناً آخر، فاقتطفت من ثمارها مجموعة مختارة ذكرتني بحديث الإمام جعفر بن محمد الصادق(عليه السلام) وهو يقول:

«إن حديثي حديث أبي، وحديث أبي حديث جدي، وحديث جدي حديث علي بن أبي طالب أمير المؤمنين، وحديث علي أمير المؤمنين حديث رسول الله(ﷺ)، وحديث رسول الله(ﷺ) قول الله عز وجل»[1].

---

(١) ظ: المفيد/ الإرشاد/ ٢٧٤، الطبرسي/ الاحتجاج ٢/٣٧٢، الأربلّي/ كشف الغمّة ٢/٣٨١، الطبرسي/ إعلام الورى/ ٢٧٧، المجلسي/ بحار الأنوار ٢٦/١٨.

وقد أكد هذا الإسناد بجوهره وألفاظه الإمام علي الهادي(ع) فقال:

«حدثني أبي محمد بن علي، قال: حدثني أبي علي بن موسى بن جعفر، قال: حدثني أبي موسى بن جعفر، قال: حدثني أبي جعفر بن محمد، قال: حدثني أبي محمد بن علي، قال: حدثني أبي علي بن الحسين، قال: حدثني أبي الحسين بن علي، قال: حدثني أبي علي بن أبي طالب، قال: قال رسول الله(ص): اكتبْ. قلت: ما أكتب، قال: اكتب: **بسم الله الرحن الرحيم؛ الإيمان ما وقرته القلوب، وصدقته الأعمال، والإسلام ما جرى به اللسان، وحلّت به المناكح**»[1].

وإذا رجعنا إلى هذا المخزون الحافل ونحن نريد أن نلتقط منه ما يتسع له المجال من شذرات، وضعنا أيدينا على جمهرة من هذه المرويات نورد بعضها على سبيل النموذج والمثال.

مروياته عن الرسول الأعظم:

هناك طائفة من المرويات يوردها الإمام الهادي بسنده عن آبائه تنتهي إلى رسول الله(ص) منها:

١. روى الإمام علي الهادي(ع) بسنده عن آبائه أن رسول الله(ص) قال: **«أحبوا الله لما يغذوكم به من نعمة، وأحبوهُ لحب الله، وأحبوا أهل بيتي»**[2].

٢. روى الإمام أبو الحسن الهادي بسنده عن آبائه عن الإمام محمد الباقر(ع) عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال:

كنت عند النبي(ص)، وأنا من جانب، وعلي أمير المؤمنين من جانب، إذ أقبل عمر بن الخطاب ومعه رجل تلبّب به.

---

(١) المسعودي/ مروج الذهب ٤/١١٤.

(٢) الطوسي/ الأمالي/ ٢٧٨.

فقال(ﷺ): ما باله؟

قال: حكى عنك يا رسول الله أنك قلت: من قال لا إله إلا الله، محمد رسول الله؛ دخل الجنة، وهذا إذا سمعه الناس فرطوا في الأعمال!! أفأنت قلتَ ذلك؟

قال: «**نعم إذا تمسكوا بمحبة هذا وولايته**»، وأشار إلى الإمام أمير المؤمنين(ع)[1].

٣. روى الإمام علي الهادي(ع) بسنده عن آبائه أن رسول الله(ﷺ) قال لعليٍّ:

«**يا علي محبّك محبّي، ومبغضك مبغضي**»[2].

٤. روى الإمام أبو الحسن علي الهادي(ع) بسنده عن آبائه عن جده أمير المؤمنين(ع) أن رسول الله(ﷺ) قال:

«**من سرّه أن يلقى الله عز وجلّ آمناً، مطهراً، لا يحزنه الفزع الأكبر فليتولّك يا علي، وليتولَّ ابنيك الحسن والحسين، وعلي بن الحسين، ومحمد بن علي، وجعفر بن محمد، وموسى بن جعفر، وعلي بن موسى، ومحمد بن علي، وعلي بن محمد، والحسن بن علي، ثم المهدي وهو خاتمهم!! أحبوهم كان خيراً لهم لو كانوا يعلمون، ويؤثرونك وولدك على آبائهم وأمهاتهم وإخوانهم وعن عشائرهم والقربات صلوات الله عليهم أفضل الصلوات، أولئك يحشرون تحت لواء الحمد، يتجاوز عن سيئاتهم، ويرفع درجاتهم جزاءً بما كانوا يعملون**»[3].

---

(١) المجلسي/ بحار الأنوار ٦٥/١. وانظر مصدره.

(٢) الطوسي/ الأمالي/ ٢٧٨.

(٣) الطوسي/ الغيبة/ ١٣٦/ مؤسسة المعارف الإسلامية/ قم/ ١١١٠هـ.

٥. روى الفحّام عن المنصوري عن عم أبيه عن أبي الحسن الإمام علي الهادي(ع) عن آبائه، قال: قال أمير المؤمنين(ع):

سمعت النبي(ص) يقول: «**إذا حشر الناس يوم القيامة ناداني منادٍ يا رسول الله، إن الله قد أمكنك على مجازات محبيك، ومحبي أهل بيتك الموالين لهم فيك، والمعادين لأعدائهم فيك، فكافئهم بما شئت، فأقول: يا ربِّ الجنة فبوئهم منها حيث شئت، فذلك المقام المحمود الذي وعدت به**»[(١)].

٦. روى الإمام علي الهادي(ع) عن آبائه عن جده أمير المؤمنين(ع) عن النبي(ص) أنه قال:

«**يا علي خلقني الله وأنت من نوره حين خلق آدم، فأفرغ ذلك النور في صلبه، فأفضى به إلى عبد المطلب، ثم افترقا من عبد المطلب، فصرت أنا في عبد الله وأنت في أبي طالب، لا تصلح النبوّة إلا لي، ولا تصلح الوصية إلا لك، فمن جحد وصيّتك جحد نبوّتي، ومن جحد نبوّتي أكبه الله على منخره في النار**»[(٢)].

وبمتابعة هذه المرويات التي أوردها الإمام الهادي(ع) عن الرسول الأعظم(ص)، نلاحظها جميعاً تتناول قضية مركزيّة يعنى بها الأئمة(ع)، وهي ولاية أئمة أهل البيت بعامة، ووصاية أمير المؤمنين علي(ع) بخاصة، وحبّ العترة الطاهرة، والبراءة من أعداء أهل البيت، والموالاة لأوليائهم، والتمسك بهم.

وهذا التأكيد مقصود إليه في ذاته من لدن الإمام علي الهادي(ع)، فالحياة العقلية في عصره قد جعلت المسلمين على مفترق من الطرق،

---

(١) المجلسي/ بحار الأنوار ٣٩/٨ مطبقة مؤسسة الوفاء.

(٢) الطوسي/ الأمالي/ ٢٩٥.

والاتجاهات المضللة والغالية قد ضربت بجرانها على الأرض، ونشوء سلفية الحنابلة في كثير من التطرّف والتصلب، وتأسيس بني العباس لفرقة أهل الحديث في قبال مدرسة أهل البيت، كل أولئك من العوامل التي تابع فيه الإمام حياة المسلمين العقلية لإنقاذهم من الانحطاط العقائدي، والدفع بهم إلى شاطئ الأمان وميناء المبادئ الحقّة، وكنتَ قد رأيت تأثير الإمام البالغ في قاعدته الشعبية، وفي مرتكزات النظام في عمقه، وحتى لدى البلاط في وزرائه وحواشيه، فهو يستقطب الهرم والقاعدة في منزلته العليا. والمنصفون من المعاصرين للإمام على اختلاف طبقاتهم وعقائدهم يلتقطون ما يتفوّه به الإمام فوراً، وبنشره حينئذ في الآفاق بسرعة مذهلة، وكان لا بد للإمام في مثل هذا الجو القاتم وهذا الالتفاف حوله؛ أن يزيل الشبهات ويكشف التحرك الغامض الذي يريد التطويح بركائز أهل البيت الأساسية، فما عليه -إذن- إلاّ أن يصدع بالحق، شاءت الخلافة هذا أم أبت، وما زالت القضية تتعلق بالإيمان لا بسياسة القوم مباشرة، وإن كانت لا تغض الطرف عن ذلك، ولا يروق للسلطة هذا الاتجاه، فأنشأت من «أهل الحديث» قاعدة تنقض -في زعمها- ما شيّد الإمام الهادي، أو تعارض مشروعه في انتشال الأمة من الضلال والزيغ، ولكن قوة تأثير الإمام في ضمائر أبناء الأمّة، قد حالت دون ذلك، وإن وجد التطاول سبيله إلى الاستعلاء، ولكنه إلى حين.

مروياته عن أمير المؤمنين (عليه السلام):

وروى الإمام أبو الحسن الهادي (عليه السلام) عن جده أمير المؤمنين طائفة من الحكم والأمثال والمرويات التي تُعنى ببناء الهيئة الاجتماعية، وتدعو إلى الالتزام بأقصى درجات ضبط النفس، فالإمام بصدد تقويم الشعب المسلم وتهذيبه في أقواله وأفعاله، وتحصينه بالخلق والأدب الرفيع، والإصحار به من الحياة الماديّة الضائعة في خضمّ الشهوات المحرّمة واللذات الآثمة التي

أغرق بها بنو العباس الحياة العامة إلى حياة جديدة مثالثة ترعى شؤون الآخرة، وتعنى بخلق الجيل المتحفز، وتستضيء بهدي القرآن.

وأمير المؤمنين هو صاحب نهج البلاغة، وأفصح من نطق بالضاد بعد رسول الله(ص)، وهو إمام البيان العربي من دون منازع، وحامل لواء البراعة في الفن القولي، يصدع بتوجيهاته بيانياً، ويسيّرها بلاغيّاً، ولو أنها وجدت قلوباً واعيةً وآذاناً صاغيةً لقفز المجتمع في حضارته إلى الذروة، وبلبغ من الثقافة القمة، ولمّا كان الأمر كذلك وجدنا الإمام أبا الحسن الهادي حريصاً على إيصال هذا الصوت المدوّي إلى بني الإنسان ونحن نورد باقات عطرة مما اختاره الإمام علي الهادي(ع) من وصايا وحكم وأمثال أمير المؤمنين(ع).

١. روى الإمام علي الهادي(ع) أن علياً أمير المؤمنين(ع) قال:

«العلم وراثة كريمة، والآداب حلل حسانٌ، والفكرة مرآة صافية، والاعتبار منذر ناصح، وكفى بك أدباً لنفسك تركك ما كرهته لغيرك»[١].

٢. وروى الإمام علي الهادي(ع)، قال: قال أمير المؤمنين(ع):

«إياكم والأيكال بالمنى، فإنها من بضائع العجزة»[٢].

٣. وروى الإمام علي الهادي(ع)، قال: قال أمير المؤمنين(ع):

«من دخله العجب هلك»[٣].

٤. وروى الإمام علي الهادي(ع) لأمير المؤمنين(ع) قوله:

«كم من غافلٍ ينسج ثوباً ليلبسه وإنما هو كفنه، ويبني بيتاً ليسكنه وإنما هو موضع قبره»[٤].

---

(١) مآثر الكبراء/ ٣/٢١٩.

(٢) الطوسي/ الأمالي/ ٥٨٠.

(٣) الحر العاملي/ وسائل الشيعة ١/٧٨.

(٤) الصدوق/ عيون أخبار الرضا ٢/٢٦٧.

٥. وروى الإمام علي الهادي(عليه السلام) عن أمير المؤمنين(عليه السلام) قوله:

«من أصبح والآخرة همّه، استغنى بغير مال، واستأنس بغير أهل، وعزّ بغير عشيرة»[١].

٦. وروى الإمام علي الهادي(عليه السلام)، قال: جاء رجل يهودي إلى الإمام أمير المؤمنين(عليه السلام)، فقال له:

أخبرني عمّا ليس لله، وعمّا ليس عند الله، وعمّا لا يعلمه الله.

فقال(عليه السلام): **«أمّا ما لا يعلمه الله فلا يعلم له ولداً، تكذيباً لكم حيث قلتم: «عزير ابن الله». وأما قولك عما ليس عند الله، فليس عند الله ظلم على العباد. وأما قولك: عما ليس لله، فليس له شريك»**.

وسمع ذلك اليهودي، فشهد الشهادتين وأسلم، وقال للإمام: «أشهد أنك الحق، ومن أهل الحق، وقلت الحق»[٢].

٧. روى الإمام علي الهادي(عليه السلام) عن أمير المؤمنين(عليه السلام) قوله:

«من أيقن بالخلف جاد بالعطيّة»[٣].

وكان هذا الانتقاء من الإمام علي الهادي(عليه السلام) لحكم أمير المؤمنين جزءاً من المشروع الكبير في إعداد الأمة، وترسيخ مبادئ الوعي الحضاري في الأذهان، وإشاعة روح المثل العليا بين أفراد الشعب المسلم.

وما عثرنا عليه من هذه اللقطات هو القليل الذي ضاع كثيره في تيار التأريخ الرسمي المعادي لأهل البيت(عليهم السلام).

---

(١) الطوسي/ الأمالي/ ٥٨٠.

(٢) المجلسي/ بحار الأنوار ١١/١٠.

(٣) الحرّ العاملي/ وسائل الشيعة ٥٢٣/١١.

مروياته عن الأئمة(ع):

وكانت مرويات الإمام علي الهادي(ع) عن بقية الأئمة المعصومين تمثل فداحة ما ابتلي الإمام من الرقابة والضغط، باستثناء مروياته نوعاً ما عن الإمام جعفر بن محمد الصادق(ع) بحدود معينة.

وما كان لعصر الإمام السياسي ليسمح له بنشر فضائل الأئمة وليست له الحرية في إيراد مروياتهم إلاّ بالقدر الذي لا يثير تساؤل السلطة، ولا يجدد فزع الدولة، ولمّا كان التأريخ التدويني مرتبطاً بالشكل الرسمي، فقد ساعد على تضييع كثير من الحقائق والآثار، فلم تصل إلينا إلاّ نماذج معدودة منها؛ ومع هذا فإننا لم نعدم من ذلك شذرات ثمينة، وقد تقدمت رواياته عن أبيه الإمام محمد الجواد فيما سبق، ونورد هنا جزءاً مما روى عن آبائه:

١. روى الإمام علي بن محمد الهادي(ع) عن جده الإمام الرضا(ع): أن أبا حنيفة خرج من عند الإمام الصادق(ع) فاستقبله الإمام موسى بن جعفر، فقال له أبو حنيفة:

يا غلام! ممن المعصية؟

فأجابه الإمام موسى بن جعفر(ع):

«لا تخلو من ثلاث: إمّا أن تكون من الله عزّ وجلّ -وليست منه- فلا ينبغي للكريم أن يعذّب عبده بما لا يكتسبه، وإمّا أن تكون من الله عز وجل ومن العبد وليس كذلك، فلا ينبغي للشريك القوي أن يظلم الشريك الضعيف، وإمّا أن تكون من العبد -وهي منه- فإن عاقبه الله فبذنبه، وإن عفا عنه فبكرمه وجوده»[١].

٢. وروى الإمام علي الهادي(ع) عن الإمام موسى بن جعفر أنه قال:

---

(١) الصدوق/ التوحيد/ ٩٦.

«إن الله خلق الخلق فعلم ما هم إليه صائرون، فأمرهم ونهاهم، فما أمرهم به من شيء فقد جعل لهم السبيل إلى الأخذ به، وما نهاهم عن شيء فقد جعل لهم السبيل إلى تركه، وما جبر الله أحداً من خلقه على معصية، بل اختبرهم بالبلوى كما قال الله تعالى ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾»[1][2].

والطريف في الأمر أن الروايتين تؤكدان إبطال نظرية الجبر التي سبق للإمام أن عالجها تفصيلاً كما في الفصل السابق.

٣. وروى الإمام علي الهادي(عليه السلام) عن الإمام جعفر الصادق(عليه السلام) أنه قال:

«ثلاثة أوقات لا يحجب فيها الدعاء عن الله تعالى:

في إثر المكتوبة -الصلاة الواجبة- وعند نزول المطر، وظهور آية معجزة لله في أرضه»[3].

٤. وروى الإمام علي الهادي(عليه السلام) عن الإمام جعفر الصادق(عليه السلام) قوله:

«ثلاث دعوات لا يحجبن عن الله تعالى:

دعاء الوالد لولده إذا أبرّه، ودعوته عليه إذا عقّه، ودعاء المظلوم على ظالمه، ودعاؤه لمن انتصر له، ورجل مؤمن دعا لأخٍ له مؤمن واساه فينا، ودعاؤه عليه إذا لم يواسه مع القدرة عليه، واضطر أخوه إليه»[4].

٥. وروى الإمام علي الهادي(عليه السلام) عن الإمام الصادق(عليه السلام) قوله:

«ليس منا من لم يلزم التقيّة، ويصوننا من سفلة الرعيّة»[5].

---

(١) سورة الملك/ الآية٢.

(٢) ظ: باقر شريف القرشي/ حياة الإمام علي الهادي/ ٧٩ وانظر مصدره.

(٣) الطوسي/ الأمالي/ ٢٨٠.

(٤) ظ: الحر العاملي/ وسائل الشيعة ٧/ ١٣٠، القرشي/ حياة الإمام الهادي/ ٧٦ وانظر مصدره.

(٥) وسائل الشيعة ١١/ ٤٦٦.

٦. وروى الإمام علي الهادي(عليه السلام) عن الإمام الصادق(عليه السلام) قوله:

«عليكم بالورع فإنّه الدين الذي تلازمه وتدين الله به، ويريده ممن يوالينا»[1].

٧. وروى الإمام علي الهادي(عليه السلام) عن الإمام الصادق(عليه السلام) أنه قال في قوله تعالى محاكياً يعقوب.. **﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾**[2] أي **«صبر بلا شكوى»**[3].

٨. وروى الإمام علي الهادي(عليه السلام) عن الإمام الصادق(عليه السلام) في قوله تعالى:

﴿تَتَجافى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضاجِعِ﴾[4].

قال: **«كانوا لا ينامون حتى يصلّوا العتمة»**[5].

بهذا القدر الموجز عن مرويات الإمام علي الهادي(عليه السلام) عن الأئمة الطاهرين، ترى مدى الحرج والشدّة التي يحيا بها الإمام في أجواء الرقابة ومصادرة الحرّيات، حتى أننا لا نشاهد ذلك الكمّ المفروض في الروايات بأثر ذلك وبتأثير العامل التأريخي في حجب مآثر أهل البيت(عليهم السلام).

* * *

(١) الطوسي/ الأمالي/ ٢٨١.

(٢) سورة يوسف/ الآية .

(٣) مآثر الكبراء ٣/٢٢٨.

(٤) سورة / الآية .

(٥) الطوسي/ الأمالي/ ٢٩٤.

رواة أحاديث الإمام علي الهادي(عليه السلام)

١. جمهرة الرواة من تلامذة الإمام:

بالرغم من الضغط السياسي الفادح ضد مسيرة الإمام علي الهادي العلمية، وما رافق ذلك من التحدي والتعدي من إجراءات أجهزة الدولة في تتبع أصحابه، وملاحقة أوليائه، فقد حفلت الساحة العلمية بعشرات الرواة الذين قدّموا لنا العديد الهائل من روايات الإمام علي الهادي في شتى المعارف وأصناف الفنون، فكان لحياة القرآن العظيم وجهها المشرق في أحاديث الإمام، وللفقه دوره المشرّف في بيان الأحكام الفرعية، وللفكر الحرّ تأثيره الخاص في بلورة العلوم الإسلامية، ولآداب أهل البيت الأثر الكريم في الرشد والنصح الأمين، حتى يصح لنا أن نعتبر ما صدر عن الإمام علي الهادي(عليه السلام) «دائرة معارف إسلامية متخصصة».

وكان فضل هؤلاء الرواة على الحركة العلمية الرائدة ذا هدف مزدوج، فهو في الوقت الذي يقدم أحاديث الإمام لطلاب العلم الخالص، نجده معيناً ذاتياً بالحفاظ على تراث أهل البيت من الإهمال والضياع، وهنا يلتقي الهدف العلمي بالهدف الديني في إطار موحّد غير قابل للانفصال.

يقول الأستاذ باقر شريف القرشي بهذا الصدد:

«لقد كان لهؤلاء الفضل الكبير على العالم الإسلامي بما دونوه من تراث الأئمة الطاهرين، فلولاهم لضاعت تلك الثروات الكبرى التي تمثل الإبداع والأصالة وتطوّر الفكر البشري.

والشيء الذي يدعو إلى الاعتزاز بجهاد هؤلاء الرواة أنهم اتصلوا بالأئمة ودونوا أحاديثهم في وقت كان من أعسر الأوقات حراجة، وأكثرها ضيقاً وضغطاً، فقد أمعنت السلطات الأموية والعباسية في ظلم العلويين وشيعتهم، وضعت الأوساط الشعبية من الاتصال بهم، وأخذت بلا رحمة ولا هوادة تطارد كل من ينشر فضائلهم، أو يتحدث عن مناقبهم ومآثرهم، أو يروي أحاديثهم»[1].

وقد تحدث الأستاذ القرشي عن هؤلاء الرواة حديثاً قيماً، وبشكل موضوعي متسلسل، فكانت عدتهم لديه مائة وثمانية وسبعين راوياً، وقد ترجم لهم جميعاً ترجمات صافيةً دقيقةً، وذكر مصنفاتهم ومؤلفاتهم وكتبهم وصحائفهم، وتحدّث عن درجة وثاقتهم، وأشار إلى من اتصف بالعدالة منهم، وأعطى كل ذي حق حقه ما استطاع إلى ذلك سبيلاً[2].

ثم قام المغفور له الأستاذ الشيخ محمد حسن آل ياسين بمتابعة الرواة عن الإمام، فكانوا عنده مائة وسبعة وثمانين راوياً، ذكرهم متسلسلاً بالنظام الألفبائي[3].

بينما ذهب السيد محمد كاظم القزويني (ره) أنهم ثلاثمائة وستة وأربعون راوياً كما في كتابه الإمام الهادي من المهد إلى اللحد.

ومهما كان العدد، فإن رواة الحديث عن الإمام علي الهادي(ع) قد نهضوا بعبء كبير في تدوين روايات الإمام من مصدرها الأصل. وكانت

(١) باقر شريف القرشي/ حياة الإمام علي الهادي/ ١٦٩.

(٢) ظ: المرجع السابق نفسه/ ١٧٠-٢٣٠.

(٣) ظ: محمد حسن آل ياسين/ الإمام علي بن محمد الهادي/ ٨٧-١٠٨.

هذه الكوكبة الرائدة تقوم بهذه العملية المضنية وتتعهد نشرها وإذاعتها في الآفاق في ظروف معقّدة سياسياً في أزماتها المتجددة.

وفي ذلك «دلالة كبيرة وواضحة على سعة نشاط الإمام الهادي(عليه السلام) في تلك الظروف الصعبة، وعظمة هذا الإمام الذي استوعب بنشاطه السرّي والمنظّم كل تلك العقبات، واجتازها بما يحقق له أهدافه من التمهيد فكرياً وعقائدياً ونفسياً لعصر الغيبة المرتقب، محافظاً على خطّ المعارضة بشكل تام، مراقباً للأحداث بشكل مستمر، ومقدّراً لكل ظرف مستجدّ ما يتطلبه من الخطوات والأنشطة، مراعياً التقدم الحضاري الذي كانت الأمة الإسلامية على مشارفه، وهو يريد أن تكون الجماعة الصالحة في موقع القيادة والقمّة منه دائماً، وهكذا كان»[(١)].

هذا وقد قام المجمع العالمي لأهل البيت(عليهم السلام) بترجمة طائفة من أعيان الرواة عن الإمام بلغوا عشرين راوياً[(٢)].

٢. المؤلفون من الرواة وكتبهم:

شجّع أهل البيت الرواة والعلماء والمحدّثين على تدوين الأحاديث والروايات، فالحديث جزء مهم من السنة مضافاً إلى الفعل والتقرير، والكتاب والسنّة هما مصدر التشريع الإسلامي بلا خلاف. عدا سواهما.

وقد سبق لنا في بحث خاص أن أشرنا إلى أهمية تدوين الحديث بناءً على توصية الأئمة الطاهرين بذلك، حتى نشأت عن ذلك الأصول الأربعمائة المتّصلة بالمعصومين، وفي ضوئها بدأ تدوين مصادر الحديث الأولى عند الإمامية في الكافي للكليني، ومن لا يحضره الفقيه للشيخ الصدوق، والاستبصار والتهذيب للشيخ الطوسي، وسوى ذلك مما جاء بعده[(٣)].

---

(١) المجمع العالمي لأهل البيت/ الإمام علي بن محمد الهادي/ ٢٠٢.

(٢) ظ: المرجع السابق نفسه/ ٢٠٣-٢١٨.

(٣) ظ: المؤلف/ الإمام الصادق: زعيم مدرسة أهل البيت/ الباب الثاني.

كان الصدر الأول في الخلافة القرشية قد منع التدوين بحجة الحذر من اختلاط القرآن بالحديث، وبتلك حجة واهية تماماً، فللقرآن العظيم أسلوبه الخاص القاضي بالإعجاز، وللحديث الشريف أسلوبه الخاص الذي لا يشتبه بأسلوب القرآن، خصائص ومميزات، فما اتفق ولا مرة واحدة أن خلط المسلمون بين آية قرآنية وحديث شريف على طول الخط وبمختلف العصور، فلكل منهما أسلوب ينطق بمصدرهما، والقرآن مصدره الله عز وجل، والحديث مصدره النبي(ص) والأئمة المعصومون ليس غير.

وكان دور الإمامين محمد الباقر وجعفر الصادق(ع) بارزاً في هذا المضمار، فقد سبقا إليه، وقد أمرا أصحابهما باتخاذ الخطوات الموضوعية لتدوين الحديث مباشرة أو بالوسائط الموثوقة، ومن هنا انتشرت أحاديث أهل البيت بآلاف المؤلفات الحديثية والتراثية والفقهية والأخلاقية والكلامية والفلسفية وسوى ذلك، وكانت هي الأساس لهذا السيل العارم م الأحاديث المدوّنة.

وقد بحثنا بكتبنا السابقة في هذه الموسوعة جملة من علل الأسانيد ومتن الحديث وطبقات الرواية، وما يدور في فلك ذلك وحوله، وكانت عناية علمائنا بذلك ذات طابع علمي متشدد حازم في محاسبة الرواة، ومصادر أحاديثهم، وذكر طبقاتهم، وطرقهم الموصلة إلى ذلك، وجردة وثاقتهم تارة، وعدالتهم تارة أخرى، ونبذ المجهولين والضعفاء ومعالجة المراسيل، وما دار في هذا المضمار من جزئيات وكليّات.

وكان للإمام علي الهادي(ع) دور كبير في إرساء هذه القواعد والأسس، فكان تراثه الخالد بما أضواه من أحاديث موضوعاً للمدارسة والمتابعة والأخذ والاعتبار.

وكان هذا مرتبطاً بتلك الصفوة الخيّرة من الرواة والمؤلفين والمصنفين والمبوّبين والممنهجين لتراث الإمام من تلامذته وأوليائه وأصحابه والمقربين.

يقو الأستاذ محمد حسن آل ياسين رحمه الله وطيّب ثراه:

«إن الفضل الأكبر في وقوف الأجيال التالية لعصر الإمام أبي الحسن الهادي(عليه السلام) على تراثه العظيم وما حمل من فكر وعطاء، إنما بعود إلى أولئك الرواة عنه والمشافهين له، الذين سمعوا منه فحدّثوا به، وأبلغوه إلى من جاء بعدهم، فأنعموا علينا بالاطلاع عليه والإفادة منه والاهتداء بهديه، ونخصّ منهم بالذكر أولئك النوابغ الواعين الذين بادروا إلى تدوين تلك الأمالي والأحاديث في كتب ومؤلفات حفظتها من الضياع وحمتها من النسيان، وكان فيهم من بوّب تلك الروايات بحسب مطالبها وموضوعاتها، وفيهم من اكتفى بإبداع ما سمع من مجموعات أطلق عليها في فهارس تلك العصور اسم (النوادر) أو (كتاب المسائل)»[1].

وكانت كتب الفهرسة والرجال والرواة والطبقات ومعاجم الحديث قد حفلت بهذا النوع من التأليف، وذكرت أولئك المؤلفين وأسماء كتبهم، وفي طليعة أولئك الكشي في رجاله، والنجاشي والطوسي وابن الفضائري، وابن داود، والعلامة الحلي وسواهم، وقد نهد الشيخ عناية الله القهبائي المتوفى في القرن الحادي عشر الهجري بجمع وضم ما ذكرته هذه الكتب ووحّد في كتابه (مجمع الرجال).

وقد ذكر جملة من هؤلاء ونصّ على كتبهم ابن النديم في الفهرست كما عني بذلك الحاج خليفة بالنص على أسامي هذه الكتب في كشف الظنون.

وقام الشيخ آغابزرك الطهراني (ت١٣٨٩هـ) في التحقيق بأسماء هذه الكتب وترجمة مؤلفيها وذكر نسخها، وسرد مواصفاتها في كتابه العظيم «الذريعة إلى تصانيف الشيعة».

---

(١) محمد حسن آل ياسين/ الإمام علي بن محمد الهادي/ ٨٦.

ونهد سيدنا الأستاذ السيد أبو القاسم الموسوي الخوئي النجفي (ت١٤١٣هـ) بالتدقيق الموضوعي في هذا الشأن من الوجوه كافة بكتابه الخالد «معجم رجال الحديث».

وهنا نذكر أسماء الرواة المؤلفين من أصحاب الإمام علي الهادي(عليه السلام) وأسماء كتبهم، بدءاً باسم المؤلف أبجدياً ثم اسم الكتاب كذلك، معتمدين على من تقدم من الأعلام والمفهرسين، وما حققه الشيخ محمد حسن آل ياسين رحمه الله في ذكر ذلك، فله فضل السبق والصنعة، ولنا معه التنظيم والتدقيق في جهود هؤلاء الأساطين الذي قال عنهم:

«معلنين الإقرار لهم باليد البيضاء، والإحسان الخالد على جميع طلاّب العلم والمعرفة والمستفيدين من ذلك كله على كرّ السنين، ومسجلين أسمى مشاعر التقدير والإكبار لهم بحكم كونهم بعضاً من تلك الطلائع المتقدمة في الجمع والتدوين في التأريخ العربي الإسلامي، ومن جملة الرعيل السبّاق من رواد هذا الميدان في المائة الهجرية الثالثة»[١].

والآن نقدم كشفاً بالمؤلفين ومؤلفاتهم بقدر المستطاع:

١. إبراهيم بن مهزيار الأهوازي، له:

كتاب البشارات.

٢. أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل بن داود الكاتب، وهو من أصحاب الإمامين الهادي والعسكري(عليهما السلام)، وله من المؤلفات:

أ. كتاب أسماء الجبال والمياه والأودية.

ب. أشعار بني مرة بن همام.

جـ. كتاب بني عبد الله بن غطفان.

---

(١) محمد حسن آل ياسين/ الإمام علي بن محمد الهادي/ ٨٦.

د. كتاب بني عُقيل.

هـ كتاب بني كليب بن يربوع.

و. كتاب بني مرة بن عوف.

ز. كتاب بني النمر بن قاسط.

ح. كتاب شعر ثابت بن فطنة وصنعته.

ط. كتاب شعر العجير السلولي.

ي. كتاب طي.

ك. نوادر الأعراب.

٣. أحمد بن الحسن بن علي بن محمد بن فضّال (ت٢٦٠هـ) له مؤلفات منها:

أ. كتاب الصلاة.

ب. كتاب الوضوء.

٤. أحمد بن حمزة بن اليسع القمي، له: كتاب نوادر.

٥. أحمد بن محمد بن خالد البرقي (ت٢٧٤هـ) له مؤلفات أتينا على ذكرها في كتابنا (الإمام محمد الجواد/ معجزة السماء في الأرض) لأنه من الرواة عنه.

٦. أحمد بن سيّار الكاتب المصري، له مؤلفات منها:

أ. كتاب ثواب القرآن.

ب. كتاب الطب.

جـ كتاب الغارات.

د. كتاب القراءات.

هـ. كتاب النوادر.

٧. أحمد بن محمد بن عيسى بن عبد الله الأشعري، له مؤلفات منها:

أ. كتاب التوحيد.

ب. كتاب الطب (الصغير).

جـ. كتاب الطب (الكبير).

د. كتاب فضل النبي(صلى الله عليه وآله وسلم).

هـ. كتاب المتعة.

و. كتاب المكاسب.

ز. كتاب الناسخ والمنسوخ.

ح. كتاب النوادر.

٨. أحمد بن هلال العبرتائي (ت٢٦٧هـ) له مؤلفات منها:

أ. كتاب النوادر.

ب. كتاب يوم وليلة.

٩. أيوب بن نوح بن درّاج، أبو الحسين/ له من الكتب:

أ. كتاب روايات ومسائل عن أبي الحسن الثالث(عليه السلام).

ب. كتاب نوادر.

١٠. جعفر بن يونس الأحول الصيرفي له: كتاب نوادر.

١١. الحسن بن خرزاد القمي، له مؤلفات منها:

أ. كتاب أسماء رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم).

ب. كتاب المتعة.

١٢. الحسن بن علي بن أبي عثمان الكوفي، له كتاب النوادر.

١٣. الحسن بن أشكيب القمي خادم قبر فاطمة بنت الإمام موسى بن جعفر في قم المشرفة، له مؤلفات منها:

أ. كتاب الرّد على الزيدية.

ب. كتاب الرّد على من زعم أن النبي(ﷺ) كان على دين قومه قبل بعثته.

جـ. كتاب النوادر.

١٤. الحسن بن علي بن زيا الوشّا الخزاز، له كتابٌ.

١٥. حمدان بن سليمان بن عميرة النيسابوري؛ له مؤلف.

١٦. خيران الخادم القراطيسي؛ له مؤلف.

١٧. داود بن القاسم الجعفري البغدادي؛ له مؤلف.

١٨. داود بن منافة الكوفي؛ أبو سليمان، له كتاب مسائل.

١٩. رجاء بن يحيى العبرتائي الكاتب، له كتاب: المقنعة في أبواب الشريعة.

٢٠. الريّان بن الصلت البغدادي، له مؤلف.

٢١. السري بن سلامة الأصبهاني؛ له مؤلف.

٢٢. سهل بن زياد الآدمي الرازي، له كتابان ذكرناهما في كتابنا: الإمام محمد الجواد/ معجزة السماء في الأرض.

٢٣. السندي بن محمد الجهني، أبو بشر، له كتاب نوادر.

٢٤. عبد العظيم بن عبد الله بن علي الحسني، أبو القاسم، له:

كتاب خطب أمير المؤمنين(عليه السلام).

٢٥. عبدوس العطار الكوفي البغدادي، له مؤلف.

٢٦. علي بن إبراهيم القمي الكوفي، له مؤلفات كثيرة منها:

أ. كتاب اختيار القرآن ورواياته.

ب. كتاب الأنبياء.

جـ كتاب التفسير.

د. كتاب التوحيد والشرك.

هـ جوابات مسائل سأل عنها محمد بن هلال.

و. كتاب الحيض.

ز. رسالة في معنى هشام ويونس.

ح. كتاب الشرائع.

ط. كتاب فضائل أمير المؤمنين(ع).

ي. كتاب في المغازي.

ك. كتاب في الناسخ والمنسوخ.

ل. كتاب قرب الإسناد.

م. كتاب المناقب.

٢٧. علي بن بلال البغدادي، أبو الحسن، له مؤلف.

٢٨. علي بن الحسن بن علي بن فضّال، أبو الحسن الكوفي، له مؤلفات كثيرة منها:

أ. كتاب أخبار بني إسرائيل.

ب. كتاب أسماء آلات رسول الله(ص) وأسماء سلاحه.

جـ كتاب الأصفياء.

د. كتاب الأنبياء.

هـ كتاب البشارات.

و. كتاب التفسير.

ز. كتاب التنزيل من القرآن والتحريف.

ح. كتاب الجنائز.

ط. كتاب الجنة والنار.

ي. كتاب الحيض والنفاس.

ك. كتاب الخمس.

ل. كتاب الدعاء.

م. كتاب الدلائل.

ن. كتاب الرجال.

س. كتاب الزكاة.

ع. كتاب الزهد.

ف. كتاب صفات النبي (صلى الله عليه وآله وسلم).

ص. كتاب الصلاة.

ق. كتاب الصوم.

ر. كتاب الطب.

ش. كتاب الطلاب.

ت. كتاب العقيقة.

ث. كتاب العلل.

خ. كتاب الغيبة.

ذ. كتاب الفرائض.

ض. كتاب فضل الكوفة.

ظ. كتاب المتعة.

غ. كتاب المثالب.

أ.ب. كتاب المعرفة

أ.جـ كتاب الملاحم.

أ.د. كتاب مناسك الحج.

أ.هـ كتاب المواعظ.

أ.و. كتاب النكاح.

أ.ز. كتاب الوصايا.

أ.ح. كتاب الوضوء.

أ.ط. كتاب وفاة النبي(ص).

٢٩. علي بن الريّان بن الصلت، له من الكتب:

أ. كتاب مشترك بينه وبين أخيه محمد.

ب. كتاب منثور الأحاديث.

جـ نسخة عن الإمام علي الهادي(ع).

٣٠. علي بن عبد الله العطّار القمي، له كتاب الاستطاعة على مذاهب أهل الصول.

٣١. علي بن محمد المنقري، له كتاب نوادر.

٣٢. علي بن معبد البغدادي؛ له كتاب.

٣٣. عيسى بن أحمد بن عيسى بن المنصور له:

نسخة يرويها عن الإمام علي الهادي(ع).

٣٤. الفتح بن يزيد الجرجاني، له كتاب مسائل.

٣٥. الفضل بن شاذان الرازي النيسابوري، له مؤلفات كثيرة منها:

أ. كتاب إثبات الرجعة.

ب. كتاب الاستطاعة.

جـ. كتاب الأعراض والجواهر.

د. كتاب الإمامة (الكبير).

هـ. كتاب الإيمان.

و. كتاب تبيان أصل الضلالة.

ز. كتاب التفسير.

ح. كتاب التنبيه من الجبر والتشبيه.

ط. كتاب التوحيد في كتب الله.

ي. كتاب جمع فيه مسائل متفرقة.

ك. كتاب الحسنى.

ل. كتاب حذو النعل بالنعل.

م. كتاب الخصال في الإمامة.

ن. كتاب الديباج.

س. كتاب الرّد على ابن كرام.

ع. كتاب الرّد على أحمد بن يحيى.

ف. كتاب الرّد على الأصمّ.

ص. كتاب الرّد على أهل التعطيل.

ق. كتاب الرّد على الباطنية والقرامطة.

ر. كتاب الرّد على الحسن البصري في التفضيل.

ش. كتاب الرّد على الحشوية.

ت. كتاب الرّد على الدافعة في التنوية.

ث. كتاب الرّد على الغلاة.

خ. كتاب الرّد على القرامطة.

ذ. كتاب الرّد على المثلثة.

ض. كتاب الرّد على المرجئة.

ظ. كتاب الرّد على يمان بن رباب الخارجي.

غ. كتاب السنن في الفقه.

أ.ب. كتاب العروس، وهو كتاب العين.

أ.جـ كتاب الطلاق.

أ.د. كتاب العلل.

أ.هـ كتاب عمل شهر رمضان.

أ.و. كتاب الفرائض (الأوسط).

أ.ز. كتاب الفرائض (الصغير).

أ.ح. كتاب الفرائض (الكبير).

أ.ط. كتاب فضل أمير المؤمنين(ع).

أ.ي. كتاب القائم(ع).

أ.ك. كتاب القراءات.

أ.ل. كتاب اللطيف.

أ.م. كتاب المتعتين متعة النساء ومتعة الحج.

أ.ن. كتاب المسائل في العالم وحدوثه.

أ.س. كتاب المسائل والجوابات.

أ.ع. كتاب المسائل الأربعة في الإمامة.

أ.ف. كتاب مسائل البلدان.

أ.ص. كتاب المسح على الخفّين.

أ.ق. كتاب معرفة الهدى والضلالة.

أ.ر. كتاب المعيار والموازنة.

أ.ش. كتاب الملاحم.

أ.ت. كتاب المنزلة الأربعة (كذ) وهو كتاب الرد على يزيد بن بزيع الخارجي.

أ.ث. كتاب نخبة الإسلام.

أ.خ. كتاب النسبة بين الجبرية والبترية.

أ.ذ. كتاب النقض على أبي عبيد في الطلاق.

أ.ض. كتاب النقض على الأسكافي في الجسم.

أ.ظ. كتاب النقض على من يدعي الفلسفة في التوحيد والأعراض والجواهر والجزء.

أ.غ. كتاب الوعد والوعيد.

ب.ب. كتاب الوعيد.

٣٦. محمد بن حسان الرازي الزينبي أو (الزيني)

له مؤلفات منها:

أ. كتاب ثواب الأعمال.

ب. كتاب ثواب (إنا أنزلنا..).

جـ. كتاب ثواب القرآن.

د. كتاب الشيخ والشيخة.

هـ. كتاب العقاب.

٣٧. محمد بن الحسن بن شمون البصري (ت٢٥٨هـ)

له مؤلفات ذكرت في كتابنا (الإمام محمد الجواد/ معجزة السماء في الأرض).

٣٨. محمد بن الحسين بن أبي الخطاب الزيات الكوفي (ت٢٦٢هـ) له مؤلفات ذكرناها في كتابنا (الإمام محمد الجواد).

٣٩. محمد بن الريّان بن الصلت، له كتاب مسائل.

٤٠. محمد بن عبد الله بن مهران الكرخي.

له مؤلفات ذكرناها في كتابنا (الإمام محمد الجواد/ معجزة السماء في الأرض)

٤١. محمد بن علي بن عيسى الأشعري الطلحي القمي له كتاب مسائل.

٤٢. محمد بن عيسى بن عبيد بن يقطين بن يونس، له مؤلفات كثيرة منها:

أ. كتاب الإمامة.

ب. كتاب الأمل والرجاء.

جـ. كتاب البشارات.

د. كتاب بُعد الإسناد.

هـ. كتاب التجمّل والمروءة.

و. كتاب تفسير القرآن.

ز. كتاب التوقيعات.

ح. كتاب ثواب الأعمال.

ط. كتاب الرجال.

ي. كتاب الزكاة.

ك. كتاب الضياء.

ل. كتاب الطرائف.

م. كتاب الفيء والخمس.

ن. كتاب قرب الإسناد.

س. كتاب اللؤلؤة.

ع. كتاب المسائل المجربة.

ف. كتاب المعرفة.

ص. كتاب النوادر.

ق. كتاب الواضح المكشوف في الرّد على أهل الوقوف.

ر. كتاب الوصايا.

٤٣. محمد بن الفرج، له: كتاب مسائل.

٤٤. معاوية بن حكيم بن معاوية بن عمار الكوفي، له مؤلفات ذكرناها في كتابنا (الإمام محمد الجواد/ معجزة السماء في الأرض).

٤٥. منصور بن العباس، له كتاب.

٤٦. موسى بن عمر بن بزيع، له مؤلف.

٤٧. يعقوب بن إسحاق السكّيت /اللغوي الشهير/ (ت: ٢٤٦هـ) له مؤلفات كثيرة ومهمّة منها:

أ. كتاب الإبل.

ب. كتاب الأجناس /كبير.

جـ. كتاب الأرضين والجبال والأودية.

د. كتاب إصلاح المنطق.

هـ. كتاب الأصوات.

و. كتاب الأضداد.

ز. كتاب الألفاظ.

ح. كتاب الأمثال.

ط. كتاب الأيام والليالي.

ي. كتاب البحث.

ك. كتاب الحشرات.

ل. كتاب السرج واللجام.

م. كتاب سرقات الشعراء وما اتفقوا فيه.

ن. كتاب الشجر والنبات.

س. كتاب شعر أبي داود.

ع. شعر الأخطل.

ف. شعر الأعشى.

ص. شعر امرئ القيس.

ق. شعر أوس بن حجر.

ر. شعر بشر بن أبي خازم.

ش. شعر جرير.

ت. شعر زهير الحارث اليشكري.

ث. شعر حسّان بن ثابت.

خ. شعر زهير.

ذ. شعر طرفة.

ض. شعر السليك بن السلكة.

ظ. شعر عامر بن الطفيل.

غ. شعر علقمة الفحل.

أ.ب. شعر عمرو بن أحمر.

أ.ج. شعر عمرو بن كلثوم.

أ.د. شعر عنترة.

أ.هـ شعر الفرزدق.

أ.و. شعر النابغة.

أ.ز. كتاب الطير.

أ.ح. كتاب الفرق.

أ.ط. كتاب فعل وأفعل.

أ.ي. كتاب القلب والأبدال.

أ.ك. كتاب ما اتفق لفظه واختلف معناه.

أ.ل. كتاب ما جاء في الشعر وما حُرّف عن جهته.

أ.م. كتاب المثنى والمبنى والمكنى.

أ.ن. كتاب المذكر والمؤنث.

أ.س. كتاب معاني الشعر (الصغير).

أ.ع. كتاب معاني الشعر (الكبير).

أ.ف. كتاب المقصور والممدود.

أ.ص. كتاب النوادر.

٤٨.يعقوب بن يزيد الكاتب، له مؤلفات منها:

أ. كتاب البداء

ب. كتاب الطعن على يونس.

جـ. كتاب المسائل.

د. كتاب نوادر الحج.

٤٩. أبو يحيى الجرجاني؛ له كتب كثيرة منها:

أ. كتاب استنباط الحشوية.

ب. كتاب الأوائل.

جـ. كتاب التسوية.

د. كتاب التفويض.

هـ. كتاب خلاف عمر برواية أهل الحشو.

و. كتاب الرّد على الحنبلي.

ز. كتاب الرّد على السنجري.

ح. كتاب الصبهاكي.

ط. كتاب طلاق المجنون.

ي. كتاب الغوغاء من أصناف الأمّة.

ك. كتاب فضائح الحشوية.

ل. كتاب محنة النائبة، يصف فيه مذهب أهل الحشو.

م. كتاب مفاخرة البكرية والعمرية.

ن. كتاب مناظرة الشيعي والمرجئ.

س. كتاب نكاح السكران.

❊ ❊ ❊

هذا ما وقفت عليه البحث من أصناف هـذه المؤلفـات بـشتى الفنـون، ومن هنا ندرك ما كان عليه أصحاب الإمام الهادي والراوون عنه مـن الجـد والاجتهاد بالارتفاع بمستوى الشعب المـسلم إلـى قمـة الإرشـاد والرشـاد، وذروة التحضّر والعلم النافع من خلال تدوينهم للعلوم، واضـطلاعهم بنـشر آراء الإمام الهادي(عليه السلام) وترجمة أفكاره بكتب قيّمة تجاوزت عدة مئاتٍ مـن الأعداد.

* * *



اللآلئ المنثورة من حِكَمِ الإمام الهادي (عليه السلام)

وللإمام علي الهادي(عليه السلام) حِكَمٌ منثورة في صفحات كتب العلم والأدب والتراث والرواية والأخلاق والعرفان والحديث والفلسفة، تعتبر في الميزان النقدي من الأقوال السائرة الجارية مجرى الأمثال، ذلك لاشتمالها على الموعظة الحسنة وتهذيب النفوس، واستباقها لإرشاد الضال وقمع الضلال، واستهدافها إنقاذ الأمة وتوجيه الأجيال، فقد استجمعت أسمى المعاني قوةً، واستوعبت أرقى المفاهيم ذروة، فمن شؤون الدين إلى شؤون الدنيا، ومن عمق الهدف إلى سلامة الأداء، فجاءت على جانب عظيم من الأصالة، وتفجّرت ينبوعاً ثراً من البلاغة، سيّرها الإمام بأسلوبه الرائع المهيب، وقدّمها مثلاً إنسانياً لطلاب الصلاح النفسي وروّاد الإصلاح الفردي والجماعي.

والبحث يقدّم مختارات منها مبرمجة على الحروف الأبجدية، تسهيلاً للطلب، وتنظيماً للمبحث، وقد أُخذت من مصادرها الأولى بروايات الأخبار، وابن شعبة في تحف العقول، والشيخ المفيد في الأمالي، والشيخ الطوسي في أماليه، والأربلّي في كشف الغمّة، وابن الصبّاغ المالكي في الفصول المهمة، وابن شهرآشوب في المناقب، والمجلسي في بحار الأنوار، والأمين الحسيني العاملي في أعيان الشيعة، والأستاذ القرشي في حياة الإمام علي الهادي، والمجمع العالمي لأهل البيت في كتاب الإمام علي بن محمد الهادي، وسوى ذلك.

ونحن نزفّها للقارئ على سجيتها من دون تعقيب أو تحليل، فهي من السهل الممتنع، ومن البلاغة في مطابقة مقتضى الحال، لا تحتاج إلى شرح، فلها منها عليها شواهد، وفي نصاعتها من عباراتها دلائل، يفيد منها العامة والخاصة، فتستظهر الخاصة بها طلائع الفن القولي، ويفهمها العامة لسلامة اللغة ولطف التعبير.

(أ)

١. إن الله إذا أراد بعبد خيراً: إذا عوتب قبل.

٢. إن لله بقاعاً يحبّ أن يدعى فيها فيستجيب لمن دعاه، والحَير منها[1].

٣. إن الظالم الحالم يكاد أن يغطي على ظلمه بحلمه، وإن المحقّ السفيه يكاد أن يطفئ نور حقِّه بسفهه.

٤. إن كثرة الملق يهجم على الفطنة، فإذا حللت من أخيك محل الثقة فأعدل على الملق إلى حسن النيّة.

٥. إذكر مصرعك بين يدي أهلك، حيث لا طبيب يمنعك، ولا حبيب ينفعك.

٦. إذكر حسرات التفريط بأخذ تقديم الحزم.

٧. إياك والحسد فإنه يبين فيك، ولا يعمل بعدوك.

٨. إذا كان زمان: العدل فيه أغلب من الجور فحرام أن يظن بأحد سوءاً حتى يعلم ذلك منه، وإذا كان زمان: الجور أغلب فيه من العدل، فليس لأحد أن يظن بأحد خيراً ما لم يعلم ذلك منه.

---

(١) الحَير بالفتح، المراد به هنا الحائر الحسيني المتضمن جثمان سيد الشهداء الإمام الحسين بن علي بن أبي طالب(ع)، سمي بذلك لأن المتوكل العباسي اقر بإجراء ماء الفرات عليه، فلما أجري الماء نحو المرقد الطاهر للإمام الحسين حار الماء واستدار، ولم يصل البقعة المباركة، فسمي الحائر.

٩. إن الله جعل الدنيا دار بلوى، والآخرة دار عقبى، وجعل بلوى الدنيا لثواب الآخرة سبباً، وثواب الآخرة من بلوى الدنيا عوضاً.

١٠. أبقوا النعم بحسن مجاورتها، والتمسوا الزيادة فيها بالشكر عليها، واعلموا أن النفس أقبل شيء لما أعطيت، وأمنع شيء لما منعت فاحملوها على مطية لا تبطئ.

إن من العزّة بالله أن يصر العبد على المعصية، ويتمنى على الله المغفرة.

(ب)

١٢. البخلُ أذمُّ الأخلاق، والطمعُ سجيّةٌ سيِّئة.

(جـ)

١٣. الجاهلُ أسيرُ لسانه.

١٤. الجهل والبخل أذمُّ الأخلاق.

(د)

١٥. الدنيا سوقٌ؛ ربح فيها قومٌ، وخسر فيها آخرون.

(هـ)

١٦. سئل (عليه السلام) عن الحزم فقال:

هو أن تنظر فرصتك، وتعاجل ما أمكنك.

١٧. الهزء فاكهة السفهاء وصناعة الجهّال.

(ح)

١٨. الحلم أن تملك نفسك وتكظم غيظك مع القدرة عليه.

١٩. الحسد ماحقُ الحسناتِ، والزهو جالب المقت.

٢٠. حسنُ الصورة جمالٌ ظاهر، وحسنُ العقل جمالٌ باطن.

(ك)

٢١. الكفر للنعم أمارة البطر، وسببٌ للتغيير.

(ل)

٢٢. اللجاجة مسلبة للسلامة ومودية للندامة.

٢٣. لا نجع في الطبايع الفاسدة.

٢٤. قال الإمام علي الهادي للمتوكل العباسي:

لا تطلب الصفاء ممن كدرت عليه، ولا الوفاء ممن غدرت به، ولا النصح ممن صرفت سوء ظنك إليه، فإنما قلب غيرك كقلبك له.

٢٥. لو سلك الناس وادياً وسيعاً لسلكت وادي رجل عبد الله وحده خالصاً.

٢٦. من سأل فوق قدر حقّه فهو أولى بالحرمان.

٢٧. من رضي عن نفسه كثر الساخطون عليه.

٢٨. المصيبة للصابر واحدة، وللجازع اثنتان.

٢٩. المراء يفسد الصداقة القديمة، ويحلل العقدة الوثيقة، وأقلّ ما فيه أن تكون المغالبة، والمغالبة أس أسباب القطيعة.

٣٠. مخالطة الأشرار تدل على شر من يخالطهم.

٣١. ما استراح ذو الحرص والحكمة.

٣٢. من لم يحسن أن يمنع، لم يحسن أن يعطي.

٣٣. من جمع لك ودّه، فأجمع له طاعتك.

٣٤. من هانت عليه نفسه فلا تأمن شرّه.

(ن)

٣٥. الناس في الدنيا بالمال، وفي الآخرة بالأعمال.

(س)

٣٦. السهرُ ألذُ للمنام، والجوع يزيد في طيب الطعام[١].

(ع)

٣٧. العتاب مفتاح التعالي، والعتاب خير من الحقد.

٣٨. العجب صارف عن طلب العلم، وداعٍ إلى التخمط في الجهل.

٣٩. العقوق يعقب القلّة، ويؤدي إلى الذلّة.

(ص)

٤٠. صلاحُ من جَهِلَ الكرامة هوانُهُ.

(ر)

٤١. راكب الحرون -وهي الفرس الصعبة الانقياد- أسيرُ نفسه.

(ش)

٤٢. شر الرزية سوء الخلق.

٤٣. شر من الشر جالبه، وأهول من الهول راكبه.

٤٤. الشاكر أسعد بالشكر منه بالنعمة التي أوجبت الشكر، لأن النعم متاع، والشكر نعم وعقبى.

(ت)

٤٥. تريك المقادير ما لا يخطر ببالك.

(خ)

٤٦. خير من الخير فاعله، وأجملُ من الجميل قائله، وأرجح من العلم عامله.

---

(١) قال السيد الأمين: يريد به الحث على قيام الليل وصيام النهار. المجالس السنية ٥/ ٣٨٩.

(غ)

٤٧. الغنى قلّة ثمنيك، والرضا بما يكفيك، والفقر شره النفس وشدة القنوط، والمذلّة اتّباع اليسير والنظر في الحقير.

٤٨. الغضب على من تملك لؤمٌ.

وهكذا ينتهي بنا التجوال في رحاب هذه الألفاظ الجارية مجرى الأمثال من حكم الإمام ووصاياه.

* * *

الفصل الثامن

استشهاد الإمام علي الهادي (عليه السلام) ومشهده الشريف

١. اغتيال الإمام الهادي بالسّم.

٢. هل كان الإمام الهادي مريضاً.

٣. استشهاد الإمام الهادي وتشييعه.

٤. الإمام الهادي يدفن في داره.

٥. مشهد الإمام الهادي في سامراء.

٦. وصف ميداني للصحن والروضة المطهّرة.

٧. تفجير مرقد الإمامين العسكريين في سامراء.

٨. نسف منائر ضريح الإمامين العسكريين في سامراء.

٩. قصيدتان للمؤلف في الإمام



اغتيال الإمام الهادي (عليه السلام) بالسّم

كانت الحقبة التي أشغل بها الإمام علي بن محمد الهادي (عليه السلام) منصب الإمامة قد امتدت طيلة أربعة وثلاثين عاماً.

إذ تولى الإمام وهو دون السابعة بثلاثة أشهر، فقد «أقام مع أبيه ست سنين وخمسة أشهر، وبعده مدة إمامته ثلاثاً وثلاثين سنة، ويقال وتسعة أشهر»[1].

وتوفي وهو «ابن أربعين سنة، وقيل: ابن اثنتين وأربعين، وقيل أكثر من ذلك»[2].

إلا أن الإجماع التأريخي قائم على أن الإمام توفي عام ٢٥٤هـ[3].

وكنا قد رجّحنا أن ولادته في عام ٢١٢هـ فعمره الشريف لدى استشهاده اثنتان وأربعون سنة.

وإذ قضى منها مع أبيه ست سنين وأشهراً، كان ما رجحناه من مدة إمامته صحيحاً، أو مقارباً للصحة.

بينما ذهب الشيخ المفيد أعلى الله مقامه أنه توفي سنة أربع وخمسين، وله يومئذ إحدى وأربعون سنة وأشهراً[4].

---

(١) الأربلّي/ كشف الغمة ٣/٢٣٢، المجلسي/ بحار الأنوار ٥٠/١١٤.

(٢) المسعودي/ مروج الذهب ٤/١١٣.

(٣) ابن شهرآشوب/ المناقب ٢/٤٤٢، ابن الصباغ/ الفصول المهمة/ ٢٦٥.

(٤) المفيد/ الإرشاد/ ٣٦٨.

لإثبات دلائل الإمامة في العلم والمعرفة والاستطالة الحضارية، وشاهداً على تمرسه الخارق بشتى ميادين العلوم الإنسانية، وسبيلاً إلى استيلاء الإمام على مشاعر الأمة وعواطف الناس، مما خلق مناخاً مضاداً لمسيرة الخلافة العباسية، فكان التخلص منه من أوليات أهداف بني العباس.

ولم يكفهم أنه كان محاطاً برقابة قاسية، ومعرضاً لصنوف الاضطهاد، ومحروماً من الحضور العلني في أزمات الشؤون العامة، ولذلك أقدموا على اغتياله مسموماً دون شك لدينا في هذا.

وقد نسب القول للإمام الحسن بن علي(ع) «**ما منّا إلا مقتول أو مسموم**»[١].

وقد دلّ الاستقراء التأريخي على مصداقية هذا القول باستعراض حالات الوفيّات لأئمة أهل البيت(ع)، وإذا كان الأمر كذلك وهو كذلك «فقد فوجئ المؤمنون بمصيبتهم الكبرى بوفاة إمامهم أبي الحسن الهادي من دون سابق مرض، أو علّة معروفة، فاتجهت أصابع الاتهام إلى الخليفة بكونه الآمر بدس السمّ إليه»[٢].

فقد ذهب الطبرسي وابن الصبّاغ المالكي إلى القول بأن:

«ولي الله علي بن محمد استشهد في آخر ملك المعتزّ»[٣]. وكذلك ذهب السروي على القول باستشهاد الإمام مسموماً في آخر ملك المعتزّ[٤].

وقال ابن بابويه: وسمّه المعتمد[٥].

---

(١) المجلسي/ بحار الأنوار ٢٧/٢١٦.

(٢) محمد حسن آل ياسين/ الإمام علي بن محمد الهادي/ ٦٧.

(٣) إعلام الورى/ ٣٣٩، الفصول المهمّة/ ٢٨٣.

(٤) ابن شهرآشوب/ المناقب ٤/٤٠١.

(٥) المجلسي/ بحار الأنوار ٥٠/٢٦٠.

والذي يذهب إليه البحث أن المعتزّ بن المتوكل بن المعتصم بن الرشيد هو الذي سمّ الإمام علي الهادي عام ٢٥٤هـ والمعتمد تولى الملك بعد قتل الأتراك للمعتز، أو بعد موته لدى خلعه عام ٢٥٥هـ[(١)].

ولا مانع أن يكون المعتزّ في أواخر ملكه قد استعان بالمعتمد في دسّ السمّ للإمام، ولم يباشر ذلك بنفسه، وإنما كان بأمره، ومن هنا حصل الالتباس في الأمر، وهذا يوفّق بين القولين.

يقول المسعودي: «كانت وفاة أبي الحسن علي بن محمد بن علي في خلافة المعتزّ بالله، وذلك يوم الاثنين... وسمعت في جنازته جارية سوداء وهي تقول: ماذا لقينا من يوم الاثنين»[(٢)].

وما أثبتناه خلاصة الروايات التأريخية بذلك، فهل كان الإمام مريضاً فمات حتف أنفه، أو أنه سقي السمّ؟

❊ ❊ ❊

(١) ظ: الطبري/ التاريخ ٩/٣٨٩، المسعودي/ مروج الذهب ٤/١١٠، ابن الطقطقى/ الفخري/ ٢١٥، السيوطي/ تأريخ الخلفاء/ ٢٣٩.

(٢) المسعودي/ مروج الذهب ٤/١٩٣.



هل كان الإمام الهادي(عليه السلام) مريضاً؟

لم تتحدث الروايات التأريخية عن أيّ مرض ألمَّ بالإمام(عليه السلام) عند وفاته، وإنما توفي فجأة عند سقيه السم.

نعم ربما كان يمرض الإمام أيام حياته شأن الآخرين، وهذا لا يمنع من سمه بعد ذلك، فعن سهل بن زياد عن أبي هاشم الجعفري، قال:

بعث إلي أبو الحسن(عليه السلام) في مرضه، وإلى محمد بن حمزة، فسبقني إليه محمد بن حمزة، فأخبرني محمد: ما زال يقول: ابعثوا إلى الحير، وقلت لمحمد ألا قلت له: أنا أذهب إلى الحير؟

ثم دخلت عليه وقلت له: جعلت فداك أنا أذهب إلى الحير!! فقال: انظروا في ذلك!! ثم قال: إن محمداً ليس له سرٌّ من زيد بن علي، وأنا أكره أن يسمع ذلك!!

قال: فذكرت ذلك لعلي بن بلال، فقال: ما كان يصنع الحير؟ هو الحير.

فقدمت العسكر، فدخلت عليه، فقال لي: اجلس حين أردت القيام، فلمّا رأيته أنس بي ذكرت له قول علي بن بلال، فقال لي: ألا قلت له: إن رسول الله(صلى الله عليه وآله) كان يطوف بالبيت ويقبل الحجر!! وحرمة النبي(صلى الله عليه وآله) والمؤمن أعظم من حرمة البيت!! وأمره الله عز وجل أن يقف بعرفة، وإنما هي مواطن يحبّ الله أن يذكر فيها، فأنا أحب أن يُدعى لي حيث يحب الله أن يدعى فيها.

وذكر عنه أنه قال: ولم أحفظ عنه، قال:

إنما هذه مواضع يحبّ الله أن يتعبد فيها، فأنا أحبّ أن يدعى لي حيث يحبّ الله أن يعبد، هلاّ قلت له كذا؟

قلت: جعلت فداك، لو كنتُ أحسن مثل هذا لم أردّ الأمر عليك[١].

فهنا نجد الإمام يطلب من أوليائه أن يبعثوا رجلاً منهم إلى الحائر الحسيني للدعاء له بالشفاء عند مرقد سيد الشهداء.

وأما قول من قال: «ما كان يصنع الحير؟ هو الحير» فمعناه أن الإمام الهادي(ع) في المكانة والمقام عند الله مثل الحير في الشرف والمنزلة واستجابة الدعاء، فلا يحتاج إلى الدعاء له في الحائر، فأجاب الإمام بما أجاب في ذكر مواطن العبادة التي يستجاب فيها الدعاء ومنها الحائر، وأنّه أحبّ أن يدعى له فيها حيث يحبّ الله أن يُعبد.

هذا المرض يحتمل أن يكون في مرض عابر اعتيادي، سابق لمرض الموت، ويحتمل أن يكون بعد أن سقي السمّ.

وفيما عدا هذا لم يحدثنا التأريخ بمرض له يودي بحياته وهو في عنفوان شبابه.

* * *

(١) الكليني/ الكافي ٤/٥٦٧-٥٦٨.

استشهاد الإمام الهادي (عليه السلام) وتشييعه

وقضى الإمام أبو الحسن علي بن محمد الهادي(عليه السلام) شهيداً، فقام وصيّه وولده الإمام أبو محمد الحسن العسكري بتجهيزه غسلاً وتكفيناً وسنناً، وأدّى الصلاة عليه.

وشاع خبر وفاة الإمام في الوسط الخاص أولاً، ولدى قواعده الشعبية ثانياً، فالتقى الخاص والعام في تشييعه، وتدفقت الجماهير نحو دار الإمام(عليه السلام) في سامراء، «واجتمعوا وكثر بكاؤهم وضجيجهم»[١].

وكان ذلك في نصف النهار[٢].

وكانت وفاته في يوم الاثنين[٣].

واختلفوا في شهر الوفاة، فقيل: في شهر رجب مطلقاً[٤].

وحدده بعض المؤرخين في الثالث من رجب[٥].

وذهب آخرون إلى أنه توفي في شهر جمادى الآخرة[٦].

---

(١) اليعقوبي/ التأريخ ٢٢٥/٣.

(٢) ابن شهرآشوب/ المناقب ٤٤٢/٢، المجلسي/ البحار ١٩٢/٥٠.

(٣) ظ: الطبري/ التأريخ ٣٨١/٩، المسعودي/ مروج الذهب ١١٤/٤، الخطيب البغدادي/ تأريخ بغداد ٥٧/١٢، أبو الفدا/ التأريخ ٤٥/٤، ابن خلكان/ وفيات الأعيان ١٣٧/٢، ابن الصباغ/ الفصول المهمة/ ٢٦٥، الصفدي/ الوافي بالوفيات ٧٤/٢٢، الجواهري النجفي/ الجواهر ٩٩/٢٠.

(٤) الكليني/ الكافي ٤٩٧/١، المفيد/ الإرشاد/ ٣٥٢، الطوسي/ التهذيب ٩٢/٦، ياقوت/ معجم البلدان ١٧٥/٦

(٥) المناقب/ ابن شهرآشوب ٤٤٢/٢، ابن خلكان/ وفيات الأعيان ٤٣٥/٢ وسواهما.

(٦) ابن الأثير/ الكامل ٣٣٩/٥، سبط ابن الحوزي/ تذكرة الخواص/ ٣٧٥، ابن حجر/ الصواعق/ ١٢٤، القندوزي/ ينابيع المودة/ ٣٦٦.

وحدد آخرون ذلك في الرابع من جمادى الآخرة[١].

وذهب آخرون بوفاته لخمس ليالٍ بقين من جمادى الآخرة[٢].

وقيل لأربعٍ بقين من جمادى الآخرة[٣].

وقيل لثلاثٍ بقين منها[٤].

وأجمع المؤرخون أن وفاته كانت في عام ٢٥٤هـ والذي عليه العمل في المشاهد المشرفة والعتبات المقدسة وفي العراق بعامة اعتبار الثالث من رجب يوم وفاته، وفيه تشدّ الرجال إلى زيارته(ع) من جميع القصبات.

ولدى انتشار خبر استشهاد الإمام تورد الناس بمختلف طبقاتهم إلى تشييع الإمام(ع).

وقد وصف المسعودي بسنده تجمهرهم بالقول:

«وحدثنا جماعة كل واحد منهم يحكي أنه دخل الدار (دار الإمام) وقد اجتمع فيها جملة بني هاشم من الطالبيين والعباسيين، واجتمع خلق من الشيعة، ولم يكن ظهر عندهم أمر أبي محمد(ع)، ولا عرف خبره إلاّ الثقات الذين نص أبو الحسن(ع) أمامهم...»[٥].

«فخرج أبو محمد الحسن العسكري حاسراً مكشوف الرأس، مشقوق الثياب، وعليه مبطنة بيضاء، وكان(ع) وجهه وجه أبيه(ع) لا يخطئ منه شيئاً، وكان في الدار أولاد المتوكل وبعضهم ولاة العهود، فلم يبق أحد إلاّ

---

(١) الكليني/ الكافي ١/٤٩٧، ابن خلّكان/ وفيات الأعيان ٢/٤٣٥، الصفدي/ الوافي بالوفيات ٢٢/٧٤، ابن طولول/ الأئمة الاثنا عشر/ ١٠٩.

(٢) الخطيب البغدادي/ تأريخ بغداد ١٢/٥٧، ابن طلحة/ مطالب السؤول ٢/٧٧.

(٣) الطبري/ التأريخ ٩/٣٨١، المسعودي/ مروج الذهب ٤/١١٣، ابن كثير/ البداية والنهاية ١١/١٤، وآخرون.

(٤) اليعقوبي/ التأريخ ٣/٢٢٥، ابن شهرآشوب/ المناقب ٢/٤٤٢.

(٥) هذه الرواية تؤكد ما ذهبنا إليه -في موقعه من البحث- أن الإمام علي الهادي كان متكتماً بالنص على إمامة ولده الحسن العسكري حذر السلطة، إلاّ لدى الثقات من أصحابه.

قام على رجله، ووثب إليه أبو أحمد الموفق، فقصده أبو محمد(ع)، فعانقه ثم قال له: مرحباً بابن العم!! وجلس بين بابي الرواق، والناس كلهم بين يديه، وكانت الدار كالسوق بالأحاديث، فلمّا خرج(ع) وجلس أمسك الناس، فما كنا نسمع شيئاً إلاّ العطسة والسعلة، وخرجت جارية تندب أبا الحسن(ع) فقال أبو محمد: ما ها هنا من يكفينا مؤونة هذه الجاهلة؟ فبادر الشيعة إليها فدخلت الدار ثم خرج خادم فوقف بحذاء أبي محمد(ع)، وأخرجت الجنازة وخرج يمشي حتى أخرج بها إلى الشارع الذي بإزاء دار موسى بن بغا، وقد كان أبو محمد(ع) قبل أن يخرج إلى الناس، وصلّى عليه لما أخرج المعتمد»[1].

قال الطبرسي: «وفي آخر ملكه (يعني المعتز) استشهد ولي الله علي بن محمد الهادي(ع)، ودفن في داره بسرّ من رأى، وكان مقامه(ع) بسرّ من رأى إلى أن توفي عشرين سنة وأشهراً»[2].

وقد ذهب إلى هذا نفسه ابن خلّكان، وقال عن مدة إمامة الإمام بسامراء: «وأقام بها عشرين سنة وتسعة أشهر»[3]. وقد رأيت فيما مضى من البحث أن إقامته بها كانت عشر سنين وأشهراً.

* * *

(١) المسعودي/ مروج الذهب ٤/١٩٣.

(٢) الطبرسي/ إعلام الورى/ ٣٣٩، المجلسي/ البحار ٥٠/٢٧٠.

(٣) ابن خلكان/ وفيات الأعيان ٢/٤٣٥.

الإمام الهادي(عليه السلام) يدفن في داره

هنالك إجماع تأريخي أن الإمام علي الهادي(عليه السلام) قد دفن في داره، كما ذكر ذلك مؤرخو سيرته وحياته، والسؤال الذي يتبادر إلى الذهن: لماذا لم ينقل إلى مقبرة البلد فيدفن فيها؟

ولماذا أخرج إلى الشارع العام الكبير لدى التشييع؟

ولماذا ردّ النعش إلى دار الإمام بعد أن أخرج منها، فدفن فيها؟

لدينا نصّ تأريخي ذكره اليعقوبي له أهميته في تفسير الأحداث، فقد ذكر اليعقوبي: أن المعتز بعث بأخيه أحمد بن المتوكل فصلى عليه في الشارع المعروف بشارع أبي أحمد، فلمّا كثر الناس واجتمعوا كثر بكاؤهم وضجتهم، فردّ النعش إلى داره، فدفن فيها[1]....

هذا النص يعلّل لنا سبب دفن الإمام في داره، فقد تجمّع الناس، وتجمهر المشيعون في أكبر شوارع العاصمة سامراء، وفيه قصور كبار رجال الدولة ثم «قطائع قواد خراسان وأسبابهم من العرب، ومن أهل قم، وأصبهان، وقزوين، والجبل، وأذربيجان، يمنة في الجنوب مما يلي القبلة»[2].

---

(١) اليعقوبي/ التأريخ ٣/٢٥٥/ طبعة النجف الأشرف/ ١٣٥٨هـ.

(٢) ظ: حسين أمين/ سامراء في ظل الخلافة العباسية «بحث» في موسوعة العتبات المقدسة/ قسم سامراء/ ١/٨١.

ومعنى هذا احتشاد الشارع المشار إليه بأعيان القوم وجماهير الشيعة، فإذا أضفت لهم السواد الأعظم، وقد كثر البكاء والضجيج والتأسف وربما الإنكار!! فإن النظام قد خشي عاقبة الأمر، وربما أحدث ذلك انتفاضات عارمة يحركها الغضب اللائح في الأفق، والشعور العام الذي يشير بأصابع الاتهام للمعتزّ بسم الإمام واغتياله مستشهداً، وبغية تلافي هذا الهياج والغضب الواضح أرجع النعش الشريف إلى الدار بدلاً من السير به إلى جبّانة البلد، فدفن الإمام في داره.

ربما يكون الأمر هكذا، ويرجحه أن المعتز العباسي تظاهر بالحزن والأسى على الإمام، ليدفع عن نفسه التهمة المستحكمة في قتل الإمام، ولجأ إلى استدعاء ولده الإمام الحسن العسكري في مسرحية لتكريمه وتعزيته في وقت واحد، تغطيةً على الأمر، ودرءاً للأقوال التي أشيعت، وامتصاصاً للنقمة، واستثماراً للوقت بأن الخلافة بمنأى ومعزل عن قتل الإمام، فها هي تظهر حزنها من جهة، وتكرّم ولده وتجعله في الموضع الأسمى من جهة أخرى.

فعن الحصيني، قال: حدثني أبو الحسن علي بن بلال وجماعة من إخواننا أنه لمّا كان اليوم الرابع من وفاة سيدنا أبي الحسن(ع)، أمر المعتزّ بأن ينفذ إلى أبي محمد(ع) من يستركبه إليه ليعزيه ويسأله، فركب أبو محمد(ع) إلى المعتزّ فلمّا دخل عليه رحّب به وقرّبه وعزاه، وأمر أن يثبت في مرتبة أبيه(ع)، وأثبت له رزقه وأن يدفع إليه، فكان الذي يراه لا يشك أنه في صورة أبيه(ع)[(١)].

وهذا الصنيع لم يكن اعتباطياً، وإنما جعل حينما ضج الناس ضجة واحدة لدى وفاة الإمام، وتكاثر الهمس باتهام البلاط العباسي بقتله، وهذا يعني أن الخليفة ضالع باغتيال الإمام، والكناية أبلغ من التصريح، على أن أغلب المؤرخين يحدد المعتز بالذات -كما رأيت سابقاً- مسؤولاً عن سمّه على يديه بنفسه، وهو كذلك.

---

(١) ظ: المجمع العالمي لأهل البيت/ الإمام علي بن محمد الهادي/ ٢٠٠ وانظر مصدره.

مشهد الإمام الهادي (عليه السلام) في سامراء

حينما يتحدث عن مشهد الإمام علي الهادي في سامراء، فإن الحديث يشمل مشهد ولده الإمام الحسن العسكري(عليه السلام)، فالروضة المطهرة في سامراء تضم ضريح الإمامين في مركز المدينة.

حينما توفي الإمام علي الهادي سنة ٢٥٤هـ دفن في داره التي ابتاعها من دليل بن يعقوب النصراني كما سبق بيانه(١).

ولمّا توفي الإمام أبو محمد الحسن العسكري(عليه السلام) عام ٢٦٠هـ دفن إلى جوار والده، فكان القبران بداية تأسيس الحضرة الشريفة للإمامين العسكريين، ثم دفنت في الحضرة السيدة «نرجس» «ت ٢٦٠هـ» هي أم الإمام صاحب الزمان(عج).

وبعدها دفنت في الروضة السيدة الجليلة الطاهرة حكيمة بنت الإمام الجواد (ت ٢٧٤هـ). وقامت الروضة المطهرة على هذه الأجداث الأربعة، ولكل منها صندوق من الخاتم الثمين داخل الضريح الشريف مصنوع من الخشب الساج ومطعم بالعاج، وعليه الرتوش والنقوش المثلثة والمربعة والخماسية والمستطيلة بشكل بديع ملفت للنظر، وهي مرقومة رقماً أو محفورةً صنعاً.

وليس من البعيد أن كان قد دفن بعض أبناء الأئمة أو ذوي قرباهم ضمن الضريح المقدس كما تشير بعض النصوص.

---

(١) ظ: الخطيب البغدادي/ تاريخ بغداد ١٢/ ٥٧.

ولعل من المفيد حقاً أن نعطي موجزاً تأريخياً بأدوار تشييد العمارة لمشهد العسكريين، ومن ثم نحاول إجراء مسح ميداني يصف الصحن الشريف والروضة المطهرة وصفاً ميدانياً من خلال المشاهدة والعيان وبما احتفظت به الذاكرة.

كان ضريح الإمامين بارزاً منذ دفنهما به في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري، حتى إذا جاء القرن الرابع رأينا ناصر الدولة الحمداني يشيّد الدار والضريح من جديد، وقد بنى قبة على الضريحين وسورهما بسور متين، وكلل الضريح للإمامين بالستور الحريرية والمطرزة، وفرش بالبسط الثمينة، وأحاط سامراء بسور تشير إليه مطلعات الآثار، وذلك عام ٣٣٣هـ

وفي عام ٣٣٧ شاد معزّ الدولة البهويهي أساس البناء للضريح والدعائم، وعمّر القبة الشريفة، وأصلح «سرداب الغيبة» ورتّب القوّام والحجّاب، ورفع الضريح بالأخشاب، وجدد الصحن وسوّره، وطرّز البناء، وأكمل متطلبات ذلك.

وفي عام ٣٦٨هـ قام عضد الدولة البويهي بإكساء الروضة بالساج، وستر الضريح بالديباج، وعمّر الأروقة، ووسع الصحن وشيد السور.

وفي عام ٤٤٥هـ جدّد بركياروق السلجوقي الأبواب، ورمم القبّة والرواق والصحن والدار، وذلك على يد الوزير مجد الدولة.

ثم عمّر الناصر العباسي القبة والمآذن عام ٦٠٦هـ

وفي عام ٦٤٠هـ أبدل المستنصر الصندوق بعد حريق ألمّ بالمشهد، وجعله من الساج، وعمّر الروضة والسياج.

ثم زيّن أبو أويس حسن الجلائري الضريح عام ٧٥٠هـ وشيّد القبة من جديد، وعمل البهو، وشاد الدار، ونقل المقابر التي في الصحن إلى الصحراء.

ثم زيّن الشاه حسين الصفوي عام ١١٠٦هـ الروضة بالساج، ودعّم البناء، وعمل الشبّاك من الفولاذ، ورخّم الأرض والدور.

ثم عمر أحمد الدنبلي البرمكي الروضة والسرداب عام ١٢٠٠هـ وبدّل بابه وأخشابه بالحجر الصوّان والرخام. وتوفي ولم يكمله وقام ولده حسين وواصل البناء وأكمل البهو والأبواب، وزيّن جامع السرداب، وكتب الآيات على الأركان، وزيّن القبة بالكاشاني، وحفر قبراً له مع أبيه في الرواق عام ١٢٢٥هـ.

وفي عام ١٢٨٥هـ جدد ناصر الدين شاه القاجاري الشباك، وذهّب القبة الشريفة، وعمّر الضريح، والرواق، والبهو، والصحن، والمآذن، والدار، ورخّم الروضة، والرواق، والبهو، والصحن، والمآذن، وشرّع الأبواب، ورمم السور الذي بناه الدنبلي من قبل[1].

هذا ملخص إجمالي عن تأريخ عمارة الروضة العسكرية المطهرة، جاء على سلامته في الإيجاز والاختصار موفياً بالغرض، متوخّياً المعلومات الدقيقة الثابتة بالوثائق والنصوص الصحيحة.

❊ ❊ ❊

(١) ظ: محمد السماوي/ وشائح السرّاء في شأن سامراء/ ٢٨-٣٤. بتصرف واختصار، جعفر الخليلي/ موسوعة العتبات المقدسة/ قسم سامراء ١/ ١٤٠-١٤٢ دار التعارف بغداد/ مطبعة دار الكتب/ بيروت. د. ت السماوي/ طبعة النجف الأشرف/ ١٣٦٠هـ.



وصف ميداني للصحن والروضة المطهّرة

وتقع الروضة المطهّرة وسط صحن سامراء الكبير تقريباً، وهو عبارة عن ثلاثة صحون يتصّل بعضها ببعض، ويدخل إليها من ثلاثة أبواب رئيسية، باب القبلة: وترتفع فوقه ساعة المشهد الشريف، والباب الشرقي، والباب الغربي.

وصحن الإمامين العسكريين أكبر الصحون في العتبات المقدسة في العراق، ويبلغ طوله ٧٨متراً و٨٠سنتيمتراً. وعرضه ٧٧متراً وعشرة سنتمترات، وعدد الإيوانات في كل من ضلعيه ثمانية عشر إيواناً «بما فيه الباب» وعددها في الضلع الجنوبي ستة عشر إيواناً عدا إيوان الباب.

ومن هذا الصحن الشريف يتشعب «مصلّى» طوله ٤٠،٨٠متراً وعرضه ٣٨،٥٠متراً، وهو الصحن الثاني.

وأما الصحن الثالث فهو صحن «سرداب الغيبة» كما يسمونه، وطوله ٦٣،٨متراً وعرضه ٦١،٣متراً.

وفي سرداب الغيبة باب خشبي جميل باقٍ من عهد الخليفة الناصر العباسي، وهو مكوّن من أقسام مشبّكة، ومزخرف بنقوش وكتبات بديعة تدل على دقة عظيمة في الصنع، ورقة متناهية في الذوق الفني، وعليه كتابة فنيّة تشير إلى تأريخ صنعه من قبل الناصر في ربيع الثاني سنة ست وستمائة هلالية.

وكان الابتداء في هذه الكتابة بقوله تعالى:

بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿قُلْ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبى﴾[1].

﴿وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَزِدْ لَهُ فِيها حُسْناً إِنَّ اللهَ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾[2].

ويزين جدران سرداب الغيبة كاشٍ ملوّنٌ ومزخرفٌ بألوان زاهية صفراء وخضراء وزرقاء وبيضاء، ويمتد على طول الجدران الثلاثة نطاق من الخشب طوله ٤٨م، فيه كتابة كوفية بارزة هذا نصّها:

«بسم الله الرحمن الرحيم: محمد رسول الله، أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، الحسن بن علي، الحسين بن علي، علي بن الحسين، محمد بن علي، جعفر بن محمد، موسى بن جعفر، علي بن موسى، محمد بن علي، علي بن محمد، الحسن بن علي، القائم بالحق -(عليهم السلام)-»[3].

وعلى السرداب قبة كبيرة تمتاز بدقة تصميمها، وروعة هندستها، وزخرفتها بالقاشاني الأزرق، ومطعم بالفسيفساء الملوّنة والرتوش الزاهية، وحولها إطار من الآيات القرآنية الكريمة قد حُزِّمَت بها.

وأما الروضة المطهّرة فيدخل إليها من الجانبين الغربي والشرقي إلى طارمة مديمة تتجاوز الأربعين متراً طولاً والعشرة عرضاً، مفروشة بالرخام ومؤزرة به. وفي وسطها باب ذهبي كبير ذو مصراعين، وقد زيّن الباب بمصراعيه وكتبته بالذهب المزخرف والتطعيمات بالميناء، والكتابات والنقوش الجميلة، وهو يفضي إلى الرواق المحيط بالروضة المطهرة، وهو حرم يحيط بحرم الحضرة من الجوانب الأربعة، ويدور معها بعرض ١٤متراً تقريباً، ويشكّل هذا الرواق

(١) سورة الشورى/ الآية ٢٣.

(٢) عبد الرزاق الحسن/ العراق قديماً وحديثاً/ ١٠٩-١١٥ باختصار وتصرف وإضافة عن موسوعة العتبات المقدسة/ قسم سامراء ١/ ١٧٠.

(٣) ظ: حسين محفوظ/ بحث عن سامراء في المصادر عن دليل تاريخي على مواطن آثار العراق ٤١-٤٢/ ضمن موسوعة العتبات المقدسة/ سامراء/ ١٣١-١٩٠ ولنا عليه إضافات ميدانية.

امتداداً لجوانب الحرم، وله مدخلان إلى الحرم قبلي وشمالي، وقد رصف بالمرمر الإيطالي الفاخر، وهزارته من الجانبين مرمرية البناء والتطويق والتغليف، وما ارتفع منها وإلى السقف ذو زخرفة هندسية رائعة من المرايا المثلثة والمربعة والمخمسة بشكل ممتاز، ويتخلل ذلك وبأطر مختلفة كتابات قرآنية لآيات كريمة كتبت بالخطوط المختلفة وباللون الأبيض في أغلبها.

ويستقبل الداخل إلى الروضة بابان من الذهب الخالص المطعم بالميناء علواً وسطاً وسفلى. وفي نقوش بديعة بارزة ومخفية ومتوازنة، ويمتاز كل منهما بجودة الصنعة ودقة الفن.

وقد صنعا على أيدي الصنّاع من أصفهان بأموال تبرع بها أهل الخير والمعروف قربةً إلى الله تعالى. ومنهما تدخل إلى الروضة المباركة وهي في عرض ثلاثين متراً تقريباً وبطول أربعين متراً تقريباً، ويقع الضريح الذهبي الكبير في وسطها مشتملاً على أربعة مراقد هي:

١. مرقد الإمام علي الهادي(عليه السلام) (ت ٢٥٤هـ).

٢. مرقد الإمام الحسن العسكري(عليه السلام) (ت ٢٦٠هـ).

٣. مرقد السيدة نرجس أم الإمام المهدي (ت ٢٦٠هـ).

٤. مرقد السيدة حكيمة بنت الإمام محمد الجواد (ت ٢٧٩هـ).

والضريح عبارة عن المشبك الخارجي، وهو الشبّاك الفضي المطعّم في أعلاه وكتائبه بالذهب الخالص، وتحوطه من جوانبه الأربعة في أعلى الشباك قناديل من الذهب صفت حول كتائبه، وهياكل من مزهريات ذهبية ترتفع في أركان تلك الكتائب، وكتبت في طوقه الأعلى من جوانبه الآيات القرآنية بالذهب المطعّم بالفضة الخالصة والميناء الناصعة، ويضم في داخله أربعة صناديق تشير إلى المراقد الأربعة، وقد صنعت من الخاتم الثمين الذي لا يقدر بثمن، وقد رقمت بالساج وطعّمت بالعاج الأبيض وبأشكال

هندسية جذابة، تتخللها مقرنصات بديعة ثلاثية ورباعية وخماسية وغير ذلك، وتفصل بينهما ممرات ضيقة، وترتفع عن مستوى سطح الضريح الداخلي بقدم واحد، ويقوم من خلفها ذلك الضريح المتقدم وصفه.

وجدران الروضة في كل جوانبها رصفت بالمرمر الإيطالي الجميل، وكذلك أرضية الحرم، وقد فرشت بالسجّاد الإيراني الفاخر وعلى نسق واحد من جهاتها جميعاً، وقد صفت لوائح المرمر الثمين على جدران الروضة بارتفاع يتجاوز المترين بقليل، وتعلوه لوائح المرايا من الزجاج العاكس المرمري، ومصنوات (العين كاري) بأوضاعها المختلفة حتى تنتهي نحو حزام القبة مزينة بمصابيح كهربائية جانبية ومراوح للتبريد وأجهزة للتبريد تشمل الحرم كله، وعلى الطوق الذي يمتد حول أول القبة من الداخل رقمت أسماء الأئمة الاثني عشر(ﷺ) دائرية، ومن حولها الآيات القرآنية الكريمة، وتقوم القبة -وهي أكبر قبة في العتبات المقدسة- بشكلها البيضوي الدائري محتضنة الحرم الشريف، وقد زينت حتى نهايتها ومركز اعتلائها بالأشكال الهندسية المتعددة، وبمختلف النقوش والرتوش التزيينية الكثيرة، وعليها كتابات قرآنية كريمة، وقد توّجت القبّة من خارجها بالطابوق الذهبي كما كانت عليه قبل التفجير المشؤوم، وقد أمر بالتذهيب كما هو مرقوم عليها من الخارج بعدة جهات ناصر الدين شاه القاجاري عام ١٢٨٥هـ

وتحتضن القبة الذهبية منارتان متقابلتان من جهتي الشرق والغرب بارتفاع شاهق قد يبلغ أربعة وعشرين متراً، وقد رصفتا بالآجر الذهبي فهما مذهبتان، ويرتفع منها في الصلوات الخمس نداء السماء في الأذان.

هذه لمحة عابرة عن الحرم والصحن من خلال زيارتي للمرقد الشريف، وقد انطمست أغلب هذه المعالم لدى التفجير الإجرامي للمرقد الطاهر في ٢٣/محرم الحرام/١٤٢٧هـ والذي سنشير إليه.

* * *

تفجير مرقد الإمامين العسكريين في سامراء

حينما أناخ البحث بكلكله عند هذا الموضع، ولاح لعيني هذا العنوان الحزين، توقفت عن الكتابة فيه أربعة شهور كاملة!! فمن ذا الذي يريد أن ينعى مجد الإسلام وشرف الدين وتخاذل الأمة؟ ومن ذا الذي يحاول إثبات حقيقة مرّة فرّقت بين المسلمين؟ ومن ذا الذي يجرأ أن يندب الوحدة الوطنية للشعب العراقي؟؟

بعد هذا التردد الطويل، كان لا بد للبحث أن ينهي مقاصده، ويستوعب أبعاده، وتراءى للفكر أن يعطي صورة واضحة للأمر من جهتين:

الأولى: في الصباح الباكر من يوم الأربعاء: الثالث والعشرين من محرم الحرام لسنة سبع وعشرين وأربعمائة بعد الألف، الموافق ٢٢/شباط/٢٠٠٦م أقدمت عصابة منظمة ذات خبرة استراتيجية في آليات النسف والتفجير، على وضع عبوات ناسفة ثقيلة وصواريخ موجهة، ومواد تفجيرية ذات قوة هائلة، فنسفت مرقد الإمامين العسكريين في سامراء على مشهد ومسمع من المسلمين في العالم، فكان لذلك الحدث الإجرامي أثره البالغ الفظيع في النفوس، إذ دمّر هذا التفجير الضخم معالم الضريح المقدس والروضة العسكرية والقبة الذهبية واستطال إلى جزء من المنارتين والصحن الشريف.

وأقام هذا الحادث المسلمين وأقعدهم بعامة، وأولياء أهل البيت بخاصة، وعلت صيحات الاستنكار من كل الجهات والقصبات والأقطار

والأقاليم، وتبرأت كل الفئات السياسية والمنظمات الإرهابية من المسؤولية عن الحادث!!

فمن ذا الذي فجّر المرقد الطاهر يا ترى؟

إن التخطيط الرامي إلى إحداث الفراغ الهائل في كيان الأمة، والمعول الهدّام الهادف إلى تقويض معالم الأخوّة والمحبّة بين أبناء هذا الدين الحنيف، ولتحل الفوضى بدل السلام، والإرهاب الدموي بدل الاستقرار السياسي، واختلاط الحابل بالنابل في عدم تشخيص أعداء الأمة والشعب والوطن.

إن أصابع الاتهام تشير إلى عملاء النظام السابق وإلى التكفيريين، ومن ورائهما الماسونية الحاقدة والصهيونية العالمية، وقوى الاستعمار العاملة على تفعيل سياسة «فرّق تسد» وهكذا كان.

الثانية: إن هذه المشاهد المشرفة في كل من مكة المكرمة والمدينة المنورة، والقدس الشريف، والنجف الأشرف، والكاظمية وسامراء وكربلاء المقدسة، وخراسان والقاهرة والشام ما هي إلا بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيه اسمه، لعبادة الله وحده لا شريك له، والطقوس التي تضمنتها كل آليات هذه العتبات المقدسة لا تعدو من هذا الملحظ تحديداً فعلياً مشاهداً معروفاً.

أمّا التهويش الطائفي من هنا وهناك فلا موضوع له ولا أصل، والافتتان على الإمامية كاذب لا حقيقة له، وهذه العتبات بعد هذا دليل الوحدة والألفة والمحبّة والتعاون على البرّ والتقوى، وهي جميعاً مشاجد، وبعضها له أحكام المساجد كما يفتي بذلك الفقهاء وعلى هذا قوله تعالى: **﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ للهِ فَلا تَدْعُوا مَعَ اللهِ أَحَداً﴾**[1] وقوله تعالى: **﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ**

---

(١) سورة الجن/ الآية ١٨.

مَنَعَ مَساجِدَ الله أَنْ يُذْكَرَ فيهَا اسْمُهُ وَسَعى في خَرابها أُولئكَ ما كانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوها إلاَّ خائفينَ لَهُمْ في الدُّنْيا خزيٌ وَلَهُمْ في الآخِرَةِ عَذابٌ عَظيمٌ﴾[1].

وفي الحث على عمارتها وإعمارها بما يشتمل عليه المعنى المراد من قوله تعالى: **﴿إنَّما يَعْمُرُ مَساجِدَ الله مَنْ آمَنَ بالله وَالْيَوْمِ الآخر وَأَقامَ الصَّلاةَ وَآتى الزَّكاةَ وَلَمْ يَخْشَ إلاَّ الله فَعَسى أُولئكَ أَنْ يَكُونُوا منَ الْمُهْتَدينَ﴾**[2].

فلحساب مَنْ هذا التطاول على حرمات العتبات المقدسة من دون أي مبرر شرعي أو قانوني أو عرفي أو أخلاقي، وهي بالإضافة إلى كونها مساجد للعبادة والإنابة والإخبات والخضوع والخشوع لله وحده، فإنها تضم تلك الأجساد الطاهرة للأئمة المعصومين من ذرية رسول الله(ﷺ)، وأبنائه الأقربين الذين خصّهم الله تعالى بقوله: **﴿..قُلْ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إلاَّ الْمَوَدَّةَ في الْقُرْبى﴾**[3].

وقال تعالى: **﴿إنَّما يُريدُ الله لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهيراً﴾**[4].

وليس هذا جزاء رسول الله في ذوي قرباه وأهل بيته!!

لا أطيل بهذا الملحظ الدقيق فله أصوله وفروعه في كتب الكلام!! وكادت أن تقع في العراق فتنة لا أول لها ولا آخر، واندلعت في الأفق شرارة صاخبة ذات قدح وإيراء كاد شرها أن يستطير، وحصلت اعتداءات متبادلة طالت المساجد والأشخاص.

---

(١) سورة البقرة/ الآية ١٤.

(٢) سورة التوبة/ الآية ١٨.

(٣) المسعودي/ مروج الذهب ٤/١١٣.

(٤) المسعودي/ مروج الذهب ٤/١١٣.

ولولا الموقف الصلب للمرجعية الدينية العليا في النجف الأشرف متمثلة بسماحة السيد السيستاني دام ظله الوارف، لمنيت البلاد بحرب أهلية مدمرة لا تبقي ولا تذر، فلقد أنكر العمل الإجرامي، ودعا لعدم الاعتداء بالمقابل على المساجد والمراقد لا سيما مرقدي أبي حنيفة النعمان بن ثابت، والشيخ عبد القادر الكيلاني، وأكّد ذلك تأكيداً تاماً، وسعى إليه حثيثاً من خلال أحاديثه واتصالات مكتبه بأعيان الأمة وعقلاء القوم والعلماء والوكلاء والمعتمدين، فأطفأ الله به النائرة، وأصدر مكتبه في النجف الأشرف بياناً أذيع من الفضائيات وعلى المنابر والمآذن وفي مكبّرات الصوت، وهو يدعو المسلمين إلى اليقظة والحذر وإفشال المخططات التي تدعو إلى تفريق الصف وتمزيق الشمل، والبيان هذا نصه:

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِؤُا نُورَ اللهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾

لقد امتدت الأيدي الآثمة في صباح هذا اليوم لترتكب جريمة مخزية ما أبشعها وأفظعها، وهي استهداف حرم الإمامين الهادي والعسكري(عليهما السلام)، وتفجير قبته المباركة مما أدى إلى انهدام جزء كبير منها، وحدوث أضرار جسيمة أخرى.

إن الكلمات قاصرة عن إدانة هذه الجريمة النكراء التي قصد التكفيريون من ورائها إيقاع الفتنة بين أبناء الشعب العراقي ليتيح لهم ذلك الوصول إلى أهدافهم الخبيثة.

إن الحكومة العراقية مدعوة اليوم أكثر من أي وقت مضى إلى تحمل مسؤولياتها الكاملة في وقف مسلسل الأعمال الإجرامية التي تستهدف الأماكن المقدسة، وإذا كانت أجهزتها الأمنية عاجزة عن تأمين الحماية اللازمة فإن المؤمنين قادرون على ذلك بعون الله تبارك وتعالى.

إننا إذ نعزي إمامنا صاحب الزمان عجّل الله فرجه الشريف بهذا المصاب الجلل نعلن الحداد العام لذلك سبعة أيام، وندعو المؤمنين ليعبّروا خلالها بالأساليب السلمية عن احتجاجهم وإدانتهم لانتهاك الحرمات واستباحة المقدسات، مؤكدين على الجميع وهم يعيشون حال الصدمة والمأساة للجريمة المروّعة أن لا يبلغ بهم ذلك مبلغاً يجرّهم إلى اتخاذ ما يؤدي إلى ما يريده الأعداء من فتنة طائفية طالما عملوا على إدخال العراق في أتونها.

ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وسيعلم الذين ظلموا أيّ منقلبٍ ينقلبون.

٢٣/محرم الحرام/ ١٤٢٧هـ

مكتب السيد السيستاني

النجف الأشرف

❊ ❊ ❊

وتعالت أصوات النكير والاحتجاج على هذه الظاهرة الخطرة من قبل المسؤولين في بعض البلاد العربية والإسلامية ومن قبل المنظمات الإنسانية والتنظيمات الإسلامية والشخصيات السياسية، وقادة الفكر ورجال الأمّة مما هدأ الروع نسبياً.

ونحن في طريقنا إلى مرور سنتين على هذا الحدث الفظيع المؤلم، ندعو مخلصين إلى إعادة إعمار حرم الإمامين العسكريين في سامراء، بأفضل مما كان عليه، وعلى الدولة والشعب والقوى الخيرة في العالم الإسلامي أن يكونوا يداً واحدة للتعجيل في هذا الأمر، فالأسى والحزن يخترق الأعماق ويبدو على الأسارير، والغضب كامن في النفوس، فالجرح

لمّا يندمل، والمأساة مازالت ماثلة أمام العيان، والعقلاء يخشون من انفجار الموقف إلى ما لا تحمد عقباه، والاستعانة بالمنظمات الدولية والإنسانية والحماية الامة لإعادة ما كان من الضرورة العقلية بمكان، عسى أن لا يتسع الخرق على الراتق، وأن يتكامل المشروع التعبوي حكومة وشعباً لتلافي هذا الموج الهادر بالإرهاب بقوة ضاربة، وبالحكمة الفائقة حفاظاً على وحدة الصف، عملاً بقوله تعالى: ﴿**وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً ممَّنْ دَعا إلَى الله وَعَمِلَ صالحاً وَقالَ إنَّني منَ الْمُسْلمينَ**﴾[1]، ولست مبالغاً في شيء مما سبق على الإطلاق، فرائدنا أن لا تتكرر المآسي في هذا البلد المنكوب والعراق المضطهد، والسعي إلى إعادة إعمار الضريح المقدس يفرضه الواجب الديني، ويتطلبه الشعور الوطني بوحدة الأمة لئلا ينفذ إليها التمزق من خلال هذه الثغرات الكبيرة.

ومن الطريف والمثير حقاً إخبار الإمام علي الهادي(ﷺ) بتدارك عمارة مشهده الشريف بقوله «تخرب سر من رأى حتى يكون فيها خانٌ ويقال للمارة، وعلامة تدارك خرابها تدارك العمارة في مشهدي من بعدي»[2].

فالإمام في حياته قد نبأ بمقرّ دفنه أولاً، وتحدث عن عمارة مشهده ثانياً، ثم أخبر بتدارك عمارة المشهد من بعده.

وفي كل ما تقدم من الدلائل على صدق إمامته ما تنطق به شواهد العيان اليوم.

❊ ❊ ❊

---

(١) سورة فصلت/ الآية ٣٣.

(٢) المجلسي/ بحار الأنوار ٥٠/ ١٣٠.

نسف منائر ضريح الإمامين العسكريين في سامراء

وكلما أفاق المسلمون من رقدتهم، وتنبه العراقيون إلى ما يراد بهم، وأدرك المصلحون أن الصلاح في الإصلاح، عملت قوى الشر من جديد على إثارة الفتنة واستهداف حرمات أهل البيت في الديار المتباعدة عن تواجد أوليائهم، متناسين أن المشروع الضخم الذي نهض به الأئمة الطاهرون في إحياء السنّة وإماتة البدعة وترويج مبادئ الإسلام لا يخص طائفة من دون أخرى، ولا يقتصر على فئة معيّنة على الإطلاق، وما إثارة النعرات المذهبية وتحجيم دور أئمة أهل البيت إلاّ استغلال لتمرير المخططات الإجرامية، فأعرق الناس خيانة في العراق من يفرّق بين مذهب ومذهب، وأبعد الناس عن الإسلام من أدخل الإسلام ما ليس منه، وأشدّ الناس عداءً للأمة والدين من فرّق بين أبنائها على أساس عرقي أو فئوي أو مذهبي.

إن عقلية القرون الوسطى التي يتذرع بها المتطرفون لم تعد تلقى أذناً صاغية من جماهير الأمّة، فها نحن في القرن الواحد والعشرين قرن الحضارة والتمدن وتجاوز الوعي الهامشي والصراع العقائدي، فلماذا تثار عواطف الشعب؟ ولماذا يحاول المتربصون بنا نقل المعركة إلى صراع مذهبي وواقعه صراع على الحكم؟

لقد أدرك المتآمرون على وحدة الأمة وسلامة الوطن أن الإثارة الطائفية هي التي تصل بهم إلى أطماعهم ومآربهم غير المشروعة، فما إن يشعر

الشعب بالوحدة والاطمئنان ويبتعد عن عوامل الفرقة والتمزق الداخلي حتى يفجر هؤلاء الأعداء القابعون في ظلمات الزوايا الموقف من جديد، عسى أن يقع العراق في أتون حرب أهلية ومجازر دموية، متحدّين بذلك أبسط لوائح حقوق الإنسان في الحرية وتقرير المصير.

ففي صباح يوم الأربعاء ٢٧/جماد الأولى/١٤٢٨هـ الموافق ١٣/حزيران/٢٠٠٧م عاد المعتدون مرة أخرى إلى اللعب بالنار، فقد هجمت عصابة مسلحة مدرّبة على التخريب تدريباً استراتيجياً، فاحتلّت صحن الإمامين العسكريين(عليهما السلام) في سامراء، واستهدفت المنارتين الذهبيتين الشامختين إلى عنان السماء، التابعتين لروضة الإمامين علي الهادي والحسن العسكري، وقامت بقصفهما ونسفهما جهاراً نهاراً، والدولة في غياب، والشعب أعزل لا حول له ولا طول، والإرهابيون تمدهم قوى الشر في الداخل والخارج، وفي دقائق عادت المنارتان أثراً بصدعين، وبذلك تم تدمير آخر شاخص للروضة المطهرة، فلا المظهر الآثاري ردعهم عن القضاء على معالم الحضارة في سامراء، ولا التفكير الشرعي حال من دون إسكات صوت الأذان في الصلوات الخمس، ولا مراعاة فيما جرى للمودّة في القربى التي صرح بها القرآن.

تناقلت هذا الحدث الصارخ وسائل الإعلام المرئية والمسموعة في العالم، وتعالت أصوات الاستنكار من قبل رؤساء الدول الكبرى وبعض رؤساء الدول العربية والإسلامية، وشجبت الأمر المنظمات الدولية، وكثير من وزراء الخارجية، وتصاعد الحماس في العراق، وانطلقت المسيرات الغاضبة في محافظات الوسط والجنوب، وبلغ الحماس أشدّه في بغداد، وحالت الدولة من دون اتساع الخرق، فأصدرت مرسوماً استثنائياً بمنع التجوّل لتطويق الفتنة. وأصاب الذهول المصلحين وقادة الفكر، وازدادت المرجعية العليا ألماً ممضاً على آلامها العديدة، وفزع إليها أهل الرأي وعلية

القوم يطلبون تدخّلها لإطفاء النائرة وخطر سفك الدماء والاعتداء بالمثل، وعادت النجف الأشرف كالجمرة المتوقدة من الغيظ، والمشاعر ملتهبة من الاستهانة بالمقدسات، فأصدر مكتب سماحة السيد السيستاني البيان الآتي تداركاً للوضع المتفجر:

بسم الله الرحمن الرحيم

عادت الأيدي الآثمة لتنتهك مرةً أخرى حرمة الروضة العسكرية المطهّرة في سامراء، وتستهدف ما بقي من معالمها المقدسة من المأذنتين الشريفتين، في جريمة بشعة تعبّر عن مدى حقد مرتكبيها وبغضهم لآل المصطفى (صلى الله عليه وآله)، وسعيهم المتواصل لإشعال فتنة الطائفية بين أبناء العراق العزيز.

إن المرجعية الدينية إذ تعبّر عن غضبها واستنكارها البالغ لهذا الاعتداء الآثم، وتبدي أسفها الشديد لتلكؤ السلطات المسؤولة عن القيام بواجبها في حماية المرقد الشريف، تناشد المؤمنين الأعزاء أن يتحلّوا -في هذه الأوقات العصيبة- بمزيد من الصبر وضبط النفس، ويتجنبوا القيام بأي عمل انتقامي يستهدف الأبرياء والأماكن المقدسة للآخرين.

إننا نأمل أن تبادر الحكومة إلى تنفيذ وعدها باتخاذ خطوات سريعة لتوفير الحماية اللازمة للحرم المقدس، وإجراءات إعادة تشييده، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

٢٧/جمادى الأولى/١٤٢٨هـ

مكتب السيد السيستاني

النجف الأشرف

وتناقلت وسائل الإعلام هذا البيان، وأذيع في مكبرات الصوت في بغداد والمدن العراقية، وتلاه الخطباء والعلماء في المساجد والحسينيات ودور العبادة، فأعاد الهدوء والسكينة بعد أن فلت الزمام، وكادت أن تقع

الفتنة الدهماء بين صفوف الشعب، وهكذا كانت المرجعية الدينية العليا في النجف الأشرف صمام الأمان من الانفجار المروّع، وداعية السلام في قبال دعاة القتل والهدم والتخريب والإرهاب.

واستجابت طبقات الشعب إلى نداء السيد السيستاني فصبرت وفي الحلق سجى، وفي العين قذى، فلا حرمة للمقدسات، ولا رعاية للحرمات، ولا أمن على حياة الإنسان.

إن الأطروحة المثالية التي تنهد بها المرجعية العليا في النجف الأشرف للعراقيين والعرب والمسلمين هي أن يكونوا يداً واحدةً ذات قوة ضاربة لأعداء الإسلام والحريات المشروعة، وأن يحتاطوا لأنفسهم وأمتهم الاحتياط الأمثل في الحفاظ على المقدسات والتحرج الشديد عن سفك الدماء، وأن يتذكروا القرآن وهو يقول: ﴿**إِنَّ هذه أُمَّتُكُمْ أُمَّةً واحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ**﴾[1]، ولا ازدواجية في المعايير والموازين.

إن المرجعية بهذا الاتجاه المستنير إنما تقتدي بهدي الأئمة الطاهرين الذين عملوا من أجل الأمة وشعوب الأرض المختلفة على أساس العدل والمساواة في الحقوق والواجبات.

وأخيراً: إن نداء المصلحين والغيارى من قادة هذا البلد الآمن بإذن الله تعالى يجب الإنصات إليه، فضرائح أئمة أهل البيت(عليهم السلام) في العراق بالذات دليل على وحدة العراق، فلا تَدَعوا للفرقة سبيلاً. قال تعالى:

﴿**وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ الله جَميعاً وَلا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ الله عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْداءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْواناً...**﴾[2].

* * *

(١) المسعودي/ مروج الذهب ٤/ ١١٣.

(٢) سورة آل عمران/ الآية ١٠٣.

قصيدتان مؤلفتان في الإمام (عليه السلام)

(١)

في رحاب الإمام علي الهادي (عليه السلام)

نظمت في إحياء ذكرى الإمام علي بن محمد الهادي (عليه السلام)

في ١٩٩٣/٦/١م =ذو الحجة/١٤١٣هـ

حييتُ ذكراكَ في تأريخها العطرِ ... يا طلعةَ الحسبِ الوضّاحِ من مُضرِ

ورحتُ أشتاقُ روحاً من ملامحها ... من نفحةِ الفجرِ أو من نَسمةِ السحرِ

قالوا: أتعرفه كُنهاً؟ فقلتُ لهمْ: ... الشمسُ معروفةٌ بالعينِ والأثرِ

هذا (أبو الحسنِ الهادي) وسيرتُهُ ... كسورةِ الحمدِ فاقتْ سائرَ السُّورِ

موصولةٌ برسولِ الله دوحتُهُ ... وتلتقي بعليٍ خيرةِ البشرِ

هو الإمامُ الذي تُرجى شفاعتُهُ ... وحجةُ الله من بدوٍ ومن حَضَرِ

إذا اعتصمتَ بحبلٍ من ولايتِه ... فأنتَ في ذاكَ في أمنٍ من الخطرِ

أنخْ ركابكَ في أعتابِ ساحتِه ... في حضرةِ القدسِ ما يُغني عن السفرِ

وانزلْ على بركاتِ الله ملتمساً ... فيضاً من البحر.. أو نوءاً من المطرِ

❊ ❊ ❊

ويا أبا الحسنِ الهادي لقد عركَتْ منكَ التجاربُ عوداً غيرَ مهتصرِ

أصيلُ رأيٍ بحيث الرأيُ ذو وهَنٍ وصلبُ فكرٍ.. بحيثُ الفكرُ ذو خورِ

النبلُ والفضلُ والأيمانُ طائفةٌ والعزمُ والحزمُ من أخلاقكَ الأُخرِ

زهدتَ في طارقِ الدُّنيا وتالِدِها عفُّ الضميرِ.. نقيُّ البردِ والأزرِ

الليلُ عندك تسبيحٌ وهينمةٌ والصبحُ للعلمِ والإفتاءِ والنظرِ

تحيا مع النجمِ ترعاهُ وترقبهُ من خشيةِ الله لا من علَّةِ السَّهرِ

فإنْ بدا الصبحُ فالإبداعُ يحضنهُ سديدُ وعيٍ من التفكيرِ مبتكرِ

ما احتجْتَ مجتمعاً يوماً بمسألةٍ ولا غنىً عنك في جمعٍ ومؤتمرِ

على جبينكَ للتقوى علائمُها وأنتَ في البرِّ ملءُ السمعِ والبصرِ

أعطيتَ بالحلمِ ما لم يعطَ منتصرٌ مرارةُ الصبرِ فاقتْ لذَّةَ الظفرِ

إذا تجلَّيتَ قالَ الناسُ من عجبٍ: إن الملائكَ في جنسٍ من البشرِ

* * *

يا أيّها العلمُ الهادي لأمتهِ بثاقبِ الرأي أو في صائبِ الفِكَرِ

نصحتَ للناسِ في سرٍّ وفي علنٍ لتنقذ الناسَ من مهوىً ومنحدرِ

في ظلِّ غرَّتكَ الغرَّاءِ فارهةً أرخيتَ للناس ظلاً غير منحسرِ

وفي مواقفكَ العصماءِ قد هُزمتْ فلولُ جيشٍ من الطغيانِ مُندحرِ

قابلتَ دولتَهم فرداً.. فما صَمدتْ تلك الزحوف.. ولا أبقت على أثرِ

وتلكَ آثارهُمْ قفرى بلا سكنٍ وتلكَ أيَّامهمْ عجلى بلا خَبَرِ

كانتْ بحيثُ عليها الشَّمسُ قد ضربتْ سرادقَ الزهوِ والإسرافِ والبطرِ

يجبى لهم مشرقُ الدنيا ومغربُها ما شمتَ من تحفٍ.. أو شئتَ من بُدَرِ

تضاحكَ الدَّهرُ حتى لم يَدَعْ نَغماً إلا وحسٌ به عُوداً على وَتَرِ
حتى إذا الحقُّ لاحتْ منهُ صفحتُهُ تدحرجتْ تلكُمُ الأمجادُ كالأُكرِ
واستنزلتْ من بني العباس سَطوتَهُم فهُمْ أحاديثُ محزونٍ ومعتبرِ
ما كان «معتمدٌ» منهمْ بمعتمدٍ وليسَ «مقتدرٌ» منهمْ بمقتدرِ

❋ ❋ ❋

ويا نزيلاً بسامراءَ بي دنفٌ إلى لقاكَ.. وبي شوقٌ إلى السمرِ
شربتُ حبكُمُ طفلاً.. وخالطني فتىً. وذا الشيبُ يستشري على شَعري
وخمرةٌ من ولاءٍ لستُ أبرحُها سَرَتْ إلى الروحِ في سلسالها الخصرِ
سلافةٌ من رسولِ الله باقيةٌ ما زالَ قلبي بها للآنَ في سكرِ
شممتُ تربكَ فانهالتْ عليَّ رؤىً وطفتُ في القبرِ في حشدٍ من الصورِ
كأنَّ ذاكَ الضراحَ النضرَ حاضرةٌ من الجنان.. وواحاتٌ من الزهرِ
هبَّتْ نسائمُهُ فارتاحَ ذو شجنٍ وفاحَ مجمرهُ.. فاهتزَّ ذو ضجرِ
حجَّتْ إلهي قلوبُ الناسِ واختلفتْ ما بين معتصمٍ فيه ومعتمرِ
زوروا أبا الحسنِ الهادي فقُبَّتهُ بها يُجاب دعاءُ الخائفِ الحذرِ
واستقبلوا الخيرَ والألطافَ في حدثٍ قد ضمَّ بدرينِ في الأوضاحِ والغررِ
ضمَّ «الإمامينِ» كنزاً في نفائسه وأيُّ علقٍ نفيسٍ غيرُ مدخرِ

❋ ❋ ❋

ويا أبا الحسنِ الهادي إليك سَرَتْ نجوى المحبينَ في لمحٍ من البصرِ
كأنَّها البرقُ من تلقاءِ كاظمةٍ أو أنَّها النشرُ من كوفانَ فالنهرِ
تُذكي حرارتُها أنفاسَ منتظرٍ لـ«صاحبِ الأمرِ» أو أحشاءِ مصطبرِ

تُضفي أشعتُها في ظلٍّ بهجتِها ... مطارفَ البشرِ.. لا أحدوثةَ الكدرِ
عواطفٌ تلتقي منها على دعةٍ ... دفئاً من الشمسِ.. أو برداً من القمرِ
تهيجُ ذكرى صباباتٍ مولهةً ... من سالفِ الدهرِ.. أو من طارفِ العصرِ
تحكي «شقائقَ نعمانٍ» وحمرتُها ... تضرجُ الأفقَ في قانٍ من العبرِ
ذكرى دمائِكمُ في كلِّ مطَّرحٍ ... من الطفوفِ.. إلى بغدادَ.. فالحضرِ
ما إن تجرعتُ من غيظٍ ومن غصصٍ ... تجرعي لمصابِ القادةِ الصبرِ
الصابرينَ على الضرَّاءِ في ثقةٍ ... وهمْ لَعَمْرُكَ أهلُ النفعِ والضررِ
فغُودِروا بينَ أهلِ الغدرِ أضحيةً ... أحالها الدهرُ بينَ النابِ والظفرِ
تمتصُّ منها ثمالَ الحقدِ أفئدةٌ ... شُقَّتْ من الصخرِ.. أو قُدَّتْ من الحجرِ

* * *

ويا أبا الحسنِ الهادي لقد نَفستْ ... بكَ الليالي إماماً ناصعَ السيرِ
آباؤكَ الصيدُ تأريخٌ وملحمةٌ ... فصولُها رُقمت بالأنجزِ الزُهُرِ
أَحيتْ مواقفُكُمْ في كل معتركٍ ... معالمَ الدينِ.. منْ صرفٍ ومن غيرِ
أئمةٌ ومصابيحٌ وألويةٌ ... ما بعد ذلك من فخرٍ لمفتخرِ
يُهدى بأوَّلكمْ في الفضلِ آخرُكم ... والبحرُ في الوردِ مثل البحرِ في الصدرِ
تُتلى فضائلكمْ في كلِّ محكمةٍ ... من سورةِ «الدهرِ» و«الأعرافِ» و«الزُّمرِ»
فأنتمُ العروةُ الوثقى وعندكُمُ ... علمُ الكتابِ. وما قد خُطَّ في الزُبُرِ
وأنتُمُ النعمةُ الكبرى.. وحسبُكُمُ ... أنَّا سنُسْأَل عنها يومَ منتشرِ
وأنتُمُ الآيةُ العظمى التي خضعتْ ... لها المقاديرُ.. إذ جاءتْ على قدرِ
من رامَ مدحكُمُ فلْيَتَّخذْ سبباً ... فإنهُ ناقلٌ تمراً إلى هجرِ

بِكُمْ تُزان القوافي في روائعها ... كما تُزان نُحور الغيدِ بالدُرر

* * *

يا سادتي إنَّ بعضَ الشعرِ داعيةٌ ... منَ الضميرِ.. وإيحاءٌ من النذرِ

ذخرْتُ حبَّكُمُ كهفاً.. وملتجَأً ... منْ غصَّةِ الدهرِ.. أو من فجأةِ القدرِ

من كظَّةِ القبرِ.. أو من ضغطَةِ الحجرِ ... ومنْ صحائفِ أعمالي ومن وزري

وأنتُمُ يا ولاةَ الأمرِ مُعتمدي ... وفي مشاهدِ ذاك اليومِ مُدَّخَري

ويا رجالاً على الأعرافِ... حسبكُمُ ... للنارِ أمراً: خُذي مَنْ شئْتِ أو فَذَري

غداً «عليٌّ أميرُ المؤمنينَ» لها ... يَسقي من الحوضِ.. أو يُنجي من الشَّررِ

يا فالقَ الذرِّ.. بلْ يا خالقَ البشرِ ... هَبْني عتيقَ عليٍّ من لظى سَقَرِ

* * *



(٢)

التفجير الإجرامي

في الثالث والعشرين من محرم الحرام/ ١٤٢٧هـ

فجّر الحقد الأسود روضة الإمامين العسكريين في سامراء فكانت هذه القصيدة:

إرثُ النبوة من طه وياسينِ بالنور يخطفُ أبصارَ الشياطينِ

أعماهمُ الحقُّ هدّاراً بصولته فقابلوهُ بتفجيرِ البراكينِ

القصفُ والنسفُ والتدميرُ أسلحةٌ على العدا.. لا على الغرِّ الميامينِ

العسكريين تأريخٌ وملحمةٌ وللإمامةِ آلافُ البراهينِ

لوحدة الدينِ والدنيا ضريحُهما وللعقيدةِ غراء المضامينِ

الليل بالشهب.. والأجواء حالمةٌ بطائرٍ من دعاةِ الله ميمونِ

ولاحبُ الدربِ مسنوناً بغرّته وربّ دربٍ عثارٍ غير مسنونِ

«مشاهدٌ» لترانيمٍ مُقدّسةٍ يُجلى بها كربُ مهمومٍ ومحزونِ

وروضة لابتهالاتٍ بها اختلطتْ نجوى المدائحِ في كُفنِ التآبينِ

دورُ العبادةِ للهِ العظيم.. ودعْ «دور الخلائق» للبيض الخواتينِ[1]

(١) دور الخلائق مصطلح تاريخي عبّر به الباحثون عن قصور خلفاء بني العباس في سامراء، وهي اليوم خراب في خراب. والخواتين جمع خاتون/ معرّبة/ ويعبر بها العرب عن جواري الملوك ونسائهم.

شتّان ما بين أرضٍ قدستْ صنماً — وبينَ أرضٍ ثراها للقرابينِ
ما قابعينَ على الدنيا وباطلها — كرافعينَ لواء الحقِ والدينِ
باقينَ كالشمس لا تنفكُّ شُعلتُها — تحيي الطبيعة بين الحين والحينِ
أئمةٌ -ورسولُ الله جدُّهُمُ- — بيضُ الأساريرِ.. أو شمّ العرانينِ
أيديهمُ لدواهي الظلمِ دافعةٌ — ومالُهم للضحايا والمساكينِ
للتضحيات سجلٌّ في مآثرهمْ — سل كربلاء.. وسل أيامَ صفّينِ
واسأل ببدرٍ وأحدٍ عن «أبي حسنٍ» — طيرَ السماء.. وأنياب السراحينِ(١)
القائدُ الفذُّ لم تغللْ مضاربُهُ — والفاتقُ الهامِ في تلك الميادينِ
منه استمدتْ قوى الإسلام صولتها — فطوّحت بالطواغيتِ الفراعينِ
باقٍ مع الدهرِ من ذكراهُ خالدةً — عطرُ الأزاهير.. أو نفحُ الرياحينِ
والمستعيرُ من التأريخِ ما رقمتْ — بيضُ الصحائف في أسمى العناوينِ

❊ ❊ ❊

ما «قبّةُ» العلمِ «الهادي» وروضتُهُ — إلاّ مقرُّ الأعالي والأساطينِ
وما الرواقُ الذي صفّت أرائكُهُ — إلاّ دليلُ المطاعيمِ المطاعينِ
زهت بمغناه سامراءُ والتجأتْ — له الأقاليمُ من جورِ السلاطينِ
قد كانَ فيها -بحيث الحكم ذو عبثٍ- — مأوى المحبِّينَ من نهش الثعابينِ
طالتْ إليه يدُ الإرهابِ غادرةً — وفجّرتْ حقدَها في غصن زيتونِ
تلكَ القبابُ أعزَّ اللهُ جانبَها — رمزُ السلامِ.. ومقياسُ الموازينِ
ووحدةُ الشعب من أنفاسِها التُقطتْ — فراوحتها بأنسامِ البساتينِ

---

(١) أبو الحسن، أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب(ع) بطل بدر واحد والمشاهد.

واليوم عادَ الصراعُ المرُّ يوهنها!! من ينقذ الشعبَ من أفواهِ تنينِ

داجٍ من الخطب غطّى كلَّ منحدرٍ من العراقِ.. فما حيٌّ بمأمونِ

والناسُ عادتْ إليهم جاهليَّتهمْ فما يحققُ تشريعُ القوانينِ

غاب «القصاصُ» وغامُ الأفق واندلعتْ شرارةُ الحقدِ تطغى في الكوانينِ

وسادَ في جبهاتِ الحربِ منصلتاً سيفُ الأعاريبِ في حكم الدهاقينِ

فوضىً يمثِّلها الإرهاب.. تدعمُها من «الجوارِ» هباتٌ بالملايينِ

تدمِّرُ الشعبَ لا تُبقي على أثرٍ إلاّ بنسفٍ وتخريبٍ وتوهينِ

أتتْ على كلِّ خيرٍ من موارده واستبدلتْ عِزّهُ بالذلّ والهونِ

يحيا حياةَ البوادي في تخلُّفها بغيرِ نورٍ.. ولا ماءٍ وتموينِ

ولا يقي كهرباء القوم منقطعاً مِنْ حرٍّ تموز.. أو من بردِ كانونِ

عدنا بخفّي حنينٍ من حضارتنا جدب الحياة.. وأغلالِ المساجينِ

وإنَّ ظاهرةَ «التهجير» تُنذرنا بأن قَومي أضحوا في فلسطينِ

أبناءُ صهيونَ إن عاثوا الفسادَ بها ففي بلاديَ منهمْ ألفُ صهيوني

***



خاتمة المطاف ونتائج البحث

انتهينا في امتداد تأريخي عريق من الإحاطة النسبية بمسيرة الإمام العظيم علي بن محمد الهادي(عليه السلام) باعتباره: «النموذج الأرقى للتخطيط المستقبلي» مما شكّل انعطافاً استراتيجياً في تأريخ الإمامة الحافل بكل ما هو أصيل ومبتكر.

وما كنتُ أحسب أن الزمن يسعفني بإنجاز هذا العمل الكبير لما صاحب إعداده من صخب وضجيج تحت طائلة الإرهاب السياسي والعنف الدموي في البلاد، وما انتهى إليه من تفجير إجرامي لضريحي الإمامين العسكريين والقبة الذهبية الشريفة في سامراء، وما تبعه بعد سبعة عشر شهراً من نسف متعمد لمئذنتي الروضة العسكرية، مع شعور بالألم الدفين ووخز الضمير لما يجري في الساحة من معايير انتقامية غامضة تدعو إلى حرب أهلية مدمّرة، متخذةً الفتنة الطائفية شعاراً صفيقاً لإثارة الحساسية المتصاعدة بين أبناء الدين الواحد بما لا سابقة له في الإسلام.

والصراع الذي يشهده العراق اليوم صراع سياسي لا علاقة له بالمبادئ والقيم الإسلامية، ولا يمتُّ إلى الدين بصلة!! وهلا لإسلام مسؤول عن إشاعة الفوضى وسفك الدماء وإثارة الذعر؟ وهو الداعي إلى النظام وحقن الدماء وحياة الاطمئنان!! لقد بدأ الشعب يدرك أبعاد هذه المؤامرة الكبرى ويعي نتائجها الخطيرة متذرعاً بالصبر تارةً، ومحكماً العقل تارةً أخرى.

ومهما يكن من أمر؛ فقد أنجزت الرسالة في ظرف عصيب، وما قدمته بعض مضاهره، وما خلفه من مآسي وويلات بعض مشاهده، والله المستعان على ما يصفون.

ويجدر بالبحث أن يشير إلى لمسات مما حقّقه من السبق العلمي، وما سجّله من الانعطاف التأريخي في حياة الإمام علي الهادي في أبعاد عديدة كان لها صداها المدوّي في توثيق البعد القيادي الرفيع للإمام(عليه السلام)، وما نجمله هنا من نتائج خاطفة لا تعني كل شيء في هذا البحث المعمّق، بل هو على سبيل النموذج لأطروحة العمل.

١. في الفصل الأول توصلنا إلى مؤشرات بارزة في مسيرة الإمام شملت أحداث ولادته المباركة، وتحدثت عن بواكير نشأته الشريفة، وتناولت النص على إمامته في سن مبكرة، وعرضت لمنزلة الإمام في الرأي والراي الآخر، وأجملت القول في مميزات الإمام وخصائصه الذاتية، وأكدت الوعي الرسالي في شخصية الإمام الإنسانية، ووقفت عند الإمام في رعايته الصفوة المختارة من أوليائه وأصحابه وتلامذته، وعرضت إلى دفاع الإمام المستميت عن منصب الولاية الإلهية، وأحقيّة أئمة أهل البيت وحدهم لذلك المنصب، بما نعدّه بحثاً علمياً مركّزاً في مسار الإمام الذاتي.

٢. وعرضنا في الفصل الثاني ملامح عصر الطواغيت في حقبة قيادة الإمام للأمة، وقد اشتمل على مباحث خطيرة تحدثت عن السلاطين وتصرفاتهم وأفعالهم السيئة مع الإمام، وألقت الضوء الكاشف على ظواهر الانحراف المشين في سيرة هؤلاء السلاطين بنماذج من أعمالهم وبذخهم واستهانتهم بالدماء وحرّيات الأمة، والتطرف الكيفي في النصب والعزل والتولية، واقتراف الموبقات، ومخالفة نصوص القرآن وثوابت الإسلام، بما ترفضه أدنى شروط الآداب السلطانية، ثم تحدث في مبحث خاص عن

إشطالية الطواغيت الصغار الإشارة الموحية إلى مسلسل تصرفاتهم اللاإنسانية، ومجمل شؤونهم الخاصة الداعرة، وعرض أبرز مظاهر العبث والإسراف والمجون وسفك الدماء، وتبذير المال العام، وحياة اللهو والجواري والقيان والمعازف وسوى ذلك.

ووقف البحث وقفات متأنية عند الفساد الإداري الفاحش في نظام الحكم العباسي، واستقصى بعض عوالمه مشيراً إلى أوسعها نطاقاً وأكثرها استغراقاً في قيادة الجنس التركي لمفاصل النظام في الجيش والدولة وحياة البلاط، وسلط الضوء على شيوع الرشاوى ومصادرة الأموال واحتجان الممتلكات بغير حساب لهم ولمن سار في ركابهم، ولمح تفشي حالتي الفقر والجوع في صفوف الأمة تقابلها حياة الخلفاء الأسطورية في النعيم والقصور وموائد الخمور وحفلات القمار وآلاف المقتنيات والهبات والصلات اللامشروعة، واختتم الفصل بظاهرة جدّ خطيرة اتسم بها العصر العباسي في سياسة أمرائه وقواده وملوكه، وهي الانحراف الهائل في استراتيجية الفتوح الإسلامية، ومجانبة أهدافها في تحرير الشعوب.

٣. ولمّا كان الإمام علي الهادي(عليه السلام) قد قضى شطر حياته في سامراء في مملكة المتوكل العباسي فقد خصص الفصل الثالث لذلك في أبعاده الكبرى متمثلةً بحذر المتوكل اللامنطقي من الإمام، وهلعه من شخصيته المتمكنة في قلوب الجماهير، وتصاعد قاعدته الشعبية انضماماً إليه واعتقاداً به، فاستدعي الإمام إلى سامراء، وفرضت بها عليه الإقامة الجبرية بين رصد العيون وتعقّب الأجهزة وطائلة الرقابة الفظّة لتحركات الإمام جزئية وكليّة، والتطاول اللامسؤول على مقام الإمام وشخصيته الفذة، يضاف لذلك كله الاستفزاز الأمني من حين إلى حين، فيما نجد تأثير الإمام كبير في عمق البلاط العباسي وأروقة الدولة الأخرى، وضاق المتوكل ذرعاً بكل ما متّع به

الإمام من مواهب ومميزات، وما استقر عليه من أرضيّة علمية خارقة، ومن اصطفاف شعبي حوله، مما أدى إلى اعتقاله أكثر من مرّة في مناخ مرعب شديد.

٤. وكان الفصل الرابع مخصصاً لأطروحة «نظام الوكلاء في مجابهة التحديات» الذي نَهَدَ به الإمام لممارسة التغيير الجذري في حياة الأمة من خلاله بصمت وهدوء وعمل دائب يقترب من السرّية في كثير من خطوطه، فكلما اشتدت بالإمام الضغوط السياسية الغاشمة كلما برز الإمام تجاهها صلباً صامداً، وكلّما اقتربت الحقبة الزمنية من قيام صاحب الأمر وأحداث غيابه المنظّم مما هو معروف لدى خلفاء الجور كلما عالج الإمام المحنة بالبدائل التي تضمن مسيرة الخط الإمامي، وكان في طليعة عمله القيادي الأمثل تشريع نظام الوكلاء النائبين عنه باعتباره ضرورة قيادية رائدة للتخطيط المستقبلي فيما يستجدّ من ظروف وأحداث وطوارئ.

وكان أئمة أهل البيت ممن سبقه قد مهّدوا لنظام الوكلاء من ذي قبل بمؤشرات أساسية سلط البحث عليها الأضواء، ومن ثم اضطلع الإمام علي الهادي بتأصيل هذا النظام بدقة متناهية، ورسم حدوده بأصالة وفاعلية، فانتشر وكلاء الإمام في ميدان العمل يغزون الآفاق والقصبات والأقاليم وهم ينفذون تعليمات الإمام بأمانة، ويؤدون واجباتهم بإخلاص، ويدربون الأمة على تلقي الأوامر في حالة غيبة الإمام من سفرائه ووكلائه.

وكان هذا الفصل طريفاً في أحداثه، جديداً في استنتاجاته، زاخراً بمعطياته الحرّة، كاشفاً عن سياسة أصيلة في التنظيم العام.

٥. وكان الفصل الخامس متخصصاً في حياة الإمام علي الهادي العلمية، وقد عرض بتوثيق معمّق مصادر علم الإمام. ورافق سيرورة علم الإمام من ظاهرة اللمح الغيبي فيما أفاض به علماً لدنياً خالصاً، وتناول سعة انتشار

علم الإمام في الآفاق بين عامة المسلمين رغم عقبات الطريق وإفرازات التشدد على الإمام، ونظّر له بقبسات مضيئة من ألق القرآن العظيم، وثنى بلقطات نادرة من فتاوى الإمام في الأحكام، بما يعدّه البحث فاتحة برنامج أساسي لدراسة المناخ العلمي للإمام.

٦. وكان الفصل السادس ميداناً رحباً لمؤشرات الفكر الكلامي عند الإمام، ومناراً شامخاً لمعالم فن الاحتجاج في عصره، وهو فصل نادر تمليه ضرورة الحياة الفكرية في تأريخ الإمام، وتناول بالبحث المركز: ميادين علم الكلام في فكر الإمام، وعرض بالتجزئة والتحليل رسالة الإمام الأصيلة في «الجبر والتفويض» واكتشف البحث الغاية الرائدة من تمهيد الإمام لها في مبحث طريف يؤكد على مَعلَمين شاخصين هما:

أ. إمامة القرآن العظيم فيما أفاض من التشريع والتنظيم ودلائل الاعتقاد.

ب. قيادة أمير المؤمنين الإمام علي(عليه السلام) بما سيّره من البراهين على صدق ذلك في ضوء القرآن والسنّة.

ووجدنا الإمام معتبراً نظرية الإمام جعفر الصادق(عليه السلام) هي الأصل في إبطال نظرية الجبر ودحض مقالة التفويض، وتأصير نظرية الأمر بين الأمرين أو المنزلة بين المنزلتين.

وقد برهن الإمام الهادي في نهاية المطاف أن الاختبار والبلوى للناس بالاستطاعة هما أساس النظرية، بما يعدّ فصلاً كلامياً مبرمجاً يوحي باضطلاع الإمام في هذا الفن ومسالكه الوعرة اضطلاعاً كبيراً ذا طابع تأصيلي لا مزيد عليه.

٧. وقد رأى البحث بعد هذه الجولة المباركة في سيرة الإمام وجهاده الإنساني، وعلمه الفيّاض، وتخطيطه المستقبلي لإرساء متطلبات استمرارية

مبدأ الإمامة في مشروعه الإلهي، أن يركز على معلم أكاديمي متطوّر في تراث الإمام الفكري العظيم، وكان ذلك متمثلاً في رحاب مدرسة الإمام علي الهادي(ع) في الرواية والرواة والأمثال، وهي مدرسة متأنقة في العطاء، واسعة في النتاج المعرفي السيّار، جديرة بالدراسة والاستنباط والبحث والاستقراء المنهجي، واعتبرها البحث بكل تأكيد امتداداً طبيعياً لمدرسة أهل لابيت الكبرى في الخط العام.

وقد أكد الفصل على مرويات الإمام الهادي عن الرسول الأعظم(ص) أولاً، ومروياته عن جدّه أمير المؤمنين(ع) ثانياً، ومروياته عن الأئمة المعصومين من آبائه ثالثاً، بإيراد شذرات نموذجية من ذلك.

كان هذا في مجال الرواية، وأمّا في مجالات الرواة لأحاديث الإمام الهادي ذائعة الصيت، فقد أكد البحث على ظاهرتين مهمتين نهضتا بذلك بكل جدارة وامتياز مرموقين هما:

أ. جمهرة الرواة من تلامذة الإمام.

ب. المؤلفون من الرواة وأسماء كتبهم.

ولمّا كان الإمام داعية إلى الله، وحريصاً على نشر قيم الإسلام فقد اختار البحث طائفة من اللآلئ المنثورة من حكم وأمثال الإمام في هذا الاتجاه، ورتّبها أبجدياً، تسهيلاً للتناول والاطلاع.

٨. الفصل الثامن: وكان خاصاً باستشهاد الإمام علي الهادي، ووصف مشهده الشريف في سامراء، وقد خلص البحث أن الإمام قد تم اغتياله بالسم على يد المعتز العباسي!! وتساءل البحث: هل كان الإمام مريضاً أو يشكو من علّة في بدنه؟ وعرض لإشكالية هذا التساؤل وما صاحبه من افتراضات، ولدى استشهاد الإمام سميماً اجتمع الناس لتشييعه، وسارات

الجماهير بنعشه الطاهر مخترقة أكبر شوارع العاصمة، واضطرت السلطة إلى إرجاع نعش الإمام من حيث خرج، وأوعزت بدفنه في داره حيث مرقده الشريف اليوم، وذلك حذراً من الاضطراب الأمني نظراً للزخم البشري المتدافع وهو يشير بأصابع الاتهام للخلافة.

وعرض البحث إلى مشهد الإمام الهادي وولده الإمام الحسن العسكري في سامراء، ووصف الصحن والروضة المطهرة والقبة الذهبية الحمراء وصفاً ميدانياً بحسب مشاهدة المؤلف لها إجمالياً، وذكر بأسىً ومرارة وحزن عميق العمل الإجرامي بتفجير مرقد الإمامين العسكريين من قبل الحاقدين ومفرقي صفوف الأمة في محرم ١٤٢٧هـ ومن ثم عرض للحدث المروّع في نسف المئذنتين الذهبيتين لضريح الإمامين العسكريين في جمادى١٤٢٨هـ من قبل المخربين ودعاة الإرهاب الدموي، بعد ذلك ختم الفصل بقصيدتين للمؤلف، كانت الأولى في تحية الإمام الهادي وقيادته الرائدة للأمة، والثانية في التعبير عن الاحتجاج والأسى بعد التفجير الإجرامي.

وبعد: فهذا الكتاب ما هو إلاّ لمحة موضوعية عن مسيرة الإمام علي بن محمد الهادي (عليه السلام)، وألقٌ مشرقٌ من تراثه الضخم، وإلمامةٌ مركّزةٌ عما صاحبه من أحداث صاخبة، ورواية صادقة لما رافقه من رصد ورقابة، وتقييم متوازن لجهاده العظيم في التخطيط الرسالي بأشدّ الظروف محنةً وصعوبةً، حاولتُ أن أكون فيها منهجياً في البحث، مجدداً في العرض والأسلوب، محايداً في الأفكار.

وقد خصصت لذلك الوقت المنتزع من بين تراكم الأعمال العلمية، ومتطلبات الدراسات العليا تدريساً وإشرافاً ومناقشةً في جامعة الكوفة الموقّرة بعامة، وفي كلية الفقه والعقيدة بخاصة مما ملك عليّ كل فراغ،

فضلاً عن مشاهد الإرهاب الدامية ومآسي فرقة أبناء الدين الحنيف، وعجز الدولة عن الحلول، مضافاً إلى تقدّم السن وعوارض الأمراض.

وفي مثل هذه الصّور كان إتمام الكتاب بفضل من الله تعالى أراني عاجزاً عن شكره، وبعناية من الإمام(عليه السلام) ما زلت أعيش بألطافها.

أرجو أن يكون هذا الجهد المتواضع في ميزان الحسنات يوم الدين **﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعالَمينَ﴾** وهو ما ننتظره **﴿يَوْمَ لا يَنْفَعُ مالٌ وَلا بَنُونَ * إلاَّ مَنْ أَتَى اللهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾**.

النجف الأشرف/ جامعة الكوفة

محمد حسين علي الصغير

* * *

المصادر والمراجع

١. خير ما نبدأ به القرآن العظيم.

٢. ابن الأثير/ أبو الحسن/ علي بن أبي الكرم بن محمد الجزري (ت ٦٣٠هـ)

- أسد الغابة في معرفة الصحابة/ القاهرة/ ١٣٨٠هـ

٣. ابن الأثير (نفسه)

- الكامل في التأريخ/ دار الكتاب العربي/ بيروت/ د.ت

٤. الأربلّي/ علي بن عيسى بن أبي الفتح (٦٩٣هـ)

- كشف الغمة في معرفة الأئمة/ مطبعة النجف/ النجف الأشرف/ ١٣٨٥هـ

٥. الأصبهاني/ أبو الفرج/ علي بن الحسين (ت٣٥٦هـ)

- الأغاني

تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم/ دار الكتب المصرية/ القاهرة/ ١٩٦٨م

٦. الأصبهاني (نفسه)

- مقاتل الطالبيين/ المطبعة الحيدرية/ النجف الأشرف/ ١٩٥٦م

٧. أحمد أمين/ أستاذ في الجامعة المصرية

- فجر الإسلام/ مطبعة لجنة الترجمة والتأليف والنشر/ القاهرة/ ١٩٥٥م

٨. أحمد بن حنبل (ت٢٤١هـ)

- مسند أحمد/ دار صادر/ بيروت/ د.ت

٩. أحمد عبد الباقي (معاصر)

- سامراء/ طبع بغداد/ ١٩٨٩م

١٠. آغابزرك الطهراني/ أبرز علماء الببلغرافيا والتصنيف في القرن العشرين

- الذريعة إلى تصانيف الشيعة/ دار الأضواء/ بيروت/ ١٤٠٦هـ

١١. أمير علي الهندي/ المستشرق الإنكليزي المسلم

- مختصر تأريخ العرب

ترجمة/ رياض رأفت/ مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر/ القاهرة/ ١٩٣٨م

١٢. باقر شريف القرشي (أستاذ في الحوزة العلمية في النجف الأشرف)

- حياة الإمام علي الهادي(ﷺ) (الطبعة الثانية)

مركز الأجبر لإحياء التراث الإسلامي/ النجف الأشرف/ ١٤٢٧هـ

١٣. البحراني/ هاشم الحسيني البحراني (ت١١٠٧هـ)

- البرهان في تفسير القرآن/ المطبعة العلمية/ النجف الأشرف/ ١٣٩٤هـ

١٤. البخاري/ أبو عبد الله/ محمد بن إسماعيل (ت٢٥٦هـ)

- صحيح البخاري/ المطبعة الأميرية الكبرى/ بولاق- القاهرة/ ١٣١٤هـ

١٥. البرقي/ أبو عبد الله/ محمد بن خالد (ت٢٧٤-٢٨٠هـت)

- كتاب المحاسن/ دار الكتب الإسلامية/ طهران/ د.ت

١٦. بروكلمان/ المستشرق الألماني الأستاذ كارل بروكلمان (١٨٦٨م-١٩٥٦م)

- تأريخ الشعوب الإسلامية

ترجمة/ نبيه أمين فارس ومنير البعلبكي/ دار العلم للملايين/ بيروت/ ١٩٦٠م

١٧. البلاذري/ أمد بن يحيى (ت٢٧٩هـ)

- أنساب الأشراف/ دار المعارف بمصر/ القاهرة/ ١٩٥٩م

١٨. ابن تغري بردي/ أبو المحاسن/ يوسف بن تغري بردي (ت٨٧٤هـ)

- النجوم الزاهرة في أخبار مصر والقاهرة

١٩. جعفر الخليلي (الأديب العراقي الكبير)

- موسوعة العتبات المقدسة/ النجف/ كربلاء/ سامراء/ مطبعة دار الكتب/ بيروت/ تواريخ مختلفة

٢٠. جعفر الخياط (مدير عام التعليم المهني بوزارة التربية العراقية)

- سامراء في المراجع الغربية/ بحث/ موسوعة العتبات المقدسة/ قسم سامراء ١/دار الكتب بيروت/ د.ت

٢١. جعفر الخياط (نفسه)

- كربلاء في المراجع الغربية/ بحث/ موسوعة العتبات المقدسة/ قسم كربلاء ١/مطابع دار الكتب/ بيروت/ ١٩٦٦م

٢٢. الجهشياري/ محمد بن عبدوس (ت٣٣١هـ)

- الوزراء والكتاب/ مطبعة مصطفى البابي الحلبي/ القاهرة/ ١٣٥٧هـ

٢٣. ابن حجر/ أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيثمي المكي (ت٩٧٣هـ)

- الصواعق المحرقة/ القاهرة/ ١٣١٢هـ

٢٤. ابن أبي الحديد/ عز الدين/ عبد الحميد بن هبة الله المدائني (٦٥٦هـ)

- شرح نهج البلاغة للإمام علي(ع)

تحقيق/ محمد أبو الفضل إبراهيم/ دار إحياء الكتب العربية/ القاهرة/ ١٩٥٩م

٢٥. الحر العاملي/ محمد بن الحسن (ت١١٠٤هـ)

- وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة

دار إحياء التراث/ بيروت/ د.ت

٢٦. الحر العاملي (نفسه)

- إثبات الهداة/ المطبعة العلمية/ قم/ ١٤٠١هـ

٢٧. ابن حزم/ أبو محمد/ علي بن أحمد الأندلسي (ت٤٥٦هـ)

- جمهرة أنساب العرب/ القاهرة/ ١٣٨٢هـ

٢٨. حسين أمين (الدكتور)

- سامراء في ظل الخلافة العباسية/ بحث/ موسوعة العتبات المقدسة

للأستاذ جعفر الخليلي/ قسم سامراء ١/دار الكتب/ بيروت/ د.ت

٢٩. حسين علي محفوظ (الدكتور)

- سامراء في المراجع العربية/ بحث/ موسوعة العتبات المقدسة

للأستاذ جعفر الخليلي/ قسم سامراء ١/دار الكتب/ بيروت/ د.ت

٣٠. حاجي خليفة/ مصطفى بن عبد الله/ كاتب حلبي (ت١٠٦٨هـ)

- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون

دار إحياء الكتاب العربي/ بيروت/ د.ت

٣١. حيدر الحسني (جدّ الأسرة الكاظمية لآل الحيدري)

- عمدة الزائر/ طبعة بيروت/ ١٣٩٩هـ

٣٢. الخطيب البغدادي/ أبو بكر/ أحمد بن علي بن ثابت (ت٤٦٣هـ)

- تأريخ بغداد/ دار الكتاب العربي/ بيروت/ د.ت

٣٣. ابن خلكان/ أحمد بن محمد بن أبي بكر (ت٦٨١هـ)

- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان

تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد/ مطبعة السعادة/ القاهرة/ ١٩٤٩هـ

٣٤. الخوئي/ أبو القاسم الموسوي الخوئي (المرجع الأعلى الراحل) (ت١٤١٣هـ)

- معجم رجال الحديث/ إخراج مرتضى الحكمي/ مطبعة الآداب/ النجف الأشرف/ ١٣٩٠هـ

٣٥. خير الدين الزركلي (مفهرس معاصر)

- الأعلام/ الطبعة الثالثة/ بيروت/ ١٣٨٩هـ

٣٦. دونالدسن/ مستشرق أوروبي معاصر

- عقيدة الشيعة/ ترجمة اللواء الركن عبد المطلب الأمين/ القاهرة/ ١٩٦٥

٣٧. ذبيح الله المحلاتي

- مآثر الكبراء في تأريخ سامراء/ المطبعة الحيدرية/ النجف الأشرف

٣٨. الذهبي/ محمد بن أمد بن عثمان الدمشقي (ت٧٤٨هـ)

- تأريخ الإسلام/ دار الكتاب اللبناني/ بيروت/ ١٤٠٥هـ

٣٩. الذهبي (نفسه)

- سير أعلام النبلاء/ مؤسسة الرسالة/ بيروت/ ١٤٠٦هـ

٤٠. الذهبي (نفسه)

- العبر في خبر من غبر/ مؤسسة الرسالة/ بيروت/ ١٤٠٥هـ

٤١. الراغب الأصبهاني/ الحسين بن محمد بن المفضل (ت٥٠٢هـ)

- محاضرات الأدباء/ بيروت/ د.ت

٤٢. سبط ابن الجوزي/ يوسف بن فرغلي البغدادي الحنفي (ت٦٥٤هـ)

- تذكرة الخواص/ المطبعة الحيدرية/ النجف الأشرف/ ١٣٨٣هـ

٤٣. سبط ابن الجوزي (نفسه)

- صفة الصفوة/ دار الوعي/ حلب/ ١٣٩٠هـ

٤٤. ابن سعد/ محمد بن سعد بن فنيع البصري (ت٢٣٠هـ)

- الطبقات الكبرى/ دار صادر/ بيروت/ ١٣٨٨هـ

٤٥. السيوطي/ جلال الدين/ عبد الرحمن بن أبي بكر (ت٩١١هـ)

- تأريخ الخلفاء/ مطبعة السعادة/ القاهرة/ ١٩٥٠م

٤٦. الشابشتي/ أبو الحسن/ علي بن محمد (ت٣٨٨هـ)

- الديارات/ تحقيق كوركلي عواد/ مطبعة المعارف/ بغداد/ ١٩٦٦

٤٧. الشبلنحي/ مؤمن بن حسن الشافعي المدني (ت: أوائل القرن الرابع عشر)

- نور الأبصار في مناقب آل النبي المختار/ مطبعة عاطف/ القاهرة/ ١٣٨٤هـ

٤٨. ابن شعبة/ الحسن بن علي الحرّاني الحلبي (من علماء القرن الرابع)

- تحف العقول عن آل الرسول/ محمد صادق بحر العلوم/ المطبعة الحيدرية/ النجف الأشرف/ ١٣٨٤هـ

٤٩. ابن شهرآشوب/ رشيد الدين/ محمد بن علي السروي (ت٥٨٨هـ)

- مناقب آل أبي طالب/ المطبعة الحيدرية/ النجف الأشرف/ ١٣٧٥هـ

٥٠. الشوكاني/ محمد بن علي بن محمد اليمني الصنعاني (ت١٢٥٠هـ)

- إرشاد الفحول/ دار المعرفة/ بيروت/ ١٣٩٩هـ

٥١. شوقي ضيف (رئيس مجمع اللغة العربي في القاهرة) (ت٢٠٠٥م)

- تأريخ الأدب العربي/ العصر العباسي/ دار المعارف/ القاهرة/ ١٩٦٩م

٥٢. ابن الصبّاغ/ علي بن محمد المغربي المالكي (ت٨٨٥هـ)

- الفصول المهمّة في معرفة الأئمة/ المطبعة الحيدرية/ النجف الأشرف/ ١٣٨١هـ

٥٣. الصدوق/ محمد بن علي بن الحسين (ت٣٨١هـ)

- الأمالي = أمالي الصدوق/ مؤسسة الأعلمي/ بيروت/ ١٤٠٠هـ

٥٤. الصدوق (نفسه)

- الخصال/ دار التعارف/ بيروت/ ١٣٨٩هـ

٥٥. الصدوق (نفسه)

- التوحيد/ المطبعة الحيدرية/ النجف الأشرف/ ١٣٨٣هـ

٥٦. الصدوق (نفسه)

- علل الشرائع/ المطبعة الحيدرية/ النجف الأشرف/ ١٣٨٥هـ

٥٧. الصدوق (نفسه)

- عيون أخبار الرضا/ دار العلم/ قم/ ١٣٧٧هـ

٥٨. الصدوق (نفسه)

- كمال الدين وتمام النعمة/ دار الكتب الإسلامية/ طهران/ ١٣٩٥هـ

٥٩. الصدوق (نفسه)

- معاني الأخبار/ نشر جماعة المدرسين/ قم/ ١٣٦١هـ.ش

٦٠. الصدوق (نفسه)

- من لا يحضره الفقيه/ تحقيق السيد حسن الموسوي الخرساني/ مطبعة النجف/ النجف الأشرف/ ١٣٧٧هـ

٦١. الصفّار/ محمد بن الحسن بن فروخ (ت٢٩٠هـ)

- بصائر الدرجات الكبرى/ منشورات الأعلمي/ بيروت/ د.ت

٦٢. الصفدي/ صلاح الدين/ خليل بن آيبك (ت٧٦٤هـ)

- الوافي بالوفيات/ طبعة بيروت/ ١٣٨١هـ

٦٣. الطبرسي/ أحمد بن علي بن أبي طالب (ت٥٨٨هـ)

- الاحتجاج/ دار النعمان/ النجف الأشرف/ ١٣٨٦هـ

٦٤. الطبرسيي (نفسه)

- إعلام الورى بأعلام الهدى/ المطبعة الحيدرية/ النجف الأشرف/ ١٣٩٠هـ

٦٥. الطبري/ أبو جعفر/ محمد بن جرير (ت٣١٠هـ)

- تأريخ الأمم والملوك/ المطبعة الحسينية/ القاهرة/ ١٣٢٦هـ قدس سره طبعة دار المعارف

٦٦. ابن الطقطقى/ فخر الدين/ محمد بن نقيب النقباء علي الحسني (ت٧٠٩هـ)

- الفخري في الآداب السلطانية/ القاهرة/ ١٩٣٨هـ

٦٧. ابن طلحة/ محمد بن طلحة الشافعي (ت٦٥٢هـ)

- مطالب السؤول في مناقب آل الرسول/ المطبعة الحيدرية/ النجف الأشرف/ ١٣٧١هـ

٦٨. الطوسي/ شيخ الطائفة/ أبو جعفر/ محمد بن الحسن (ت ٤٦٠هـ)

- الأمالي/ طبعة النجف الأشرف

٦٩. الطوسي (نفسه)

- تهذيب الأحكام/ تحقيق السيد حسن الموسوي الخرسان/ دار الكتب الإسلامية/ النجف الأشرف/ ١٣٧٧هـ

٧٠. الطوسي (نفسه)

- رجال الطوسي/ المطبعة الحيدرية/ النجف الأشرف/ ١٣٨١هـ

٧١. الطوسي (نفسه)

- الغيبة/ تقديم: الشيخ آغا بزرك الطهراني/ مطبعة النعمان/ النجف الأشرف+ طبعة مؤسسة المعارف الإسلامية/ قم/ ١٤١١هـ

٧٢. عباس محمد رضا القمي النجفي (ت١٣٥٩هـ)

- الكنى والألقاب/ المطبعة الحيدرية/ النجف الأشرف/ ١٣٧٦هـ

٧٣. عباس محمد رضا القمي النجفي (نفسه)

- مفاتيح الجنان/ تحقيق محمد رضا النوري/ دار إحياء التراث العربي/ بيروت/ د.ت

٧٤. ابن عبد البرّ/ أبو عمرو/ يوسف بن عبد البر القرطبي المالكي (ت٤٦٣هـ)

- الاستيعاب في معرفة الأصحاب/ مطبوع بهامش الأصالة/ دار المعارف/ القاهرة/ ١٣٥٨هـ

٧٥. عبد الوهاب البدري السامرائي/ معاصر

- سيرة الإمام علي الهادي(عليه السلام)/ طبع بغداد

٧٦. عبد الرزاق الحسني (مؤرخ عراقي)

- العراق قديماً وحديثاً/ تلخيص موسوعة العتبات المقدسة/ قسم سامراء/ ١

٧٧. العلامة الحلي/ جمال الدين/ أبو منصور/ الحسن بن سديد الدين يوسف بن علي بن المطهر الحلي (ت٧٢٦هـ)

- خلاصة الأقوال/ رجال العلامة الحلي/ المطبعة الحيدرية/ النجف الأشرف/ ١٣٨١هـ

٧٨. علي الكوراني العاملي (من علماء لبنان)

- المعجم الموضوعي لأحاديث الإمام المهدي/ الطبعة الأولى/ ١٤٢٧-٢٠٠٦م

٧٩. ابن العماد الحنبلي (ت١٠٨٩هـ)

- شذرات الذهب في أخبار من ذهب/ القاهرة/ ١٣٥٠هـ

٨٠. ابن عنبة/ جمال الدين/ أبو العباس/ أحمد بن علي الحسني الداودي (ت٨٢٨هـ)

- عمدة الطالب/ المطبعة الحيدرية/ النجف الأشرف/ ١٣٨٠هـ

٨١. العياشي/ أبو النضر/ محمد بن مسعود بن عياش السلمي (ت٣٢٠هـ)

- تفسير العياشي/ هاشم الرسولي المخلاتي/ المكتبة العلمية الإسلامية/ قم/ ١٣٧١هـ

٨٢. أبو الفداء/ الأمير إسماعيل بن علي بن محمود (ت٧٣٢هـ)
- تأريخ أبي الفداء/ القاهرة/ ١٣٢٥هـ
٨٣. القرماني/ أحمد بن سنان القرماني (ت١٠١٩هـ)
- أخبار الدول/ مطبوع بهامش الكامل في التأريخ
٨٤. القلقشندي/ شهاب الدين/ أحمد بن علي بن أحمد المصري (ت ٨٢١هـ)
- مآثر الأنافة في معالم الخلافة/ طبع الكويت/ الأولى ١٩٦٤م/ الثانية ١٩٨٥م
٨٥. القندوزي/ سليمان بن إبراهيم الحنفي البلخي (ت١٢٩٤هـ)
- ينابيع المودة/ مطبعة أختر/ استانبول/ ١٣٠١هـ
٨٦. القهبائي/ عناية الله بن شرف الدين علي (من علماء القرن العاشر)
- معجم الرجال/ طبعة طهران/ ١٣٨٤هـ
٨٧. ابن كثير/ أبو الفداء/ إسماعيل بن كثير الدمشقي (ت٧٧٤هـ)
- البداية والنهاية/ طبعة مكتبة المعارف/ بيروت/ ١٩٦٦م
٨٨. الكشي/ أبو عمرو/ محمد بن عبد العزيز (من علماء القرن الرابع)
- رجال الكشي/ تحقيق: أحمد الحسيني/ مطبعة الآداب/ النجف الأشرف/ ١٩٧٠م
٨٩. الكليني/ أبو جعفر/ محمد بن يعقوب بن إسحاق الرازي البغدادي (ت٣٢٩هـ)
- أصول الكافي/ دار الكتب الإسلامية/ طهران/ ١٣٨٣هـ
٩٠. الكليني (نفسه)
- الفروع من الكافي/ تحقيق علي أكبر الغفاري ونجم الدين الآملي/ المطبعة الإسلامية/ طهران/ ١٣٨٨هـ

٩١. لسترانج/ مستشرق أوروبي

- بلدان الخلافة الشرقية/ ترجمة: بشير فرنسيس وكوركيس عواد/ مطبعة الرابطة/ بغداد/ ١٩٥٤م

٩٢. المجلسي/ محمد باقر بن محمد تقي (ت١١١١هـ)

- بحار الأنوار/ الجزء الخمسون/ دار الكتب الإسلامية/ طهران/ ١٣٨٦هـ

٩٣. المجمع العالمي لأهل البيت

- أعلام الهداية/ الإمام علي الهادي/ مؤسسة التأريخ العربي/ بيروت/ ٢٠٠٤م

٩٤. المجمع العالمي لأهل البيت

- أعلام الهداية/ الإمام محمد بن علي الجواد/ مؤسسة التأريخ العربي/ بيروت/ ٢٠٠٤م

٩٥. محمد أمين غالب/ تأريخ العلويين/ دمشق/ د.ت

٩٦. محسن الأمين الحسيني العاملي الشقرائي/ كبير علماء لبنان وسوريا (ت١٩٥٢م)

- أعيان الشيعة/ ج٤/ القسم الثاني/ مطبعة الإنصاف/ بيروت/ ١٣٦٨هـ

٩٧. محمد حسن آل ياسين (من علماء الكاظمية المقدسة (ت١٤٢٧هـ)

- الإمام محمد بن علي الجواد/ المطبعة العربية/ بيروت/ ٢٠٠٠م

٩٨. محمد حسن آل ياسين (نفسه)

- الإمام علي بن محمد الهادي/ المطبعة العربية/ بيروت/ ٢٠٠١م

٩٩. محمد حسن الجواهري النجفي (ت١٢٦٦هـ)

- جواهر الكلام/ طبعة طهران/ ١٣٩٢هـ

١٠٠. محمد حسين علي الصغير (المؤلف)

- الإمام جعفر الصادق/ زعيم مدرسة أهل البيت/ مؤسسة البلاغ/ بيروت/ ٢٠٠٤م

١٠١. محمد حسين علي الصغير (نفسه)

- الإمام موسى بن جعفر/ ضحية الإرهاب السياسي/ مؤسسة البلاغ/ بيروت/ ٢٠٠٥م

١٠٢. محمد حسين علي الصغير (نفسه)

- الإمام محمد الجواد/ معجزة السماء في الأرض/ دار الضياء/ النجف الأشرف/ ٢٠٠٧م

١٠٣. محمد حسين علي الصغير (نفسه)

- ديوان شعره/ المجموعة الشعرية الكاملة/ مخطوط

١٠٤. محمد مختار

- كربلاء في التوفيقات الإلهامية/ مطبعة بولاق/ القاهرة/ ١٣١١هـ

١٠٥. المزي/ أبو الحجاج/ جمال الدين/ يوسف بن عبد الرحمن الدمشقي (ت٧٤٢هـ)

- تهذيب الكمال/ مؤسسة الرسالة/ بيروت/ ١٤٠٨هـ

١٠٦. المسعودي/ علي بن الحسين بن علي البغدادي (ت٣٤٦هـ)

- إثبات الوصية/ المطبعة الحيدرية/ النجف الأشرف

١٠٧. المسعودي (نفسه)

- التنبيه والإشراف/ دار الكتب المصرية/ القاهرة

١٠٨. المسعودي (نفسه)

- مروج الذهب ومعادن الجوهر/ دار الأندلس/ بيروت/ ١٩٦٥م

١٠٩. محمد عبده/ مفتي الديار المصرية (ت١٣٢٣هـ)

- شرح نهج البلاغة للإمام علي/ دار الأندلس/ بيروت/ د.ت

١١٠. المفيد/ الشيخ الأكبر/ محمد بن محمد بن النعمان البغدادي (ت٤١٣هـ)

- الإرشاد/ المطبعة الحيدرية/ النجف الأشرف/ ١٣٩٢هـ

١١١. محمد طاهر السماوي/ من أبرز أصحاب المكتبات الخاصة في العراق

- وشائج السراء في شأن سامراء/ طبعة النجف الأشرف/ ١٣٦٠هـ

١١٢. ابن النديم/ أبو الفرج/ محمد بن إسحاق البغدادي (ت٣٨٥هـ)

- الفهرست/ نشر الأستاذ فلوجل/ لايبزك/ ١٨٧١-١٨٧٢ تحقيق: رضا تجدد/ طهران/ ١٩٧١م

١١٣. النعماني/ محمد بن إبراهيم بن جعفر (من علماء القرن الرابع)

- كتاب الغيبة/ مكتبة الصدوق/ طهران

١١٤. النويري/ شهاب الدين/ أحمد بن عبد الوهاب (ت٧٢٣هـ)

- نهاية الأرب في فنون الأدب/ مطابع كوستا توماس وشركاه/ القاهرة

١١٥. هاشم معروف الحسني (من علماء لبنان)

- سيرة الأئمة الاثنا عشر/ الطبعة الثانية/ بيروت/ ١٩٧٠م

١١٦. اليافعي/ أبو محمد/ عبد الله بن أسعد اليمني (ت٧٦٨هـ)

- مرآة الجنان/ مؤسسة الأعلمي للمطبوعات/ بيروت/ ١٣٩٠هـ

١١٧. ياقوت/ شهاب الدين/ ياقوت بن عبد الله الرومي البغدادي (ت٦٢٦هـ)

- معجم البلدان/ دار صادر/ بيروت/ ١٩٥٥م

١١٨. اليعقوبي/ أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر (ت٢٥٤هـ)

- تأريخ اليعقوبي/ تحقيق: السيد محمد صادق بحر العلوم/ المطبعة الحيدرية/ النجف الأشرف/ ١٣٨٤هـ

* * *

ثبت الكتاب

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

❊ ❊ ❊